UNIVERSITY OF CALICUT

SCHOOL OF DISTANCE EDUCATION

M.A. ARABIC

Final Year

Paper XIV - INDIAN ARABIC LITERATURE

Study material

Prepared by
Dr. K.Jamaludeen
Lecturer W.M.O College, Muttil, Wayanad

© Reserved

CUP 6567/08/1000/SDE-1

المحتويـــــات

التقـديم	5
1 ـ الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية	12
بشارة الرسول بفتـح الهند	15
قصة إسلام ملك مليبار	18
الأسرة المالكة المسلمة الأولى في الهند	27
ذكر بعض المساجد والقبور الأثرية	32
أول بقعة أشرقت بنور الإسلام	35
مكانة مليبار في التاريخ القديم	38
ترجمة الشيخ محي الدين الآلوائي	43
2 ـ المسلمـــون فـي الهند	
الدور الذي قام به المسلمون في تحرير الهند	46
3 ـ حجـة الله البالـــغـة	
حقيقة السعـــادة	59
اختلاف الناس في السعادة	62
4 ـ تحـفة المـجاهـدين	
بدء ظهور الإسلام في مليبار	64
عادات كـفرة مليبار	67
ترجمة الشيخ زين الدين المخدوم	71
5 ـ القصائد العربية:	
ترياق الفـؤاد	73

اللغة العـــربية 75

يـــا اللـــه 76

تحريض أهل الإيمان 78

الفتح المبين 81

ترجمة القاضي محمد الكالكوتي 84

6 ـ تراجم الأعـــلام:

عبد الحق المحدث الدهلوي 87

السيد غلام علي آزاد البلغرامي 89

الإمام ولي الله الدهلوي 93

فضل الحق الخيرآبادي 100

فيض الحسن السهارنفوري 104

الشيخ أنور شاه الكشميري 108

الشيخ أبو الحسن علي الندوي 117

7 ـ التعريف بالمؤلفـات العربية:

سبحـة المرجان 135

حجة الله البالغة 137

تحفـة المجاهدين 142

نزهـة الخوطر 144

الأسئلـــة النموذجيـــة 151

التقـــديـــم

لا يخفى على أحد ما كان للهند من مساهمات طيبة عريقة في إثراء اللغةالعربية وآدابها عبر القرون مع أنها لم تكن ترتبط بهذه اللغة قدرما ترتبط بها البلاد العربية. وقد ساعد الحكم الإسلامي الذي بدأ منذ القرن السادس الهجري واستغرق أكثر من سبعة قرون، على تكثيف حركة العلم في كل ربوعها ، وارتادها العلماء وطلاب العلم من كل قاصية ودانية. وقد تدفق إليها وفود العلماء عقب سقوط الحكم الإسلامي في الشرق وتدهور المراكز العلمية مثل بغداد وقرطبة والقاهرة ، ولجأ إليها الأسر الشريفة العريقة ، كرس رجالها حياتهم وجهودهم خدمةً ومساهمةً في العلوم والثقافة واللغة العربية في الهند. ومنهم : أسرة فرنكي محل والأسرة الجونفورية والأسرة الدهلوية، وانكبوا على خدمة العلوم الدينية واللغوية في الهند. وتركوا آثارًا صالحة تبقي فخرًا لجميع الهنود.

منهم من قضى نحبه ومنهم من لا يزال يقدم جهودهم ، ونخص هنا بذكر بعضهم ، والبعض الآخر سنذكرهم في الصفحات الآتية بمناسبة دراساتنا عنهم.

في علم اللغة يجدر بالذكر اسم الإمام حسن بن محمد الصغاني اللاهوري صاحب العباب الزاخر، كان حامل لواء اللغة كما قال السيوطي ، والقاضي كرامت حسن الكنتوري صاحب فقه اللسان ، والسيد مرتضى بن محمد البلكرامي المشهور بالزبيدي الذي ألف تاج العروس في شرح القاموس، والأمير صديق حسن القنوجي صاحب كتاب التاج المكلل والعلم الخفاق في علم الاشتقاق ، والعلامة حميد الدين الفراهي صاحب كتاب جمهرة البلاغة.

وفي مجال الفقه نذكر كتاب فتح المعين لصاحبه زين الدين بن محمد الغزالي وله كتاب تحفة المجاهدين الذي يعتبر من أمهات كتب التاريخ القديم لمليبار، ومنها الفتاوى الهندية التي تصدى لتدوينها الملك أورنك زيب عالمكير، وساهم فيها أربعة وعشرون عالما من علماء الهند، كان رئيسهم الشيخ نظام الدين البرهانفوري. وفي أصول الفقه كتاب مسلم الثبوت لصاحبه محب الله بن عبد الشكور البهاري، ونور الأنوار في شرح المنار للشيخ ملا جيون. وكذلك العلامة عبد الحي اللكنهوي صاحب كتب قيمة مثل مصباح الدجي والسعاية في شرح الوقاية، وكتابه الفوائد البهية يعتبر عمدة للمؤلفين . والعلامة السيد سليمان الندوي

خلف كتبا كثيرة في السيرة النبوية والتاريخ والأدب ، والعلامة مناظر أحسن الكيلاني ألف كتبه مثل: النبي الخاتم ، وتدوين الحديث، ونظام الإسلام الاقتصادي، ونظام التعليم والتربية. كما اشتهر الشيخ محمود الجونبوري بكتابه الشمس البازغة في الحكمة والفلسفة والمنطق.

في مجال علوم الحديث كان لعلماء الهند يد طولى في التأليف ، ومن هذه الكتب كنز العمال للشيخ علي بن حسام الدين المتقي وهو ترتيب لجمع الجوامع للسيوطي ، ومجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار للشيخ محمد طاهر الفتني الذي يقوم بمثابة شرح للصحاح الستة، وعون المعبود في شرح سنن أبي داود للشيخ محمد أشرف الديانوي ، وبذل المجهود في شرح سنن أبي داود لصاحبه خليل أحمد السهارنبوري ، وتحفة الإحوذي في شرح سنن الترمذي للعلامة عبد الرحمن المباركفوري ، وفتح الملهم في شرح صحيح مسلم للشيخ شبير أحمد الديوبندي ، وأوجز المسالك إلى شرح مؤطأ الإمام مالك للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي ، وفيض الباري شرح البخاري للعلامة أنور شاه الكشميري، ومرعاة المفاتيح في شرح مشكاة المصابيح لشيخ عبيد الله المباركفوري .والشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي هو الذي تولي زمام نشر الحديث في الهند.

وفي مجال أدب التفسير فالجدير بالذكر منه تفسير سواطع الإلهام للشيخ أبي الفيض بن المبارك الناكوري، والتفسير المظهري للشيخ ثناء الله الباني بتي الملقب ببيهقي الهند ، والإمعان في أقسام القرآن، و نظام الفرقان وتأويل القرآن بالقرآن وكلاهما للعلامة حميد الدين الفراهي ، والتفسير الماجدي للشيخ عبد الماجد الدرياآبادي، والفوز الكبير في أصول التفسير لشاه ولي الله الدهلوي، وحاشية الشيخ عبد الحكيم السيالكوتي على تفسير البيضاوي ، والتفسيرات الأحمدية في بيان الآيات الشرعية للشيخ أحمد بن أبي سعيد المعروف بملا جيون، وعلى هامش التفاسير للسيد إسمعيل شهاب الدين.

وفي مجال التحقيق نال علماء الهند إعجاب العالم العربي، وفي طليعة المحققين العلامة عبد العزيز الميمني الذي ألف كتاب سمط اللألي في شرح الآمالي للقالي، وأبو العلاء وما إليه . والعلامة امتياز على العرشي الذي حقق كتاب الأجناس، ولامية الهند، وديوان شعر الحادرة، وتفسير القرآن لأبي عبد الله بن سعيد بن مسروق الثوري، وكتاب الأخبار للجاحظ، وديوان أبي محجن . كما أن الدكتور حميد الله الحيدرآبادي قام بتأليفه بعد التحقيق مثل: كتاب

السيرة لابن إسحق، والوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، وكتاب السرد والفرد، وصحيفة همام بن منبه. ومنهم الشيخ أبو محفوظ الكريم المعصومي صاحب كتاب بحوث وتنبيهات ، كما أنه حقق دراسة عن شاناق الطبيب الهندي.

وفي مجال الموسوعات يجدر بالذكر اسم العلامة محمد أعلى التهانوي صاحب كشاف اصطلاحات الفنون ، والسيد صديق حسن خان القنوجي صاحب أبجد العلوم والقاضي عبد النبي بن عبد الرسول صاحب دستور العلماء ومعجم المصنفين للعلامة محمود حسن خان التونكي، والشيخ عبد الحي اللكهنوي صاحب نزهة الخواطر في تراجم الأعلام، والقاضي أطهر المباركفوري صاحب كتاب رجال السند والهند.

ومن العلماء المعاصرين الذين أثروا المكتبة الإسلامية بمؤلفاتهم: العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي الذي يتميز عن غيره بغزارة علمه وتجاربه ومؤلفاته ودوره في مواجهة القضايا والمشكلات التى كان يعيشها المسلمون. والشيخ محمد رابع الندوي رئيس ندوة العلماء ومن أبرز أعماله: الأدب الإسلامي فكرته منهاجه، في وطن الإمام البخاري ، وأضواء على الفقه الإسلامي ، المنهج الإسلامي لتربية النفس. والشيخ محمد واضح راشد الندوي سكرتير المجمع الإسلامي العلمي بندوة العلماء ومن كتبه : من صناعة الموت إلى صناعة القرارات ، نحو نظام عالمي جديد، أدب أهل القلوب ، الشيخ أبو الحسن قائدا وحكيما ، حركة التعليم الإسلامي في الهند . والأستاذ سيد محمد إجتباء الندوي الذي ألف كتابا عن الأمير صديق حسن خان. والدكتور سعيد الأعظمي رئيس مجلة البعث الإسلامي الذي ألف من الكتب مثل: ساعة مع العارفين ، وأسباب سعادة المسلمين وشقائهم ، وشعراء الرسول في ضوء الواقع والقريض . والأستاذ محمد يوسف كوكن صاحب كتاب أعلام النثروالشعر في الأدب العربي الحديث، والشيخ محي الدين الآلوائي صاحب كتاب 'الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية . والأستاذ زبير أحمد الفاروفي صاحب كتاب الآداب العربية في الهند ، وغيرهم كثير.

كما يزدان التراث الهندي بالشعر العربي الأصيل الذي يفوق بعضه الشعراء العرب المفلقين ومن شعراء العربية في الهند: السيد غلام علي آزاد البلغرامي الملقب بحسان الهند ، وذو الفقار علي الديوبندي ، ومولانا أحمد بن محمد التهانيسري ، و المفتى صدر الدين

الدهلوى والقاضي عبد المقتدر الكندي والمولوي أحمد ، والشاعر أبو ليلى، والمولوي أبو بكر، وأبو الصلاح الباقوي.

وفي مجال الصحافة العربية كان سهم الهند لم يكن أقل من البلاد العربية. وقد شهدت البلاد كثيرًا من الدوريات والمجلات منذ 1871 ،والأولي منها: النفع العظيم لأهل هذا الإقليم. ومنها مجلة البيان ،(1902) ومجلة الجامعة ،(1923) ومجلة الضياء،(1932) وصوت الشرق،(1952) ومجلة دعوة الحق،(1965) والكفاح ،(1973) ومجلة المجمع العلمي الهندي بعليكره،(1976) ومجلة الثقافة(1983) والرابطة الإسلامية(1986)وصوت السلام (1988) والصحوة الإسلامية(1989)ومجلة النور(1989)ومجلة آفاق الهند (1992) والمظاهر (1995) والحرم (1996)والنهضة الإسلامية (1996).

وأما ما يستمر منها حتى الآن فهي: ثقافة الهند التي يصدرها المجلس الهندي للروابط الثقافية والتي أسسها مولانا أبو الكلام آزاد. والبعث الإسلامي التي تصدر عن ندوة العلماء بلكهنو ومنها أيضا صحيفة الرائد ، ومجلة صوت الأمة الصادرة عن الجامعة السلفية ببنارس ، ومجلة الداعي الصادرة عن جامعة دار العلوم ديوبند ، ومجلة الفرقان الصادرة عن معهد العلامة بن باز للدراسات الإسلامية من بيهار، ومجلة الصحوة الإسلامية الصادرة عن الجامعة الإسلامية دار العلوم بحيدرآباد ، ومجلة الجامعة الصادرة عن الجامعة الإسلامية بشانتابورم ،كيرالا ، ومجلة كاليكوت الصاددرة عن قسم اللغة العربية بجامعة كالكوت ، ومجلة الصلاح الصادرة عن الجامعة الندوية بأدوانا ، ومجلة النهضة الصادرة عن جمعية العلماء بكيرالا. ، ومجلة الثقافة الصادرة عن جامعة مركز الثقافة السنية بكالكوت ومجلة الريحان الصادرة عن قسم اللغة العربية بكلية دار الأيتام المسلمين ويناد.

وقد حظيت الهند منذ القدم بوجود المراكز التعليمية ومنها:

جامعة دار العلوم ديوبند : وهي من أعرق الجامعات الهندية ، وتعرف بلقب أزهر الهند ، تأسست عام 1283 على يد الشيخ محمد قاسم النانوتوي ، واحتضنت العلوم الدينية والعربية وحفظتها من الضياع أيام الاحتلال الإنجليزي. وكانت هي مسرحا لأبرز الشخصيات في الهند المسلمة ، كرسوا حياتهم خدمة للدين والعلم والوطنية مثل الشيخ المقرئ محمد طيب ، والشيخ أنور شاه الكشميري ، والشيخ محمد يوسف البنوري والشيخ شبير أحمد العثماني والشيخ محمود حسن الملقب بشيخ الهند ممن أثروا بمؤلفاتهم العلوم الإسلامية والأدب العربي الهندي،

كما قام هناك بمهمة التدريس عدد من علماء الأزهر، وقد أشاد العلامة السيد رشيد رضا بجهود هذه الجامعة ومساهمات العلماء فيها.

وأولت الجامعة بالغ الاهتمام منذ تأسيسها بدراسة العلوم الإسلامية . ويرتادها الطلاب البالغ عددهم أكثر من عشرة آلاف ليس فقط من الهند ، بل من باكستان وأفغانستان وبخارى وقازان وروسيا وأذربيجان والمغرب الأقصى - مما جعلها 'الجامعة الإسلامية الأهلية الأم' – على حد تعبير الشيخ مرغوب الرحمن رئيسها السابق. وتتبع الجامعة في تدريسها المنهج النظامي السائد في الهند ، ومع ذلك تجمع بين مختلف العلوم والفنون العربية واللغة الإنجليزية . والجامعة تصدر مجلة عربية شهرية وهي الداعي أسسها الشيخ وحيد الزمان الكيرانوي ويحررها الآن الأستاذ نور عالم خليل الأميني. وهذه الجامعة لم تدعَم من قبل الحكومة ولا من الجهات التعليمية الرسمية ، إلا أنها كانت ولا تزال تخطو خطوات موفقة في سبيل التقدم والازدهار، وأصبحت يشع نور العلم والثقافة لعدد من المؤسسات الأخرى ، مثل مدرسة مظاهر العلوم في مدينة سهارنفور التي هي توأمتها في الولادة.

الجامعة السلفية ببنارس: تأسست هذه الجامعة عام 1383 ، ونالت ترحيبا من جميع الأوساط العلمية والدينية في الهند وخارجها وتهتم بتدريس القرآن والسنة النبوية واللغة العربية وآدابها القديمة والحديثة، ومحاربة البدع والمنكرات التي تنافي روح الدين الحنيف، ونشر العلوم الإسلامية والأدبية والاحتفاظ بالتراث الإسلامي والاعتناء بالتأليف والطبع في مختلف اللغات العالمية . ويرأسها الآن الدكتور مقتدى حسن بن محمد الأزهري وهو بنفسه يتولى مهمة الإشراف على مجلة صوت الأمة الشهرية التي تصدرها عن دار التأليف والترجمة التابعة للجامعة.

جامعة عليكره الإسلامية: ظهرت هذه الجامعة في حيز الوجود نتيجة للجهود المخلصة التي بذلها سر السيد أحمد خان الذي ينتمي إلى سلالة ملوك المغول والذي تلمذ على الشيخ فيض الحسن السهارنفوري، وكان شديد التأثر بصحيفة ' النفع العظيم لأهل هذا الإقليم' التي أصدرها فيض الحسن ، مما اندفع إلى الأفكار التربوية والإصلاحية التى تمثلت فيما بعد في تأسيس جامعة عليكره، وكانت الثورة الهندية عام 1857 قد هدمت تماما البنية التحتية للأمة المسلمة في مجال السياسة والاقتصاد والتربية، وصار للإنجليز الكلام المطاع طول البلاد، وقام أحمد خان بتحريك الزعماء وحثهم على نشر التعليم العصري مع الاحتفاظ بالشخصية

الدينية للجيل المعاصر . وبناء على ذلك بدأ مؤسسات تعليمية عصرية عام 1859 في مرادآباد وغازي فور. وانتقاله إلى عليكره صار نقطة تحول في حياته خاصة وفي مسيرة مسلمي الهند عامة، حيث قام بتوعية الشعب الهندي ورؤسائهم ضرورة التعليم العصري وأسس عام 1875 مدرسة محمدن الإنجليزية الشرقية وهي التي تحولت عام 1920 إلى جامعة عليكره الإسلامية.

وقد نجحت الجامعة في رسالتها وتخرج منها زمرة من العلماء القادرين في العلوم الدينية والعصرية. ويؤمها الطلاب من كل نواحي المعمورة حتى غدت من أكبر الجامعات الهندية ، توفر جميع الدراسات في العلوم والفنون واللغات . ونائب رئيسها الحالى الدكتور عبد العزيز.

ندوة العلماء ودار العلوم بلكهنو: تأسست ندوة العلماء عام 1892 على يد العلماء الربانيين من أمثال: شيخ الهند محمود حسن ، والشيخ أشرف على التهانوي ، والشيخ خليل أحمد السهارنفوري ومولانا السيد محمد على المونغيري ومولانا ثناء الله الأمرتسري والعلامة عبد الحي الحسني، ممن اختمرت في رؤوسهم الأفكار الجادة عن ترقية المسلمين في مجال التعليم الديني والعصري . وأكد الشيخ المونغيري الأمين العام الأول على أمرين من بين أهداف الندوة : التعمق في العلوم الدينية والاطلاع على المقتضيات المعاصرة والخبرة الدقيقة بالأوضاع الراهنة. وتحقيقا لهذه الأهداف أسسوا دار العلوم تابعة لندوة العلماء عام 1898، حاملا تلك الرسالة النبيلة التي يعبر عنها العلامة أبو الحسن على الندوي: ' ووضعت أساسها على مبدأ الجمع بين الدين الخالد الذي لا يتغير وبين العلم النامي الذي لا يتحجر- بين صلابة الحديد في العقيدة وبين نعومة الحرير في اقتباس العلوم النافعة'. وقد حظيت دار العلوم وندوة العلماء بخدمات العلماء الأجلاء من أمثال العلامة شبلي النعماني والشيخ محمد تقي الدين الهلالي والعلامة سيد سليمان الندوي والدكتور عبد العلي والشيخ محمد بن حسن الخزرجي والشيخ محمد طيب المكي حتى آلت عمادتها إلى الشيخ أبي الحسن علي الندوي فزادها ازدهارًا وبهاء مما جعلها أكبر المؤسسات التعليمية الدينية العاملة في القطاع الخاص في الهند.

وفيما يلي من الصفحات نستعرض الشخصيات البارزين ونبذة من تاريخ نشر الإسلام في ديار مليبار وبعض القصائد العربية وأهم المؤلفات العربية حسبما قررته جامعة

كالكوت لدراسات ماجستير العربية. وأدعو الله القدير أن يجعل في هذا العمل ما ينشده طلبة العلم ويتقبله قبولا حسنا ، وهو ولي التوفيق.

الدكتور/ جمال الدين الفاروقـــي

WMO College, MUTTIL

mob: 9495065636

الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية

الدكتور/ محي الدين الآلوائي

القسم الثاني - الباب الرابع

وصول صوت الإسلام إلى أرض الهند

الفصل الأول: الرسول وأهل الهند

كان الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه يعرفون الهنود والأشياء الهندية، وقد جاء ذكر بعض من ذلك في مناسبات متعددة على لسانه كما يروي الإمام ابن حاتم والإمام ابن عبد الله الحاكم والإمام ابن جرير الطبري والإمام السيوفي عن ابن عباس رواية صححها الحاكم : 'إن أول ما أهبط آدم على أرض الهند' وفي لفظ آخر في دجني أرض الهند، ويقول العلماء أن دجني معرب من دكهن ، والمراد منه سرنديب في جنوب شبه القارة الهندية، وفي رواية أخرى منقولة عن ابن عباس أن الرسول قال: إن أول ما نزل آدم نزل بمكة مكان البيت الحرام، ثم ذهب من هناك إلى الهند فتخطى فإذا هو بأرض الهند ، فمكث هناك ما شاء الله، ثم استوحش إلى البيت ' وبين العالم التابعي المشهور عطاء بن رماع أن آدم هبط بأرض الهند ومعه أربعة أعواد من الجنة ، فهي التي يتطيب الناس بها، وأنه قد حج هذا البيت. وكذلك روى عن جماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم حكايات في صفة هبوط آدم من الجنة وما أهبط معه وما صنع عند وصوله إلى الأرض، وذكر طرفا منها الحافظ ابن القيم في ' الحادي' . وعن علي رضي الله عنه ' أطيب ريح الأرض الهند هبط بها آدم فعلق شجرها من ريح الجنة'

وفي الصحيحين رواية عن أبي موسى أن النبي الكريم قد أكل لحم الدجاج وجاء في حديث آخر (دجاج سندي) وهذا يدل أن لحم الدجاج السندي كان معروفا ومستعملا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم. ويظهر من بعض الروايات أن الرسول والصحابة قد استعملوا الثياب التي كانت تصدر إلى البلاد العربية من الهند وبعض الأماكن الأخرى ، ففي حديث عائشة رضي الله عنها أنه رأى عليها أربعة ثياب سند ،قيل:

وهو نوع من البرود اليمانية ، وكانت تتسم وتحمل الشبه الهندي. وكان يطلق عليها برود يمانية ، لأنها تذهب مصنوعة من الهند إلى اليمن وصحار ونجران ثم تشتهر بنسبتها

إلى هذه الجهات أو لكونها مصنوعة في المصانع الهندية العربية المشتركة الموجودة في المناطق الساحلية والجنوب الغربي.

ومن لباس الهند الخاص الجلباب وتعريبها ' قرطق ' ولو أننا لم نجد تصريحا يدل على أن الرسول والصحابة قد استعملوه ، ولكن يظهر من بعض القرائن أنه استعمل في عهد الرسول ، وفي حديث منصور : جاء الغلام وعليه قرطق أبيض ، أي قباء ، وهو تعريب كلمة ' كرتة ' الهندية وفي حديث الخراج: كأني أنظر إليه حيث عليه قرطة. وجاء في طبقات ابن سعد وأنساب الأشراف ما يلي : ' أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلاح بني قينقاع ثلاثة أسياف ، سيفا قلقيا. وسيفا يدعى بتارًا وسيفا يدعى الحتف ' ولعله سيف صنع في قلة (كلة)[1] وقد أشاد الشاعر العربي الفرزدق في أشعاره بالسيوف الهندية القلقية التي كانت تصنع هناك إذ يقول:

متقلدي قلقية وصوارم هندية وقديمة الآثـــار

وقد صرح الإمام أبو الوليد محمد بن عبد الله الأزرقي المكي عند الكلام عن تاريخ مكة أن عبد المطلب قد وجد في زمزم سيوفا هندية ، وأنه استعملها في أبواب الكعبة وظلت موجودة هناك إلى زمان النبي صلى الله عليه وسلم وأن العرب كانوا يشترونها ويضعونها في الكعبة ، أو كان الهنود يرسلونها إليها نذرًا لأنهم كانوا يعظمون زحل الذي بنى الكعبة على زعم من يقول ذلك على طالعِه . كما حدث في عهد الخليفة المأمون إذ أرسل حاكم منطقة السند والتبت بتمثال من الذهب الخالص على هيئة إنسان الكعبة... وجاء في سيرة ابن هشام عن وجود السيوف الهندية عند الكعبة ' ... أنه عندما حضرتُ زمزم للمرة الثانية وجدتُ بداخلها دروعا من ذهب كانت لقبيلة جرهم ، وقد جاءت من نصيب عبد المطاب ' وورد ذكر هذه الواقعة في مروج الذهب كما يلي: وكان حفر بئر زمزم وكانت مطوية وذلك في ملك كسرى فنباذ فاستخرج منها غزالتي ذهب عليها الدر والجوهر وغير ذلك من الحلي وسبعة أسياف قلعية وسبعة أذرع سوابغ فضرب من الأسياف بابا للكعبة . وجعل إحدى الغزالتين صفائح وجعل الأخرى في الكعبة.

---

1 ـ كلة : فرضة في الهند وهي منتصف الطرق بين عمان والصين .

ومن العادات الهندية التي كانت منتشرة في بلاد العرب - وقد شدد الرسول في منعها - الشطرنج ففي حديث 'ملعون من لعب بالشطرنج وفي حديث آخر: إذا مررتم بهؤلاء الذين يلعبون بهذه الأزلام والشطرنج والنرد وما كان من هذه الأشياء فلا تسلموا عليهم ، وإن سلموا عليكم فلا تردوا عليهم، ومن تلك العادات الوشم ، وقد انتشرت عادة الوشم من الهند في بلاد العرب منذ زمن قديم ، وقد شدد الرسول في منعه . ففي حديث ' لعن الله الواشمة والموشمة ' وكان الهنود والعرب يعتقدون أيضا أن الكواكب لها تأثير في المطر، وكانوا يقولون إن هذا المطر من الكوكب كذا ، وهو خلاف ما كانت تقول به طائفة عبدة الكواكب . وفي حديث 'من قال مطرنا بنوء كذا فقد كفر بما أنزل على محمد'.

وكان الهنود يذهبون ويعودون في عهد الرسالة إلى البلاد العربية، وعندما ذاع أمر الرسول وظهرت دعوته إلى الإسلام ، فإن العالم الخارجي قد وصلته الأخبار وسرت إليه الأنباء حتى أن كسرى فارس حرّض بَاذان حاكمه في اليمن على محاربته صلي الله عليه وسلم. وأما هرقل الروم فقد أجرى تحقيقات مع أبي سفيان عن الدعوة الجديدة. وأما النجاشي فقد استوضح الأمر من المهاجرين العرب إلى الحبشة. وعلى هذا يمكننا القول بأنه من المحتمل جدا أن الهند أيضا قد وصلها مثل ما وصل لغيرها من ظهور نبي بالعرب يدعو إلى دعوة جديدة ، فإننا نجد روايات تدل على أن رجال الدين والحكام والأمراء في الهند قد سعوا لإيجاد وسيلة لكي ينشئوا علاقات مباشرة بينهم وبين نبي الإسلام كما رغبوا في التعرف عليه وفهمه.

وقد روى المؤرخون في هذا المجال أخبار بعض الوفود التي أرسلها رجال الدين في الهند وأمراؤها لمقابلته عليه السلام، وعن بعض الهدايا التي أرسلوها إليه. ونذكر فيما يلي واقعتين مشهورتين:

وفد سرنديب لمقابلة الرسول:

وجاء في كتاب عجائب الهند للمؤرخ المشهور في القرن الرابع الهجري بزرك بن شهريار ناخذا (رامهرمزي):

' وكان أهل سرنديب (سيلان) عندما بلغهم ظهور النبي العربي أرسلوا رجلا منهم ذو فهم ولباقة ، وأمروه أن يتوجه إليه فيعرف أمره وما يدعو إليه ولكن لظهور بعض العقبات والعوائق وصل إلى المدينة بعد وفاة الرسول، وقيل إنه وصل في خلافة عمر ، فسأل

عمرَ عن أمر النبي فاستعلم منه أحواله عليه السلام، فبين له عمْر رضي الله عنه مفصلا ، فلما رجع مات في الطريق ووصل خادمه إليهم فأعلم بأحواله عليه السلام وأحوال أبي بكر وعمر رضي الله عنهما '

هدية الحاكم الهندي للرسول:

وذكر القاضي الرشيد بن الزبير (القرن الخامس الهجري) في كتابه 'الذخائر والتحف ' كثيرًا من عادات حكام الهند في إرسال الهدايا والتحف إلى جيرانهم من العظماء والملوك . ويروي المحدث أبو عبد الله الحاكم في المستدرك عن أبي سعيد الخدري ما يأتي:

'أهدى ملك الهند إلى رسول الله جرة فيها زنجبيل فأطعم أصحابه كل منهم قطعة ، وأطعمني منها قطعة ، وقد تناول الرسول لنفسه منها، وعقب الحاكم على ذلك بقوله: لم أخرج من أول هذا الكتاب إلى هنا لعلي بن زيد بن جدعان حرفا واحدا، ولم أحفظ في أكل رسول الله الزنجبيل سواه ، فخرجته '

والثابت من هذه الرواية أن أحد حكام الهند قد أرسل بهدية من زنجبيل إلى رسول الله، والظاهر أيضا أنه بعث بها رسولا خاصا وكان يحمل معه رسالة تعبر عن الحب والصداقة ، وأن الرسول قد أثنى في جوابه على هذا الحاكم وعلى رسوله ، ويغلب على الظن أن ذلك كان بعد الهجرة.

الفصل الثانـــي : بشارة الرسول بفتح الهنـــد

أفرد الإمام النسائي بابا في سننه عن غزوة الهند[2] ، وفيه تبشير للذين سيجاهدون في الهند بالأمن والحفظ من نار جهنم .

أخبرنا أحمد بن عثمان بن حكيم قال: حدثنا زكريا بن عدي قال ، حدثنا عبيد الله بن عمرو عن زيد بن أبي أنيسة عن سياج قال ، وأنبأنا هشيم عن سيار عن جبر بن عبيدة وقال عبيد الله عن جبير عن أبي هريرة قال ، وعدَنا رسول الله غزوة الهند، فإن أدركتها أنفق فيها نفسي ومالي فإن أقتل كنت من أفضل الشهداء، وإن أرجع فأنا أبو هريرة المحرر. حدثني

---

2 كتاب الجهاد جـ 6 ص 42

محمد بن إسماعيل بن إبراهيم قال: حدثنا يزيد قال ، حدثنا سيار أبو الحكم عن جبر بن عبيدة عن أبي هريرة قال، وعدنا رسول الله غزوة الهند فإن أدركتها أنفق فيها نفسي ومالي وإن قتلت كنت أفضل الشهداء ، وإن رجعت فأنا أبو هريرة المحرر. أخبرني محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم قال، حدثنا أسد بن موسى قال، حدثنا بقية قال ، حدثني أبو بكر الزبيدي عن أخيه محمد بن الوليد عن لقمان بن عامر عن عبد الأعلى بن عدي البهراني عن ثوبان مولى رسول الله ، قال رسول الله ' عصابتان من أمتي أحرزهما الله من النار، عصابة تغزو الهند وعصابة تكون مع عيسى بن مريم عليهما السلام'[3].

وأورد الإمام أحمد بن محمد بن حنبل في مسنده رواية مماثلة عن أبي هريرة رضي الله عنه : حدثنا هشيم عن سيار عن جبر بن عبيدة عن أبي هريرة ، قال : 'وعدنا رسول الله في غزوة الهند ، فإن استشهدت كنت من خير الشهداء وإن رجعت فأنا أبو هريرة المحرر'.

ورواه الإمام أحمد بن حنبل من وجه آخرمن رواية الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: حدثني خليلي الصادق رسول الله أنه قال: ' يكون في هذه الأمة بعث إلى السند والهند، فإن أنا أدركته فاستشهدت فذلك وإن أنا (فذكر كلمة) رجعت وأنا أبو هريرة المحرر قد اعتقنى من النار' وفي النهاية لابن كثير: المحرر أي المعتق وكذلك رأينا في روايتي النسائي والحاكم (المحررة) بدون الهاء. وزيادة الهاء تكون للمبالغة كما في علامة ونحوها. وأن أبا هريرة رضي الله عنه هو حافظ الصحابة وأكثرهم رواية عن رسول الله . روى له الإمام أحمد في مسنده ثلاثة آلاف وثمانمائة وثمان وأربعين حديثا باللفظ أو بالمعنى. وأسلم أبو هريرة السنة السابعة من الهجرة ، وصحب رسول الله ولزمه إلى آخر حياته واختلف في وفاة أبي هريرة والراجح أنه مات سنة 59 هـ .

وكتب المحقق الهندي القاضي أطهر المباركفوري بحثا مطولا باللغة الأوردية في شرح هذا الحديث ، وذلك في كتابه عن الهند والعرب في عهد الرسالة ، و جاء فيه : وكانت البحرين مركزا هاما للتجارة الهندية وأن الهنود كانوا ينتشرون بها ، وقد قرر رسول الله حاكمين ؛ أحدهما علاء الخضرمي وثانيهما إبان بن سعيد بن عاصي رضي الله عنهما . وفي رواية أخرى أن علاء الحضرمي كان حاكما على منطقة قطيف وإبان بن سعيد حاكما على

---

[3] - حاشية سنن النسائي جـ 6 ص 43

منطقة خط . ثم أقر أبو بكر العلاء الخضرمي . وفي خلافة عمر استبدله بأبي هريرة الذي تعجب من المظاهر التي رآها هناك في حركة التجارة وانتشار الهنود، فعندئذ تذكر البشارة التي قالها الرسول إذ يروي : وعدنا رسول الله غزوة الهند فإن أدركها أنفق فيها نفسي ومالي، وإن أقتل كنت أفضل الشهداء وإن أرجع فأنا أبو هريرة المحرر . ولما كانت سنة 15 هـ قرر سيدنا عمر بن الخطاب تولية عثمان بن أبي العاص الثقفي منطقة البحرين الذي طوق بلاد الهند من ثلاث جهات بالمجاهدين المسلمين. وجرت حملات بحرية غير منظمة شنت على بلاد الهند ، و لكن سيدنا عمر رضي الله عنه كان يخالف تلك الحملات البحرية بشدة ، ويعارض الإقدام على هذا لأنه كان يرى أنه لا بد من الاستعداد الكامل لمثل هذا العمل خاصة وأن بلاد الهند بعيدة وبينها وبين بلاد العرب بحر خضم.

ويقول البلاذري: ولي عمر بن الخطاب عثمان بن أبي العاص الثقفي البحرين وعمان سنة 15 هـ فوجه أخاه الحكم بن أبي العاصي إلى البحرين ومضى إلى عمان فأقطع جيشا إلى تانه[4] ، فلما رجع الجيش كتب إلى عمر يعلمه ذلك ، فكتب إليه عمر: يا أخا ثقيف حملت دودا على عود ، وأني أحلف بالله أن لو أصيبوا لأخذت من قومك مثلهم . ووجه الحكم أيضا إلى بروجي[5] ووجه أخاه المغيرة إلى خور الديبل فلقي العدو فظفر به.

واستمر نفس النظام في عهد عثمان رضي الله عنه، ولما كانت خلافة علي فإنه أجاز للحارث بن مرة أن يأخذ جماعة من المتطوعين ويتوجه بهم إلى الهند، وقد حمل الحارث ومن معه على الحدود الشمالية والغربية للهند ، وغنموا أموالا كثيرة وقد استشهد الحارث بن مرة وعدد كثير من المسلمين في معركة ' قيقا ن ' سنة 22 هـ ، ثم توجه المهلب بن صفرة سنة 44 في خلافة معاوية إلى الهند ، وحمل على 'بنون' ، ثم حمل عبد الله بن سوار العبدي على قيقان ، وأرسل زياد بن أبي سفيان في خلافة معاوية سلمى بن محيق الهدلي إلى مكران ، وكانت هذه الحملات والمناوشات غير منتظمة ، مستمرة إلى أن يدخل الجيش العربي بلاد السند في شبه القارة الهندية بقيادة محمد بن القاسم الثقفي في نحو عام 91 هـ في عصر الخلافة الأموية بأمر من الحجاج بن يوسف الثقفي حيث كتِب له الفتح والنصر ، ويعتبر هذا

---

[4] - تانه - منطقة تقع على بحر العرب في شمالي بمباي

[5] - بروج في شمالي مدينة سورت بولاية كجرات.

CUP 6567/08/1000/SDE-2

أول فتح عربي في شبه القارة الهندية ، وبذلك تحققت بشارة الرسول بفتح الهند ، وقامت أول دولة عربية إسلامية في شبة القارة الهندية. وسوف نرى مزيدا من التفصيل عن ذلك الفتح وتلك الدولة عند ذكر الدول الإسلامية في شبه القارة الهندية.

الفصل الثالث

قصة إسلام ملك مليبار وسفره إلى جزيرة العرب لمقابلة النبي صلى الله عليه وسلم.

أورد المؤرخون هذه القصة بروايات مختلفة. ويعتبر كتاب : تحفة المجاهدين للشيخ زين الدين بن عبد العزيز المعبرى المليباري أهم المصادر الأصلية الخاصة بأخبار ظهور الإسلام في مليبار، والجهود الفردية بذلها التجار العرب في سبيل نشره في ربوعها. وفيه قسم خاص عن بدء ظهور الإسلام في مليبار حيث أورد قصة لأحد حكامها الذي اعتنق الإسلام حين سمع من التجار العرب عن النبي العربي الجديد ، ومعجزة انشقاق القمر ، ثم سافر مع جماعة من هؤلاء التجار إلى جزيرة العرب ليقابل النبيّ . ونلخص فيما يلي قصة هذه الحادثة كما رواها الشيخ زين الدين ثم نذكر مقتطفات من روايات منها لبعض المؤرخين الآخرين.

كانت مدينة كدنغلور عاصمة لمليبار القديمة، ومقر ملكها والمرفأ الرئيسي في ساحل جنوب غربي الهند. وكان التجار العرب يهتمون كثيرًا بزيارة سرنديب للأغراض التجارية ولزيارة قدم آدم عليه السلام فيها، وعقب ظهور الإسلام في جزيرة العرب، نزل جماعة من العرب المسلمين ومعهم شيخ كبير السن في كدنغلور وكانوا في طريقهم إلى سرنديب مهبط آدم ، ولما سمع ملك كدنغلور خبر وصول هذه الجماعة ، طلبهم لمقابلته وأضافهم في قصره ، وسألهم عن أخبار جزيرة العرب فأخبره شيخهم بأمر النبي الجديد ومعجزة شق القمر، فأدخل الله سبخانه وتعالى في قلبه حب النبي وصدقه فأسلم من صميم الفؤاد . وأمر الشيخ أن يرجع هو وأصحابه إليه بعد زيارة سرنديب، وأسر إليهم أنه سيرافقهم بنفسه في طريق عودتهم إلى بلاد العرب لمقابلة النبي الجديد ، ومنعهم أن يحدث بهذا الخبر أحدا في مليبار.

ولما رجع الشيخ وأصحابه من سرنديب هيأوا مركبا لسفرهم مع الملك من غير أن يعلم به أحد ، فكان في ذلك المرفأ حينذاك مراكب كثيرة للتجار العرب فطلب الشيخ من صاحب أحد هذه المراكب أن يسمح له ولجماعة من الفقراء أن يركبوا في مركبه ، فرضي بذلك ، وحدد السفر في إحدى الليالي. ولما قرب وقت السفر في إحدى الليالي دعا الملك عشيرته وأعيان بلده فقال: 'إني عزمت الانزواء والعكوف على عبادة الله لمدة سبعة أيام ، فلا يقتربن أحد مني طوال هذا الأسبوع' ، ثم وكل أمور الحكم موزعا على وزرائه ورجاله خلال هذه المدة وكتب لهم في ذلك أمرًا حتى لا يتعرض أحد بآخر ولا يختلف اثنان منهم في شؤون الحكم.

وبعد تدبير أمور السفر وترتيب شؤون البلاد من بعده ركب الملك مع الشيخ ورفقائه ليلا ، وسار المركب من ميناء كدنغلور، ووصلوا ' فندرينة ، فباتوا هناك ليلة وقضوا نهارًا ، ثم أبحروا إلى درمفتن ومكثوا فيها ثلاثة أيام ، ثم ركبوا حتى وصلوا إلى مدينة شحر الواقعة على الشاطئ الجنوبي لجزيرة العرب فنزلوا فيها أياما، صلح لهم فيها ترتيب بعثة من المسلمين تقصد ديار مليبار لتدعو الناس إلى الإسلام وتشيد فيها المساجد . ولكن فوجئ الملك بمرض شديد فأوصى في شدة مرضه هؤلاء الدعاة أن لا يتأخروا عن السفر إذا مات ، وأن لا يهنْ منهم العزم، وكان منهم شرف بن مالك وأخوه مالك بن دينار وابن أخيه مالك بن حبيب بن مالك ، فقالوا له : أيها الملك إننا لا نعرف بلادك ولا نعلم منها ثغورها وإنما قصدناها لأنك معنا ، فتفكر الملك ثم كتب لهم باللغة المليبارية مكتوبا إلى أقاربه ووزرائه ودلهم على عناوينهم وأمرهم بأن ينزلوا كدنغلور ودرمفتن وفندرينة وكولم وقال لهم أن لا يخبروا أحدا بمرضه أو عن موته ، ثم توفي الملك هناك.

وبعد موت الملك بعامين توجه شرف بن مالك ومالك بن دينار ومالك بن حبيب مع أسرهم إلى مليبار فوصلوا إلى كدنغلور ونزلوا فيها وأعطوا مكتوب الملك إلى أقربائه وأخفوا خبر موته عنهم، فلما قرأوها وعلموا مضمونها أعطوا هؤلاء الدعاة الأراضي اللازمة لتشييد المسجد وبناء مساكن لهم، فأقام مالك بن دينار ورفقاؤه في كدنغلور وبنوا هناك مسجدا ، ثم ارتحل ابن أخيه مالك بن حبيب مع أسرته لنشر الدعوة الإسلامية في ربوع مليبار وبناء المساجد ، فوصل إلى كولم حيث بنى فيها مسجدا، ثم خرج منها بعد أن أسكن عائلته فيها إلى بلدة هيلى وبنى فيها أيضا مسجدا ثم ذهب إلى كل من باكنور ومنجلور

وكانجركوت وشاليات وبنى في كل من هذه الأماكن مساجد لله ، ونشر دين الإسلام ، ثم عاد مالك بن جبيب إلى كدنغلور وأخذ معه عمه مالك بن دينار فطاف بالمساجد كلها ، وصلى في كل منها. وبعد مدة طويلة سافر مالك بن دينار ومالك بن حبيب مع بعض أصحابهما إلى شحر وزاروا قبر الملك المتوفى فيها ثم سافر مالك بن دينار إلى خراسان حيث توفي هناك في بعض نواحيها . وأما مالك بن حبيب فرجع إلى مليبار وترك بعض أولاده في كولم واتخذ لنفسه وزوجته مستقرًا في كدنغلور حتى انتقل إلى رحمة الله. هذا خبر أول ظهور دين الإسلام في بلاد مليبار.

وهكذا أورد الشيخ زين الدين تفاصيل قصة سفر الملك، وخبر بداية ظهور الإسلام في ديار مليبار ، ولكنه لم يذكر اسم الملك صاحب هذه القصة ولا زمن عهده بالتحديد كما لم يبين تاريخ وقوعها. وكتب المؤرخ المعروف فريشته[6] أيضا عن قصة اعتناق ملك ملياري للإسلام وسفره إلى البلاد العربية في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قائلا أنه أصح من الرواية الأولى عنده، وبعد أن أورد القصة كما روى صاحب تحفة المجاهدين ذكر رواية أخرى فقال: إن الملك السامري حاكم مليبار رأى بنفسه في زمانه عليه السلام معجزة شق القمر في أرضه ، فأرسل رسلا إلى أماكن شتى لتحقيق الأمر ، فأخبر بأن رجلا من العرب يسمى محمد ادعى النبوة فشق القمر لكي يرى قومه بعض معجزاته فهو ذاك. فالسامري ركب البحر وارتحل إلى الحجاز ، لأنه دفعه الشوق الشديد إلى الرحيل إلى الحجاز ليتشرف برؤيا هذا النبي الجديد العظيم ، وكان معه جماعة من حاشيته ، وأتى مكة وتشرف بالإسلام وأقام فيها عدة أيام، ثم عاد إلى وطنه في جماعة من المسلمين فلما بلغ بلد ظفار مات ودفن بها، وقال بعضهم أنه رحل إلى الحجاز فقضى نحبه في الطريق. وكانت وفاته في 'المكلا' فدفن في فناء أحد مساجدها ، والمسلمون الذين كانوا في رفقته خمسة عشر رجلا وخمس نسوة ومن بينهم حبيب بن مالك وعبد الرحمن بن مالك ومحمد بن مالك وعلي وحسين بن مالك وتقي الدين بن مالك وإبراهيم وموسى وعمرو حسين بن مالك وفاطمة وعائشة وزينب وقمرية وحليمة، فأوصاهم قبل موته بأن يسيروا إلى مليبار وينشروا الإسلام فيها وأسرّ إليهم أن لا يخبروهم بموته، وقيل أنه أوصى من معه بأن يبلغوا ذريته وورثته بنبأ إسلامه وموته ،

---

[6] - اسم هذا المؤرخ الشهير كما جاء في نزهة الخواطر محمد قاسم البيجابوري، وقد كان موظفا في مملكة أحمد نكر، ثم انتقل إلى بيجابور في أيام إبراهيم عادل شاه وصنف له كتابا في التاريخ باللغة الفارسية وسماه (كلزار إبراهيمي) أي عقد الزهور الإبراهيمية واشتهر تاريخه باسم تاريخ فرشتة.

ثم كتب إلى حاكم مليبار لأن يكرمهم ويعاونهم ودعاهم فيها إلى اعتناق الإسلام وبناء المساجد والحفاوة بمن يصل من العرب للدعوة والتبليغ ، فلما أتاه هؤلاء المسلمون أعطوه خطابه ، عرف خطه فابتهج غاية الابتهاج وسألهم عن السامري فأجابوا: إننا إذ ركبنا سفينة من ميناء شحر رأيناه ، فلما علم أننا مسافرون إلى مليبار ، كتب هذا الكتاب وقال لنا : ادفعوه إلى حاكم مليبار . وبعد ذلك قدم إليهم جميع التسهيلات اللازمة ، كما طلب الملك في خطابه لنشر الإسلام في بلاده ، وبناء المساجد فيها، فبنوا عددا من المساجد وأشهرها مساجد كدنغلور وكويلون وشاليات ... الخ

وذكر المؤرخ الغربي أرنولد قصة معجزة شق القمر وتصديقها السامري وأهل ديوانه ، وتسميته عبد الرحمن السامري ، ثم قال إن عامة أهل مليبار يعتقدون أن هذه القصة إنما وقعت في عهده عليه السلام، وأما ما قاله الدكتور تاراشاند بعد أن روى هذه القصة : إن راجا(حاكم) رأى تلك المعجزة في منامه فعبر المسلمون رؤياه بأنها معجزة النبي العربي فأسلم، فلا يجد قبولا في بادئ الرأي ولا تأييدا من الروايات الأخرى.

وللباحث الهندي الدكتور تاراشاند بحث طويل عن بداية عهد الإسلام في الهند ، وذكر عند الكلام عن انتشار الإسلام في ساحل الهند الغربي قصة اعتناق أحد ملوكه للإسلام ، ثم علق عليه فقال : ولا يخفى ما يكون لإسلام الملك من تأثير عميق في رعاياه، وتذكار هذا الحادث ظل حيا في مليبار ، فمثلا جرت التقاليد أن زاموري أو (السامري) عندما يرتقي العرش يحلقون رأسه ويكسونه لواحد من المسلمين، ويتوجه رجل من طائفة ' مابلا ' المسلمين ويزعمون أن زامورين ليس جلوسه على العرش إلا كنائب عن الملك الغائب ، وهو ينتظر رجوعه من البلاد العربية، وكذلك أمراء إمارة ترافنكور حينما يتوجون ويحملون السيف يعلن كل واحد منهم في دوره قائلا: إني أحافظ على هذا السيف حتى يرجع العم الغائب الذي رحل إلى مكة.

وإن هذه القصة مشهورة وشائعة بين أهالي مليبار حتى صارت بمثابة قصة شعبية تتناقلها الألسنة جيلا بعد جيل، ويذكرون اسم الملك تشيرمان برمال وتوجد في مكتبة ' المكتب الهندي ' بلندن مخطوطتان منظومتان باللغة العربية ، وفيهما شرح لحوادث اعتناق الملك للدين الإسلامي ، وقدوم المسلمين إلى مليبار وفي واحدة منها كتب اسم الملك شكرورتي وفي الأخرى شكروتى.

والذي يظهر من هذه الروايات أن أصل القصة ليس فيها اختلاف وإنما الخلاف في تحديد زمن وقوع تلك القصة ، وتعيين اسم ذلك الملك ، ولا يهمنا البحث في اسم الملك بقدر ما يهمنا التحقيق في زمن وقوع الحادثة نفسها كوثيقة على أول ظهور لنور الإسلام في شبه القارة الهندية ، ولكن علينا أن نحقق في اسم الملك أيضا لنتبين العصر الذي عاش فيه، كدليل على زمن وقوع تلك الحادثة وللدكتور شمس الله القادري الحيدآبادي كتاب قيم باللغة الأوردية عن: الإسلام والمسلمين في مليبار . وبعد أن استعرض تفاصيل حادثة الملك وسفره إلى جزيرة العرب قال:

'ويرى بعض المستشرقين مستدلين ببعض الكتب التاملية والمليبارية أن اسم الملك الذي أسلم وسافر إلى البلاد العربية كان تشيرمان برمال ومعنى تشيرمان ملك من أسرة تشيرا وبرمال اسمه الخاص ، ومعنى كلمة شكروتى أو شكروتى في اللغة التاملية وفي الغة المليبارية الملك أو الإمبراطور ، وقد اعتاد التامليون والمليباريون أن يخاطبوا كل حاكم بهذه الكلمة كلقب عام. ويفهم من بعض الأساطير التالمية أن شنكرا جاريار مؤسس مذهب فيشنو كان معاصرًا لتشيرمان برمال.

ويقول الدكتور برنل إن مولد شنكرا جاريار كان في سنة 650 ميلادية وسنة 30 هجرية . وإذا سلمنا برأي الدكتور برنل نستطيع أن نقول أن تشيرمان برمال المذكور في القصة كان معاصرًا للنبي صلى الله عليه وسلم.

وما دام التحقيق عن تحديد زمن تلك الحادثة يستدعى التحقق من اسم صاحبها أيضا، فلا بد أن نبحث في الاختلاف الذي رأيناه بين رواة هذه القصة في ذكر اسم صاحبها، فبينما ذكر اسمه المؤرخ فرشته السامري والدكتور تراشاند زامورين ورد اسمه في الروايات الشعبية الشائعة في مليبار، وفي الكتب التاملية والمليبارية تشيرمان برمال. ويبدو لي أن النقطة التي نريد أن نتبينها تقتضي بحثا مفصلا عن العائلات المالكة في جنوب الهند، وخاصة في ساحل مليبار التي كانت تحكمها في العصور القديمة والألقاب المختلفة التي كان يعرف بها أفرادها في مختلف الجهات ، وفي مختلف اللغات ، حتى نستبين هل هذا الاختلاف في الاسم ظاهري يمكن التطبيق أو جذري يتعذر التوفيق ؟

كانت في جنوب الهند قبل الميلاد المسيحي ثلاث حكومات محلية: بانتا ، وتشولا وتشيرا ، فأما بانتا فكانت تحكم المناطق الواقعة في أقصي جنوب شبه القارة الهندية بينما

كانت تحكم تشولا الجهات الشرقية منها الممتدة من نهر ويلار إلى بنار ، وأما تشيرا فكانت مناطق حكمها تمتد على سواحل مليبار الممتدة من كونكن شمالا وكانياكوماري جنوبا ، وترعرع جميع الحضارات الهندية القديمة في جنوب الهند في ظل هذه السلطات الثلاث ، وظلت هذه السلطات حتى بداية حكم المسلمين في الهند.

ولا يهمنا الآن إلا البحث عن أسرة تشيرا ويعرف قدم هذه العائلة من بعض اللوحات الأثرية المكتوبة في عهد الأمبراطور أشوكا . ففيها ذكر عائلة تشيرا باسم تشيرلام بوترا ، وكانت عاصمتهم القديمة في بلدة كدور الواقعة في شواطئ نهر بريار على بعد ثمانية عشر ميلا من مدينة كوشين ، وبعد ذلك بنوا عاصمتهم في بلدة ترونجن كولم الواقعة في فم نهر بريار ثم انتقلت إلى مدينة كدنغلور بساحل بحر العرب.

وقد استطاع البروفسور كيل هورن والملك الهندي سندررام بالا أن يجمع حوالي مائتي لوحة منحوتة لعائلة تشيرا ، وحسب تحقيق البروفيسور كيل هورن أن آخر ملوك تلك العائلة هو تشيرمان برمال ، فلما هم أن يذهب إلى جزيرة العرب بعد أن اعتنق الدين الإسلامي اعتزل الحكم وقسم بلاده بين أفراد عائلته، وقد اشتهر من هؤلاء الحكام الجدد الحاكم ساموتري في كاليكوت ، وأصبح حاكما قويا بفضل مكانة كاليكوت التجارية والسياسية. وفي أسطورة محلية حكاية طريفة عن تسمية عاصمة ساموتيري باسم كاليكوت. وحينما بدأ تشيرمان برمال تقسيم بلاده بين الحكام المحليين جاء إليه ساموتيري متأخرا ، فبينما كان تشيرمان برمال يفكر في المناطق التي يعطيها لساموتري كان من المصادفة أن صاح ديك أمامه، فقال شيرمان برمال فورًا: لك من البقاع مدى ما وصل إليه صياح هذا الديك ، فأصبحت هذه البقعة التي أصبحت تحت إمرة ساموتيري تعرف باسم كوزيكوت ومعناها في اللغة المليبارية محل الديك.

وسمى المؤرخون العائلة المالكة في كوزيكوت (كالكوت) بأربع صور من الأسماء وهي ساموتيري وساموري وتاموري وتاموتري . وهذه الصور الأربع هيئة مشوهة لكلمة سامدري ، ومعناها باللغة المليبارية ملك البحر ، ولما كانت مناطق حكم عائلة تشيرا ممتدة على ساحل البحر، اشتهروا باسم سامدري (ملك البحر).

وبعد أن انتهت الأسرة الحاكمة في كدنغلور بإسلام تشيرمان برمال وسفره إلى خارج البلاد وازدياد نفوذ المسلمين فيها انتقل مركز الحكم إلى حاكم كليكوت، وأصبحت العاصمة

الرئيسية لمليبار، وبالتالي أصبح حكامها يعرفون بلقب الشهرة سامدري واحتجب اسم العائلة الأصلي تشيرمان.

ويبدو من الكتب التاريخية ، أنه قد بدأ استعمال لقب ساموتري للعائلة الحاكمة في مليبار منذ القرن العاشر الهجري ، فاستعمله أولا الشيخ زين الدين المعبري في تحفة المجاهدين ، ثم استعمله المؤرخ فرشته في كتابه ، وذكر المؤرخ المشهور أبو الحسن المسعودي (المتوفى سنة 346هـ /958م) هذا الملك باسم سمور وبلاده بمملكة سمور . فلما وصل البرتغاليون إلى مليبار كانوا هم أيضا ينادون هؤلاء الحكام باسم سمور وبدلها الإنجليز إلى سامورين أو زامورين، ولا زال الكتاب الإنجليز ومن حذا حذوهم يذكرون باسم زامورين.

والذي يتبين من البيانات السابقة أن اسمي تشيرمان برمال وساموتري اللذين استعملهما الكتاب والمؤرخون في ذكر تطورات وحوادث نظام الحكم في مليبار ، والعائلة الحاكمة وأفرادها كانا لقبين مختلفين لشخص واحد ، فأولهما الاسم الأصلي لتلك العائلة أي تشيرا ، وثانيهما هو اللقب الذي اكتسبته هذه العائلة بصفة كونها تحكم المناطق الممتدة على سواحل البحر، أي سامدري ثم ساموتري (ملك البحار).

ويؤيد هذا الاستنتاج تصريح الباحث الهندي الدكتور شمس الله القادري نقلا عن صاحب تحفة المجاهدين، إذ قال : إن قبر تشيرمان برمال في مدينة ظفار بسواحل حضرموت ولا يزال باقيا مزارًا عاما يعرف باسم قبر سامري، ثم نقل الدكتور القادري حكاية شائعة في مليبار عن وجود حجر منصوب على قبره نقش عليه اسمه وتاريخ قدومه ، ويظهر منه أن اسمه عبد الرحمن سامري ، وتاريخ قدومه عام212 هـ/827م، وتاريخ وفاته سنة 216 هـ /831 م.

والذي يلاحظ في تصريح الدكتور شمس الله قادري أن صاحب تحفة المجاهدين استعمل اسم تشيرمان برمال، واسم السامري على شخص واحد عند بيان تحديد موضع قبره كما هو مفهوم من سياق كلامه أن المراد من كلمة سامري التي استخدمها هنا هو نفس ساموتري.

ونستطيع أن نقول في ضوء البحث الطويل السابق أن قصة إسلام تشيرمان برمال ملك كدنغلور في مليبار القديمة عندما سمع عن النبي العربي ورسالته ومعجزته شق القمر،

من التجار العرب الذين كانوا ينزلون عنده في ضيافته وسفره إلى جزيرة العرب لمقابلة النبي الجديد، قد حدثت في أغلب الظن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم.

وأما تاريخ حدوثها فلم يشر إليه أحد من مؤيدي هذا الرأي من المؤرخين والكتاب إلا المؤرخ الباحث المليباري بالاكريشنا بلاي فقال:

(إن محمد بن عبد الله قد بعث الرسائل يدعو فيها إلى الإسلام إلى ملوك إفريقيا وإلى ملك مليبار ، وأن أول خطاب من الرسول العربي قد وصل إلى ملك مليبار فى عام 628 للميلاد ، وأن تشيرمان برمال ملك كدنغلور قد زار النبي ، هذا في السابع والخمسين من عمره صلى الله عليه وسلم. في ذلك الزمن أيضا وصلت إلى بلاد مليبار جماعة من الدعاة المسلمين العرب، وعلى رأسهم مالك بن دينار وشرف بن مالك ، ونزلوا في مدينة كدنغلور ، ثم جابوا جميع أنحاء كيرالا داعين إلى الإسلام وبانين المساجد ...)

ولكن الذي يشكك باحثا يريد التحقق في هذا الموضوع ورود تعليق في تحفة المجاهدين للشيخ زين الدين المعبري بعد سرد قصة اعتناق الملك المليباري ، وسفره إلى البلاد العربية، إذ قال: (هذا خبر أول ظهور دين الإسلام في بلاد مليبار ، وأما تاريخه فلم يتحقق عندنا ، وغالب الظن أنه إنما كان بعد المائتين من الهجرة النبوية . وأما ما اشتهر عند مسلمي مليبار أن إسلام الملك المذكور كان في زمان النبي برؤية انشقاق القمر ليلة، وأنه سافر إلى النبي وتشرف بلقياه ورجع إلى شحر قاصدا مليبار مع الجماعة المذكورة وتوفي فيها، فلا يكاد يصح شيء منها، والمشهور الآن بين الناس أنه مدفون في ظفار لا شحر وقبره مشهور هناك يتبرك به ، وأهل تلك الناحية يسمونه السامري. وخبر غيبة الملك المذكور مشهورة عند جميع أهل مليبار المسلمين والكفرة)

والذي يلاحظ في تعليقه هذا، أولا أنه لم يذكر اسم الملك ولا زمن الحادثة، وثانيا أن قوله أنها وقعت بعد القرن الثاني الهجري يناقض كل ما ذكر من الأسباب والظروف المحيطة ببداية الحادثة ، والكيفية التي تم بها سفر الملك وصحبه إلى جزيرة العرب.

وأما القول بأن الإسلام جاء إلى مليبار بعد القرن الثاني الهجري فتفنده الوثائق التاريخية الحديثة (كما سنذكرها بنوع من التفصيل في الفصول التالية) وكما أنه يفقد أهمية هذه القصة على رغم كونها وقعت من ملك، لأن الإسلام قد انتشر في مليبار في السنوات الأولى للبعثة المحمدية، بدليل أن الإسلام قد وصل إلى سيلان على يد التجار والبحارة

العرب ، ووصل وفد منها إلى جزيرة العرب، وقابل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومن المعروف أن سيلان أبعد من مليبار من جزيرة العرب، وقد أصبحت مليبار نقطة ارتياد التجار والبحارة العرب في رحلاتهم إلى سيلان وغيرها منذ القدم . وأيضا إن تاريخ قيام أول دولة عربية في شبه القارة الهندية يرجع إلى القرن الأول الهجري حيث فتح الجيش العربي، تحت قيادة محمد بن قاسم الثقفي السند في عام 91 هجري.

وجدير بالذكر أيضا أن الكتب التاريخية قد أجمعت على أن أسرة برمال قد انقرضت تماما في القرن التاسع للميلاد وأن نفوذ المسلمين قد وصل في تلك الفترة ، إلى حد كبير في جميع أنحاء الهند، وخاصة في ربوع مليبار ، ونستشهد هنا بقول الدكتور تاراشاند نقلا عن المؤرخ أنيس(Inness) إذ قال : 'إن الأسرة الحاكمة في كدنغلور انتهت بإسلام ملك يحمل لقب برمال وعزله في القرن التاسع، والظاهر أن المسلمين في هذا العهد وصلوا إلى نفوذ كبير ، فقد كانوا يلقبون بكلمة مابلا وهو لقب احترام ، وخص المسلمون بمظاهر الاحترام الأخرى، وقد كان من عطف زامورين وحمايته ومساعدته أن كثر عدد التجار العرب في مملكته وهم ساعدوه مساعدات عظيمة ليس بتوفير ثروته وتعمير بلاده فحسب بل في حروبه كذلك '.

وهذا القدر من التفصيل يثبت أن قصة إسلام الملك تشيرمان برمال وسفره إلى جزيرة العرب وقعت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ويفند ما رواه بعض المؤرخين بأنها وقعت بعد القرن الثاني الهجري استنادا على رأي صاحب تحفة المجاهدين ، مع أننا نستطيع محاولة التوفيق بين الروايات المختلفة المذكورة، في تحديد الأزمنة وتعيين الأسماء ، بعدم استبعاد تعدد حوادث مماثلة في عصور مختلفة لعدد من أفراد أسرة واحدة. وأما ما أقدم عليه بعض المؤرخين ، مثل السيد سليمان الندوي ، من إنكار وقوع هذه القصة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم مستدلين بعدم ذكرها في القرآن أو في كتب الأحاديث المشهورة، فلا يؤخذ حجة لتفنيد وقوعها، لأن عدم ذكر الشيء لا يدل على عدم وجوده ، ولا ينبغي لنا أن نستبعد وقوع هذه الحادثة كما بيناها ما دام لم يقم دليل عقلي أو شرعي على نقيضه ، ولا ينبغى لنا أيضا أن نستبعد الظروف التاريخية والطبيعية التي ترجح كفة احتمال وقوعها، كما بينها لنا المؤرخون الذين لآرائهم وزن واعتبار في ميزان المنهج العلمي في البحوث التاريخية.

الفصل الرابع

الأسرة المالكة المسلمة الأولى في الهند

وتوجد في مدينة كنور بشمالي مليبار أسرة مالكة مسلمة تعرف باسم أراكل راجا ومشم أي الأسرة المالكة بأراكل. وتدل الوثائق التاريخية وروايات المؤرخين أن هذه الأسرة يرجع أصلها إلى تشيرمان برمال. فكان مؤسس هذه الأسرة المالكة هو محمد على بن السيدة شري ديفي، أخت تشيرمان برمال ، وكان اسمه الأصلي قبل اعتناق الإسلام مهابالى ، ويظهر من الوثائق المحفوظة في قصر أراكل في مدينة كنور أن ابن شري ديفي اعتنق الدين الإسلامي، في سنة 64 هـ وأسس هذه الأسرة وشيدها ، و كانت عاصمتها الأولى في مدينة دهرمدم.

ومما يدل على قدم هذه الأسرة النقود الفضية التي تحمل اسم مالك أراكل بكنور، ويعود تاريخ نشرها إلى القرن الثامن للميلاد. وقد عرضت هذه النقود في المعرض الثقافي الذي أقيم في مدراس عام سنة 1942.

وتوجد قي قصر علي راجا الحالي في كنور وثائق تاريخية من الصحائف النحاسية والنقود التاريخية والوثائق المكتوبة عن المعاهدات والأحلاف، سواء في اللغة العربية أو في الخط العربي المليباري ، وتنطق هذه الوثائق بأن تاريخ هذه الأسرة يعود إلى أول عهد للإسلام في مليبار ، كما أنها تشير إلى الدور الكبير الذي لعبته هذه الأسرة الحاكمة في نشر الدعوة الإسلامية في ربوع مليبار.

وأرى من المناسب أن أذكر هنا البحث الذي قمت به عن تاريخ هذه الأسرة الحاكمة المسلمة الأولى في الهند خلال المقابلة الشخصية التي جرت بيني وبين العالم الهندي مولانا محمد حفظ الرحمن الأمين العام الأسبق لجمعية علماء الهند، وصاحب كتاب الإسلام في مليبار. وذلك في أوائل عام 1956 في مكتبه بالمركز العام لجمعية العلماء في مدينة دلهي. فبينما كنت أعد بعض المقالات العلمية عن تاريخ الإسلام والمسلمين في مليبار، بطلب من

رئيس تحرير مجلة ثقافة الهند مولانا عبد الرزاق مليح أبادي، التي يصدرها مجلس الهند للروابط الثقافية، وكنت أعرف أن مولانا حفظ الرحمن قد قام أثناء رحلته إلى مليبار بزيارة قصر على راجا بأراكل والاطلاع على الوثائق التاريخية المحفوظة في قصره، والتحقيق فيها تمهيدا لتأليف كتاب آخر عن بداية الدعوة الإسلامية في مليبار استنادا على هذه الوثائق وعلى غيرها من المخطوطات المحفوظة في مكتبة الجمعية الآسيوية بكلكتا. فقد صرح لي مولانا: أن الوثائق المحفوظة في قصر عبد الرحمن على راجا في مدينة كنور في شمال مليبار تشهد بأن دعوة الإسلام قد ابتدأت في بلاد مليبار في أيام حياة النبي صلى الله عليه وسلم ويستطيع كل من يزور مدينة كنور أن يطلع على هذه الوثائق في قصره ومن المؤسف أن هذه الآثار والوثائق القديمة لم تر النور بعد . وأنه يحاول إخراج ما يمكن إخراجه من هذه المجموعة التاريخية الثمينة إلى دنيا النور من غياهب الظلام لتكون هدى ونورًا لعلماء البحث والتاريخ. وأضاف يقول: إنه يريد أن يرتب ويؤلف كتابا عن بداية الدعوة الإسلامية في مليبار خلال أيام حياته صلي الله عليه وسلم، استنادا على هذه الوثائق وغيرها من المخطوطات المحفوظة في مكتبة الجمعية الآسيوية بكلكتا، تكملة لكتابه الأول عن الإسلام في مليبار.

ومن المؤسف جدا أن الظروف لم تساعده، والقدر لم يسعه لأن تتحقق رغبته المنشودة في حياته. وقد توفي رحمه الله في عام 1962، ولا أدري مصير تلك المصادر والمواضيع القيمة التي جمعها المرحوم تمهيدا لمؤلفه الجديد. ولكني تأكدت من حديثه أنه مقتنع بحجية هذه الوثائق وواثق بصحتها ، لما عرف منه بالذكاء والدقة والنزاهة والإخلاص والتدين. ولهذا أعتبر الرأي الذي صرح لي به بناء على دراساته وتجاربه وبحوثه حجة ً للقول بأن تاريخ بدء الدعوة الإسلامية في مليبار يعود إلى عهده صلي الله عليه وسلم وأن تاريخ أسرة علي راجا بكنور أول أسرة حاكمة مسلمة في شبه القارة الهندية حيث يعود تاريخها إلى بداية عهد الإسلام فيها.

وروى المؤرخ المليباري شانكوني ناير روايات عديدة عن تاريخ الأسرة الحاكمة بأراكل ونشأتها ومنها: أن كنور كانت تحت حكم ملك كولتري الذي كان معاصرًا لساموتري أوسامدري وأقام بصفة دائمة في مدينة كنور واعتنق قواده ورجال حاشيته الدين الإسلامي،

فمن ثم جاءت أسرة مالكة مسلمة إلى حيز الوجود في مليبار . وكان يدعى ملوك هذه الأسرة بلقب آدي راجا أي الملك الأول أو آبي راجا أي ملك البحار. ومنذ أن عرف علي راجا الأول بلقب سلطان البحر بدأ الناس يدعونهم بألقاب السلاطين وذلك منذ القرن الثالث عشر للميلاد. وجدير بالذكر أن هذا اللقب لم يشتهر إلا في بعض البلاد الخارجية وخاصة بين التجار العرب. وأما اللقب الشهير لأفراد هذه الأسرة هو علي راجا نسبة إلى محمد علي راجا الأول مؤسس الأسرة وأن راجا معناه في اللغات الهندية الحاكم أو الملك.

وفي رواية أخرى أن فتاة من الأسرة المالكة كولتري تزوجت من مسلم أنقذها مرة من حادثة خطيرة فعزلوهما في قصر خاص، بعيد عن القصر الملكي، فتكونت أسرة مستقلة من هذين الزوجين وعرفت فيما بعد بأسرة أراكل ثم صار إليها حكم البلاد كلها. وهذه الرواية تتناقض مع الحقائق التاريخية الثابتة عن الأسر المالكة في مليبار ، لأن أسرة كولتري بدأت تحكم البلاد في أواخر القرن التاسع الميلادي، وكان القرن الحادي عشر عصرا ذهبيا في تاريخ هذه الاسرة، وعلى هذا بدأت أسرة كولتري تبنى مجدها بعد تشيرمان برمال، وهذا يدل على أن الاسرة المالكة بأراكل غير متفرعة من أسرة كولتري ، لأنها أسبق زمنا من تاريخ قيام أسرة كولتري.

وبعد أن رأينا نشأة الأسرة الحاكمة الأولى في مليبار ننتقل إلى علاقاتها مع البلدان الأخرى، وكانت مدينة كنور الواقعة على ساحل بحر العرب مركزًا للتجارة الخارجية ، وكان الملك الحاكم بنفسه يتولى مهمة تصدير المنتجات العامة إلى الخارج مثل الفلفل والقرنفل وغيرهما، حتى اشتهر ملك أراكل في الأسواق التجارية بمصر وغيرها من بلدان إفريقيا ولبنان وجزيرة العرب، بلقب 'الملك التاجر' ، وقام ملوك أراكل منذ العهود الأولى لقيام الأسرة ببناء قصور وقلاع لهم في كنور، وتدريب جيوش البلاد على طراز عصري ودعم وسائل الدفاع عن الوطن، كما قاموا بإصلاحات عديدة في الموانئ والمدن الرئيسية حتى أصبحت ممهدة لاستقبال السواح والرحل ورجال التجارة من شتى أنحاء العالم، ويدل على تلك النهضة البنائية والمعمارية التي حدثت في عاصمتهم ما نراه اليوم من القلاع الأثرية والقصور التاريخية وآثار المدن المشيدة في مدينة كنور.

ومما يدل على نفوذهم في البلدان الخارجية الوثائق المحفوظة في قصر أراكل التاريخي عن المعاهدات والعقود التجارية والسياسية التي عقدت بين ملوكها وبين البلاد الأخرى، ومنها ما يدل على أن ملوك أراكل أبرموا عدة معاهدات ودية تجارية مع البلاد الخارجية ، وكانوا يستقبلون السفراء والمندوبين من مصر وتركيا وإيران وأفغانستان وغيرها من البلاد المجاورة، ومنها أيضا ما يشير إلى أن أهالي محل ديب طالبوا بالحكم الذاتي والانفصال عن مليبار، ويفهم من بعض الوثائق أن ترسانة كنور كانت من أكبر ترسانات السفن في موانئ العالم، وقد تولى ملك أراكل حكم جزر محل ديب ولكاديب وغيرها، وأدخل بعد ذلك بعض التعديلات في نظام الحكم في مليبار. ولما قامت القوات البرتغالية بأولى غاراتها البحرية لاحتلال شواطئ الهند الغربية صدتها قوات مشتركة من جيوش مالك أراكل ساموترى والأمير حيدر على حاكم حيدآباد، والسلطان تيبو حاكم ميسور. وإن لم يحرز البرتغاليون نصرا في هذه المعركة فقد واصلوا المحاولات لبذر بذور الاختلاف والفتنة بين الملوك وحكام مليبار، وشجعوا الخلافات والمنازعات فيما بيهم، ومع الأسف الشديد فقد نجح البرتغاليون في هذا الميدان إلى حد كبير.

وفي عام **1505** استطاع البرتغاليون بناء قلعة كبيرة في مدينة كنور تحت ستار توسيع التبادل التجاري ولكن أصبحت تلك القلعة مصدر قلق شديد وتهديد خطير لحكام الوطن، لأنها أصبحت فيما بعد مركز الأسلحة والجيوش الأجنبية. فجرت ثلاث عشرة معركة عنيفة بين البرتغاليين وبين جيوش أراكل للقضاء على تلك القلعة المشؤومة التي صارت وكرًا للمؤامرات الأجنبية لاحتلال مليبار واستغلال مواردها والاستيلاء على تجارتها.

ولما وصل الهولنديون إلى مليبار للأغراض التجارية، وصارت في أيديهم الأسواق التجارية الكبرى في المدن الساحلية، أرادوا الاستيلاء على الحكم، ولكن عرفوا قوة جيوش أراكل وإخلاصها للوطن فقرروا التعايش السلمي مع العائلة المالكة وفي عام **1770** باع الهولنديون قلعتهم التي بنوها في كنور إلى ملكة أراكل المشهورة بلقب أراكل بي بي بمقابل مائتي ألف روبية. وفي عهد الملكة بي بي عقد صلح بينها وبين الأمير حيدر على وقدم بنفسه إلى مليبار، وبعد ذلك أبرم ابنه السلطان تيبو أيضا معاهدة مماثلة، وأقام مدة من الزمن عند الأسرة المالكة بكنور مشرفا على الشؤون الدفاعية في البلاد.

وكان عهد الصداقة والصلات والطيدة بين السلطان تيبو وبين الأسرة المالكة بأراكل عصرًا ذهبيا في تاريخ الأسرة وتاريخ مليبار. ولكن منذ أن أنشِئت شركة الهند الشرقية الإنجليزية في جنوب الهند، أضمرت حقدا وعداءً نحو السلطان تيبو، لأنه كان زعيم القوات الدفاعية، فحاول الإنجليز السيطرة على قلعة كنور بعد أن عاشوا تحت ستار الصداقة والتعايش مع ملوكها، وقامت شركة الهند الشرقية بأنواع من وسائل الخداع والمكر للاستيلاء على ميدان القلعة للتدريب العسكري عام 1798، ففي عام 1795 شنوا حملات متواصلة للاستيلاء على إمارات مليبار.

وفي عام 1796 عقد الإنجليز معاهدة صلح مع أسرة أراكل بشرط أن تدفع إليهم جزءا من إيرادات الجزر التي تحكمها. ولكن الإنجليز شنوا حملة للاستيلاء على قلعة كنور، وقتل فيها ملك أراكل زوج بي بي المذكورة وكثير من قادتها العسكريين وزعمائها الوطنيين. ومع سقوط جيش أراكل اكتملت سيطرة الإنجليز على الأسواق التجارية كلها في موانئ مليبار. ويقول المؤرخ إف إف إس دافيد أن الأسرة المالكة بأراكل كانت مثلا أعلى لمحاربة الظلم والفساد، وكان شعارها العدل والصدق، ويروي عن نظام إدارة الشؤون المالية في أراكل: " وكانت لخزانة الدولة أربعة مفاتيح مختلفة: واحد منها عند الملك، والثاني لدي مدير مصلحة التجارة ، والثالث يحتفظ به رئيس القضاء ، والرابع عند صاحب الخزانة . ولفتحها يحضر الأربعة مع مفاتيحهم حتى يكون الفتح أمامهم جميعا".

فيقول المؤرخ الهندي الدكتور تارشاند عن أسرة علي راجا بأراكل:

'وأسرة علي راجا المسلمة التي كانت تنجب أمراء البحر والوزراء لملوك كولتري أسسها رجل من العرب الذين استقدمهم من بلادهم الملك تشيرمان برمال. وكان زامورين يثق بالمسلمين ثقة عظيمة حتى أنه كان يرغّب بنفسه الناسَ في اعتناق الإسلام وذلك لتقوية أسطوله الذي كان في أيدي المسلمين، بل إنه أصدر أمرًا يحتم على كل أسرة من السماكين في مملكته أن تربي واحدا أو اثنين من أبنائها على الديانة الإسلامية'.

وهذا القول الذي سجله أحد المعاصرين الباحثين من المؤرخين غير المسلمين يساعد الباحث على تكوين رأي خاص، محايد عن مكانة هذه الأسرة في شؤون البلاد وبداية

عهدها، وموقف الحكام غير المسلمين تجاه رعاياهم المسلمين في تلك العصور، كما أنه يلقى ضوءًا على الخدمات الجليلة التي أسداها المسلمون الأول في مليبار في سبيل تنمية البلاد وتقوية مركزها الاقتصادي والدفاعي.

الفصل الخامس

في ذكر بعض المساجد والقبور الأثرية التي يرجع تاريخها إلى القرن الأول الهجري

عرفنا من الفصول السابقة أن منطقة مليبار في أغلب الظن هي أول بقعة ظهرت فيها الدعوة الإسلامية في شبه القارة الهندية، كما سبقت الإشارة إلى أن أول من أقام المساجد في تلك البقعة هو مالك بن دينار في مدينة كدنغلور عاصمة مليبار القديمة، فإذا تحققت هذه الرواية يثبت أن أول مسجد شيد في أرض الهند هو مسجد كدنغلور المعروف الآن باسم مسجد تشيرمان برمال نسبة إلى الملك تشيرمان برمال المشهور باعتناق الإسلام في عهد النبي وسفره إلى جزيرة العرب لمقابلته عليه السلام. كما أشار إليه قول الشيخ زين الدين بن عبد العزيز المليبارى في حديثه عن ظهور الإسلام في مليبار فقال: ' فأقاموا فيها وعمروا فيها مسجدا وتوطن فيها مالك بن دينار وأقام ابن أخيه مالك بن حبيب مقامه لبناء المساجد في مليبار فخرج مالك بن حبيب إلى كولم بماله وزوجته وبعض أولاده وعمر بها مسجدا... إلخ.

ويتبين من بيان تحفة المجاهدين أن مسجد كدنغلور الذي بناه مالك بن دينار هو أول مسجد في بلاد مليبار. وتؤيد هذا الاستنتاج شهرته بين أهالي كدنغلور منسوبة إلى تشيرمان برمال. وذكر بعض المؤرخين أنه وجد محفورًا على حجر في مسجد يقع بقرب بلدة بينور في كيرالا أن الإسلام ظهر فيها في السنة الخامسة من الهجرة، ولا ندري إن صحت هذه الرواية، المقصود من حفر تاريخ ظهور الإسلام على أحد أحجار المسجد، مع أن العادة المتبعة في بناء المساجد أن يحفر ويكتب ما يتعلق ببنائه، من ذكر تاريخ الفراغ من بنائه واسم صاحبه. ولكن هذه الرواية تدل ، بدون شك ، على الاعتقاد الشائع بين الناس في تلك الجهات، أن الإسلام ظهر في مليبار في السنين الأولى من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم.

ويثبت من التواريخ المعروفة لبعض المساجد الموجودة حاليا أن بناء المساجد قد انتشر في أنحاء مليبار قبل 1200 سنة من الآن حيث أن تواريخ مساجد في شاليام وكويلاندي وغيرهما من المدن الرئيسية في مليبار القديمة ترجع إلى عام 120 هجري، أي 700 ميلادي ، وأن هذا الواقع التاريخي يفند أيضا الرأي القائل بأن الإسلام قد ظهر في مليبار في القرن الثالث الهجري، مع أن التشكيك في هذا الرأي يرجح آراء من يقولون أن حادثة إسلام ملك كدنغلور وبناء أول مسجد فيها كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم. كما أن هذا الرأي هو المرجح عند المؤرخ الفارسي فرشته، ومال إلى ترجيحه بعض المؤرخين المستشرقين مثل تايتس في كتابه البحث عن الإسلام، وأرنولد في كتابه الدعوة إلى الإسلام والدكتور تاراشاند والدكتور شمس الله القادري ومولانا حفظ الرحمن وبالا كرشنا بلاي وسيد محمد وغيرهم من مشاهير الكتاب عن تاريخ مليبار. وفوق هذا وذاك أنه أقرب إلى القياس وإلى الحكايات المشهورة بين جميع طوائف أهالي مليبار.

ومن طليعة المساجد في شبه القارة الهندية بعد مسجد تشيرمان برمال الذي بناه مالك بن دينار وصحبه، تلك المساجد العشرة التي بناها مالك بن حبيب في أنحاء كيرلا كما بين الشيخ زين الدين فقال (... وأقام ابن أخيه مالك بن حبيب مقامه لبناء المساجد في مليبار فخرج مالك بن حبيب إلى كولم بماله وزوجته وبعض أولاده وعمر بها مسجدا، ثم خرج منها بعد ما خلى زوجته فيها إلى هيلي ماراوي وعمر بها مسجدا ثم رجع منها إلى باكنور وعمر بها مسجدا ، ثم رجع منها إلى منجلور وعمر بها مسجدا، ومنها إلى درمفتن وعمر بها مسجدا، وخرج منها إلى كانجركوت وعمر بها مسجدا ومنها إلى هيلي ماراوي وأقام بها ثلاثة أشهر ومنها إلى جرفتن وعمر بها مسجدا، ومنها إلى درمفتن وعمر بها مسجدا، ومنها إلى فندرينة وعمر بها مسجدا ومنها إلى شاليات وعمر بها مسجدا وأقام بها مدة خمسة أشهر، ومنها إلى كدنغلور عند عمه مالك بن دينار ثم سافر منها إلى المساجد المذكورة وصلى في كل مسجد منها ورجع إلى كدنغلور شاكرا لله وحامدا له بظهور دين الإسلام في أرض ممتلئة كفرا.)

ولم نجد في كتب التاريخ ولا في الوثائق التاريخية الأخرى ما يدل على قيام مسجد في أية بقعة في أرض الهند قبل هذه المجموعة من المساجد التي بناها مالك بن دينار ومالك

CUP 6567/08/1000/SDE-3

بن حبيب في أنحاء مليبار. ويرجع تاريخ أول مسجد شيد في شمالي الهند إلى عهد الفتح الإسلامي العربي لبلاد السند. وقد أجمع المؤرخون على أن تاريخ الفتح الإسلامي لبلاد السند يرجع إلى سنة 91 هجرية حيث دخلها جيش محمد بن القاسم الثقفي . وقد روى البلاذري أن محمد بن قاسم الثقفي بنى أول مسجد في مدينة ديبل. عاصمة الوثنيين في بلاد السند، بعد أن فتحها واختط بها مدينة للمسلمين، وأنزل فيها جيشا يتألف من أربعة آلاف جندي (وسيأتي تفصيل ذلك عند ذكر أول دولة عربية في شبه القارة الهندية) وأما تاريخ تشييد أقدم المساجد في دلهي فيرجع إلى ما بين عامي 1191- 1196 ميلادي وهو مسجد قوة الإسلام الذي بناه قطب الدين أيبك تخليدا لذكرى استيلائه على دلهي، ثم وسعه كل من السلطان ألتمش سنة 1230 ميلادية وعلاء الدين خلجي سنة 1295 ميلادية، ولا تزال بقايا هذا المسجد التي تحمل كتابات باللغة العربية بحروف بارزة من الحجر عن تاريخ إنشائه وغيره، قائمةً في فناء منارة قطب الشهيرة في دلهي.

وكنا نبحث عن الشواهد والأدلة التي تساعدنا على تكوين رأي قائم على منهج علمي سليم عن بداية ظهور الإسلام في شبه القارة الهندية، وعن أول بقعة أشرق عليها نوره، وقمنا بجولات باحثة حول شتى الوثائق والمصادر والآثار التاريخية حسب ما وصل إليه علمنا وسعينا ، من الكتاب الموثوقة بها، والمساجد الأثرية وتواريخ بعض الأسر المسلمة القديمة وآثارها ومخلفاتها. ويحق لنا الآن أن نبحث أيضا في بعض القبور الأثرية التي عليها أمارات يستدل منها أن تاريخ انتشار الإسلام واللغة العربية في مليبار بجنوب الهند يرجع إلى السنوات الأولى للهجرة النبوية. ونورد فيما يلي بعض التفاصيل عن هذه المجموعة من القبور الأثرية المشار إليها.

تقع في جنوب شرقي مدينة كنور في شمالي مليبار بمسافة عشرين ميلا ، مدينة صغيرة تدعى إريكور وفيها مقبرة قديمة معروفة باسم نيلاموتام وتشمل هذه المقبرة حوالي مائة قبر أثري وعلى كل منها شاهدة واحدة (بلاطة الضريح) من الحجر الأبيض، عكس العادات المتبعة في مقابر المسلمين في هذه المنطقة، لأن من المعتاد عندهم أن تنصب شاهدتان من الحجر العادي بشكل محرابي على طرفي القبر، ومن المميزات الأخرى البارزة لهذه القبور أن الكتابة المحفورة على كل من هذه اللوحات في لغة عربية قديمة بحروف

خالية من النقط. وتظهر من الكلمات المحفورة عليها أسماء أصحابها العربية الإسلامية مثل حسن وزيد وأمثالهما. ولو لم نعثر بعد على روايات أو وثائق تاريخية تدل على تفاصيل أخبار هذه القبور وأصحابها، ولكنها تبعثنا على الاعتقاد بأن هؤلاء إما قد وصلوا من البلاد العربية إلى تلك البقاع قبل سنة 60 من الهجرة أو انتشرت اللغة العربية هناك في ذلك الزمن بين مسلميها، حتى سموا بأسماء عربية ودفنوا بطريقة إسلامية، لأن نظام كتابة اللغة العربية بالنقط والتشكيل قد بدأ بعد الستين من الهجرة النبوية أي في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي الذي يعرف بلقب (واضع النقاط والحركات للحروف العربية) . وفي ضوء هذه الدلالات التاريخية يمكن لنا أن نستنتج أن الإسلام قد وصل بل انتشر في مليبار قبل عهد الحجاج بن يوسف الثقفي ، ووضعه نظام كتابة العربية بحروف ذات نقاط وحركات وذلك بعد الستين من الهجرة، مع وجود احتمال قوي أن يصل الإسلام إليها قبل ذلك بفترة طويلة، كما تدل على هذا الاحتمال تلك القبور التي تصل إلى المئات والتي حفرت على شواهدها معلومات عن أصحابها باللغة العربية السائدة حينذاك في بالبلاد العربية.

الفصل السادس

أول بقعة أشرقت بنور الإسلام في شبه القارة الهندية

رأينا فيما سبق من البيانات عن الموقع الجغرافي لكل من شبه القارة الهندية وشبه جزيرة العرب، وعن الطرق البرية والبحرية القديمة بين البلدين ما يدل على أن أقدم طرق الاتصال وأهمها بينها هو طريق شواطئ الهند الغربية الجنوبية الواقعة على بحر العرب، وكانت هذه الشواطئ مركز ارتياد التجار والبحارة العرب للأغراض التجارية في الهند، كما كانوا يمرون بشواطئها في رحلاتهم إلى سرنديب (سيلان) وإلى الصين والملايو وإندونيسيا وغيرها من بلدان الشرق الأقصى، وينزلون في موانئها لتزويد سفنهم بالمؤن اللازمة في رحلاتهم الطويلة. وكان المؤرخون والرحالة العرب يطلقون على هذه المناطق الممتدة على ساحل بحر العرب في جنوبي غربي شبه القارة الهندية اسم مليبار، فيقول الرحالة العربي المؤرخ ابن بطوطة: '... وصلنا إلى بلاد المليبار - بضم الميم وفتح اللام وسكون آخر

الحروف ، وفتح الباء الموحدة وألف وراء - ، وهي بلاد الفلفل ، وطولها مسيرة شهرين على ساحل البحر من سندابور إلى كولم والطريق في جميعها بين ظلال الأشجار..'

وإن مهمتنا في هذا الفصل هو البحث في الوثائق والروايات والحوادث التارخية التي تشير إلى أن مليبار هي أول بقعة أشرقت بنور الإسلام في شبه القارة الهندية حتي نخرج منها بنتيجة يكون لها وزن في ميزان البحث العلمي ويفتح بها باب جديد في تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند، وبالتالي في تاريخ الإسلام العام. ولكن حديثا عاما مختصرًا عن مدى العلاقات التجارية القديمة المباشرة بين العرب والمليبار، وعن كثرة ترددهم على موانئها، لا يحيد بنا عن صميم الموضوع ، بل هو يساعد على فهم الملابسات والظروف المحيطة بتلك الحوادث التارخية.

وكان التجار العرب من قديم الزمان هم الوسطاء بين الهند والروم واليونان في ميدان العلاقات التجارية، وما كانت للروم واليونان علاقات تجارية مباشرة مع الهند إلا بعد فتح سيسر أغسطس مصر قبل حوالي عشرين سنة للميلاد، وبدأ الروم السيطرة على البحر الأحمر مع أن محصولات الهند مثل الأرز والفلفل وغيرهما كانت معروفة لديهم ومتداولة في أسواقهم قبل هذه الواقعة لقرون طويلة.

وأما الأرز أو الرز فيسمى فى لغة تامل ولغة مليالام أرش أو أري وفي العبرانية أروس وفي اليونانية أروز، وحكي عن سوفوكليس اليوناني أن الطعام المصنوع من الرز كان من الأطعمة المفضلة الممتازة عند اليونان، وقد وصل الرز إلى هذه المكانة والشهرة في اليونان قبل عدة قرون للميلاد. وهذا يدل على أن التجار العرب كانوا يشترون الرز من مليبار وغيرها من مناطق جنوب الهند ، ثم ينقلونها إلى سواحل جنوب جزيرة العرب ومن هناك ينقلها وكلاء التجارة الداخلية إلى تدمر بسوريا، والإسكندرية بمصر بطريق الحجاز واليمن ثم يشتريها منها التجار الغربيون ويصدرونها إلى أسواق مدن بلادهم.

ومما يدل على وجود علاقات مباشرة بين جزيرة العرب وبين مليبار أن أهالي المناطق الجنوبية للجزيرة كانوا يأخذون من مليبار أشجار النارجيل (جوز الهند) وأوراق التانبول (التنبول)، ويغرسونها في أراضي بلادهم ولا تزال هذه الظاهرة موجودة في حضرموت

وظفار ومسقط ، وغيرها من المدن الساحلية التي كانت مراكز المحصولات المليبارية في بلاد العرب. ويمكن أن توصف الفترة التى تلت ظهور الإسلام في القرن السابع للميلاد بالعصر الذهبي للعلاقات التجارية بين الهند والعرب، وصارت في هذه الفترة مكة وغيرها من المدن الهامة في الحجاز مراكز النشاط التجاري ، وكان العرب المارون في جنوبي الجزيرة العربية يقومون بدور وكلاء التجارة بين مصر والحبشة والحجاز مستخدمين ميناءهم الرئيسي في مدينة جدة ويشترون البضائع الهندية من موانئ الهند مباشرة أو بطريق اليمن، وأما موانئ ساحل مليبار مثل كاليكوت وكويلون وغيرهما كانت حينئذ مراكز التوزيع الرئيسية للتجارة الهندية العربية.

وأما الأسماء المستعملة في الكتب القديمة وفي الآداب التاملية ، والكنارية لهذه المنطقة فهي كيرالام أو ملايالم. أما كلمة كيرلم أوكيرل في لغة كنارا (كرنادكام) فهي صورة مشوهة لكلمة تشيرالام أو تشيرل فى لغة تامل، ومعناها بلاد الجبال، لأن هذه المنطقة الساحلية مليبار تقع بين سلسلة الجبال الغربية المعروفة في غرب شبه القارة الهندية وبين بحر العرب ولهذا سميت كيرال أو كيرالام أو تشيرلم وتعرف اليوم باسم كيرالا استنادا على الاستعمال الشائع في الأدب الإنجليزي.

وأما اسم مليبار فيتألف من كلمتين: ملي و بار وتستعمل كلمة ملي أو مليا أو مل في اللغتين السنسكريتية والدرافيدية بمعنى الجبل . وبار كلمة فارسية ومعناها الكثير، فصار معنى مليبار أو ملبار بلد الجبال أو بلد كثير الجبال ، وأول من أطلق اسم مليبار على تلك المنطقة هم الملاحون الذين قدموا إلى موانئها ومدنها الساحلية ، من الجزيرة العربية وبلاد فارس ثم تبعهم الجغرافيون العرب ، فكان شريف إدريس (548 هـ/1153م) هو الجغرافي العربي الأول الذي سمى هذه المنطقة باسم مليبار.

وبعد ذلك استعمله ياقوت الحموي (626هـ/1228م) في كتابه معجم البلدان والمؤرخ أبو الفدا في كتابه تقويم البلدان. ولكني أحب أن أسجل هنا رأيا آخر عن وجه تسمية هذه المنطقة باسم كيرالا ، وسأتبع ذلك برأيي أيضا عن وجه تسميتها فيما بعد باسم مليبار. وقد كونت هذين الرأيين استنادا على التحليل اللغوي لهذين الاسمين ، وقياسا على وجوه التسمية المماثلة

لمناطق أخرى في الهند، وكذلك تؤيدهما الروايات الشعبية. وقد شاعت في الهند منذ القدم تسمية البلاد والبحار بناء على بعض مصادرها أو مناظرها الطبيعية التي تشتهر بها، فمثلا سميت جبال هيمالايا بهذا الاسم على أساس مميزاتها الطبيعية . فكلمة هيما في اللغة السنسكريتية معنا الثلوج وكلمة ألا أو آلايام فمعناها البلاد أو مناطق ، فأطلق على هذه الجبال المغطاة بالثلوج دائما اسم هيمالايا الدال على طبيعتها الخاصة. وإن كلمة كيرا تستعمل في اللغة السنسكريتية وفي لغة ملايالم المحلية السائدة في المنطقة الساحلية في جنوب غربي الهند بمعنى جوز الهند أو النارجيل، وجدير بالذكر أن هذه المنطقة مليئة ببساتين أشجار النارجيل من أقصاها إلى أقصاها ، كما أن محصول النارجيل من أكبر المصادر الاقتصادية لأهاليها ، كما أنهم يستخدمون جذوع أشجار النارجيل وخواصها بكثرة في بناء مساكنهم ومراكبهم، ومن هنا أطلق على هذه المنطقة اسم كيرالام أو كيرلا بمعنى بلاد النارجيل أو منطقة النارجيل ـ كما تقدم في تسمية هيمالايا. ويبدو أن هذه العادة أي تسمية البلاد على مصادرها ومناظرها الطبيعية ، شائعة لدى العرب كما هو واضح من كتابات ابن بطوطة ، فقد كان يصف مليبار باسم بلاد الفلفل لما رآه منتشرًا في أنحائها.

وذكرنا آنفا أن كلمة ملي أو مل تعني الجبل وأما كلمة بار أو وار فمعناها في اللغتين السنسكرتية ومالايالم سفوح الجبال، فنظرا لموقعها الجغرافي كان يطلق عليها أيضا اسم مليبار أو ملبار بمعنى البلاد أو المنطقة الواقعة في سفوح الجبال، ثم غلبت شهرتها باسم مليبار منذ أن بدأ يستخدمه التجار والرحالة العرب.

مكانـــة مليبـــار فـي التاريخ القـديم:

تحدثنا التوراة أن سليمان عليه السلام كان يتاجر مع سواحل الهند الغربية، وكانت سفنه التجارية تصل عبر البحر الأحمر إلى موانئها لتحمل منها السلع التي كانت تشتهر بها الهند، من الذهب والفضة وخشب الصندل والأحجار الكريمة والعاج والطاووس والقرود وغيرها، ومن أسماء الموانئ التي ذكرها العهد القديم للتوراة وفي ترجمته العربية أوفير وترشيش، واختلف العلماء في تحديد مواقع هذين الميناءين الرئيسين للتجار في عهد سليمان عليه السلام، فمنهم من يجعلهما في سواحل مليبار الهندية، ومنهم من يقول أنهما في جنوب

شبه الجزيرة العربية، ورأي ثالث يقول أنهما في بعض بلاد إفريقيا ، وأن كل فريق يقيم أدلة لغوية وتاريخية وجغرافية على إثبات نظريته. وهنا أكتفي ببيان الرأي الأول لقوة أدلته، وعدم تناقضه مع الآراء الأخرى. ويحسن بنا قبل أن نفصل هذا الرأي وأدلته أن نورد بعض النصوص من التوراة، التي تناولت ذكر أوفير وترشيش.

وردت كلمة أوفير اسما للبلد الذي كان تصل إليه سفن سليمان في مواضع كثيرة في التوراة، ومنها ما ورد في سفر الملوك الأول: (وعمل الملك سليمان سفنا في عصيون جابر التي بجانب أيلة على شاطئ بحر سوف ' البحر الأحمر' في أرض أدوم، فأرسل حيرام في السفن عبيده النواتي العارفين بالبحر مع عبيد سليمان ، فأتوا إلى أوفير وأخذوا من هناك ذهبا أربعمائة وزنة وعشرين وزنة وأتوا بها إلى الملك سليمان.

وفي نفس السفر: (وكذا سفن حيرام التي حملت ذهبا من أوفير أتت من أوفير بخشب الصندل كثيرا جدا وبحجارة كريمة) وجاء به أيضا: (لأنه كان للملك سليمان في البحر سفن ترشيش مع سفن حيرام، فكانت سفن ترشيش تأتي مرة في كل ثلاث سنواتٍ حاملة ذهبا وفضة وعاجا وقرودًا وطواويس)

وتقول التوراة أيضا في نفس السفر(وعمل يهوشا فاط ' ملك يهوذا ' سفن ترشيش لكي يذهب إلى أوفير لأجل الذهب فلم تذهب لأن السفن تكسرت في عصيون جابر).

وقد وردت في بعض المواضع في التوراة أيضا عبارة 'ذهب أوفير' أو الذهب الأوفيري ، فجاء في سفر أشعياء: (واجعل الرجل أعز من الذهب الإبريز والإنسان أعز من ذهب أوفير) وفي سفر المزامير: (بنات ملوك بين خطياتك جعلت الملكة عن يمينك بذهب أوفير) ويقول سفر أيوب (وألقيت التبر على التراب وذهب أوفير بين حصى الأودية)

والآن ننتقل إلى الكلام عن بعض الأدل اللغوية والتاريخية والطبيعية التي تؤيد رأي القائلين بأن أوفير المذكورة في التوراة ، لم تكن إلا ميناء أو سوقا عظيمة عالمية على ساحل مليبار الواقعة في الجنوب الغربي من الهند. وقد ترجمت كلمة أوفير في الترجمة اللاتينية للكتاب المقدس بكلمة الهند ، ويقول توسيفوس فلافيوس المؤرخ اليهودي(37 - 95 م) في

كتابه عن ' تاريخ اليهود' أن الأرض التي كانت تسمي من قبل سوفير وتسمى الآن ضروس تنتهي إلى الهند. ويقول المؤرخ المعروف في العصر الحديث كريستيان لاسان : أن أوفير في أبريا التي يذكرها بطليموس الجغرافي وأبهيرا التي يذكرها الجغرافيون السنسكرتيون على الساحل الغربي للهند.

ثم استشهد المؤرخ المذكور على إثبات أن أوفير مدينة تجارية في جنوب الهند بطبيعة البضائع الهندية الخالصة التي كان يستوردها الإسرائيليون في عهدي داوود وسلميان عليهما السلام، وبدلالة الأسماء الهندية لهذه الأشياء الدخيلة في العبرانية. فقال : إن اسم القرود في العبرية (قوفيم) مأخوذ من كبي في السنسكريتية و هبيم أي الفيل مأخوذ عن أبها في السنسكريتية، وتكييم أي الطاووس مأخوذ عن سيخي في السنسكريتية، وتوجي في لغة تامل ، واسم الرزفي العبرية ' أروس' وفي اليونانية أروز وهو مأخوذ من أرش في تامل وأري في لغة مليبار - وأما اسم خشب الصندل في العبرية ' المجيم' مأخوذ من ' فلجو' في السنيكرتية و'فلجم' في تامل ' والاجو' في اللغة المليبارية.

ثم أشار لاسن تأييدا لهذا الرأي إلى مدينة سوفير أو سوبارا القديمة في جنوب الهند، لأنها قريبة من بعض أسماء أوفير في الترجمة السبعينية للتوراة. ويعتبر ' هورنل' من الكتاب المتحمسين في الأعوام الأخيرة للرأي القائل بأن أوفير التي ذكرت في التوراة والتي كان سليمان عليه السلام يتاجر معها ، كانت مدينة تجارية في سواحل مليبار الواقعة في جنوب غربي الهند، ويستدل على ذلك بأن السفن التجارية كانت تجلب الذهب والأخشاب والتوابل والجواهر إلى سليمان عليه السلام . ومن المعروف أن الذهب كان مصدر ثروة طائلة في الهند قرونا عدة، ففي كولار بمقاطعة ميسور (في الجنوب الغربي للهند) مناجم ذهب تُستغل الآن . و كذلك استبعد وجود أوفير على الساحل الجنوبي لجزيرة العرب أو في سواحل إفريقيا، لأن التوابل والأحجار الكريمة والذهب وأخشاب الصندل ليست متوافرة فيهما، مع أن مناطق مليبار الهندية كانت (ولا تزال) مركز هذه السلع . و يستند هورنل في رأيه أيضا إلى ما أشارت إليه التوراة من أن هذه الرحلة التجارية لسفن سليمان عليه السلام كانت تستغرق ثلاث سنوات . لأن هذه المدة أطول بكثير مما يجب لو كانت الرحلة المذكورة إلى جنوب جزيرة العرب أو سواحل إفريقيا.

ويؤكد المؤرخ ح ر. هول أن أوفير لا بد أن تكون على ساحل غرب الهند فيما بين بومباي وجوا أو ساحل كوشن (كيرالا) في الجنوب الغربي من الهند، فإن سلع أوفير كالقردة والطواويس وأخشاب الصندل و الأحجار الكريمة والتوابل هندية قطعا. وأما وجود بعضها في موانئ جنوب الجزيرة العربية، فإن التجار العرب في تلك الأرجاء كانوا يجلبون سلع الهند المختلفة ويبيعونها لرجال سلميان.

رأينا أيضا أن عددًا من المؤرخين والكتاب رجحوا أن تكون أوفير المذكورة إحدى المدن التجارية الشهيرة في مناطق الهند الغربية، ثم حددوا موقعها في ساحل مليبار استنادًا على طبيعة السلع التي كانت تستوردها سفن سليمان عليه السلام، وعلى قدم تاريخ العلاقات التجارية الواسعة النطاق بين السواحل الهندية والبلاد النائية، وعلى ورود ذكر مدن الهند وموانئها في الكتب والأساطير القديمة. وجدير بالذكر أنه من المعروف بين أهالي مليبار أن الذهب كان يستخرج من بلدة نلنبور وما حواليها في شمال مليبار ، ويوجد الآن أيضا في بعض جهات نلنبور أتربة ممزوجة بمواد الذهب، وكذلك كانت تصدر من غاباتها أخشاب من أشجار الساج المشهورة إلى الخارج، ولا تزال منطقة نلنبور مركزا رئيسيا لتجارة الخشب في مليبار. ومن المدن التجارية القديمة على ساحل مليبار مدينة فيبور الواقعة على مقربة من نلنبورالمذكورة، فالمراد بكلمة أوفير الواردة في التوراة وفي الكتب التاريخية القديمة ، هو مدينة فيبور وأما ما ذكره بعض المخالفين لهذا الرأي من أن هذه السلع كانت متوافرة في مدن الجنوب الغربي للجزيرة العربية، أو أن سفن سليمان كانت تستوردها من تلك المناطق، لا يتعارض مطلقا مع الرأي الأول، لأننا عرفنا من الفصول السابقة أن التجار العرب كانوا يجلبون سلع الهند إلى موانئ جزيرة العرب، وكانوا هم أيضا الوسطاء للتجارة بين الروم واليونان وبين الهند منذ قديم الزمان.

وقد ساعد هذا الاتصال التجاري القديم على استيطان جاليات عربية في موانئ شواطئ مليبار للأغراض التجارية، كما استوطنت جاليات هندية في أنحاء جزيرة العرب مثل الزط والبياسرة والأحامرة وغيرها، ولما بعث النبي صلى الله عليه وسلم الوفود الى التخوم للدعوة إلى الإسلام يحملون رسائله إلى أصحاب الأمور والسلطان في أقطار الجزيرة العربية وخارجها، يدعوهم فيها إلى حظيرة الدين الحنيف ، عرفت الدعوة الإسلامية طريقها

إلى الثغور الشرقية والجنوبية وأخذت تنتشر بين العجم ومنهم الهنود المستوطنون في هذه المناطق ، فلبى عدد منهم نداء الدعوة الجديدة.

ومن ناحية أخرى أنه من الطبيعي أن يحاول التاجر العربي المسلم التحدث عن الدعوة الجديدة التي ظهرت في بلده إلى أصدقائه ومعارفه في كل مكان يرتاده لأغراض تجارية ، فكان من المحتمل جدا - في ضوء عوامل طبيعية وتاريخية - أن يتحدث التجار والبحارة العرب الذين كانوا يترددون على موانئ مليبار ومدنها إلى مواطنيهم العرب المقيمين فيها، وإلى أصدقائهم وعملائهم من الهنود عن هذا الحدث العظيم والنبي الجديد الذى ظهر في بلادهم.

ومما يعزز هذا الاحتمال الفطري والتاريخي ما شاهده هؤلاء العرب في تلك المناطق من الوثنية والخرافات ونظام الطبقات والتقاليد الرجعية البالية، بينما وجدوا في الدين الجديد الذي ظهر في بلادهم دعوة التوحيد والإخاء والمساواة والعدالة الاجتماعية وأسباب التقدم الإنساني ، فكان من الطبيعي أن يتحدث هؤلاء في حماس وإيمان عن هذه الدعوة مع أهل الهند الذين عرفوا بنزعتهم الدينية وحبهم للعرب.

ومما يلفت نظر الباحث عن مكانة مليبار في تاريخ العلاقات القديمة بين الهند والعالم الخارجي ، وضعها الخاص كأول ملتقى لجميع الأديان السماوية التي وصلت دعوتها إلى شبة القارة الهندية ، ثم انتشرت في أرجائها ، فكانت أولى الديانات السماوية التي جاءت إلى الهند هي اليهودية ، فأخذ اليهود يهاجرون إلى سواحل مليبار في عهد سليمان عليه السلام بعد انهيار مدينة أورشليم. وأول بقعة وصل إليها اليهود هي مدينة كدنغلور عاصمة مليبار القديمة ، وتحدث الشعراء اليهود ، مثل إبراهيم بن أسرا والشاعر هلوي ، في أشعارهم وقاصائدهم عن قدوم اليهود إلى مليبار وتبشيرهم بالدين اليهودي هناك ، وكان جوزاف ربان من كبار المبشرين بالدين اليهودي في مليبار ، وجاء ذكره في أدعية اليهود وفي الأغاني الشعبية اليهودية المنتشرة في مليبار، وكانت لهم ممستعمرات خاصة في أماكن عديدة فيها مثل كدنغلور وكوشين وباراوور وتشينامنجالم وغيرها ولا تزال توجد في هذه الأماكن معابدهم القديمة وبعض أفراد الجالية الهيودية.

وكانت مليبار أيضا أول بقعة وصلت إليها المسيحية في شبه القارة الهندية حيث وصل إليها القديس توماس في عام 52 بعد الميلاد.

ويوجد في مكتبة المتحف البريطاني بلندن كتاب بالسريانية للكاتب السوري برديسانيزا الذي عاش في القرن الثالث عشر الميلادي، وعنوانه ' منجزات توما ' وجاء فيه أن السيد المسيح أرسل القديس توما ، مع التاجر حبان إلى الهند لكي يبشر بالمسيحية وأنه نزل فيها في عام 52 ميلادية وهذه الرواية تؤيد ما جاء في كتاب لمحات من تاريخ العالم للزعيم الهندي جواهرلال نهرو: 'إن المسيحية قد دخلت الهند قبل انجلترا وأوروبا الغربية بزمن طويل' وقد نزل القديس توماس في مدينة كدنغلور وبنى فيها أول كنيسة في شبه القارة الهندية، ثم قام بجولات تبشيرية في جنوب الهند وأنشأ سبع كنائس في المدن الرئيسية فيها، ولا تزال المناطق الجنوبية لمليبار (كيرالا) مركزا للجاليات المسيحية في الهند.

والذي يجدر بالملاحظة في الحقائق التاريخية المذكورة أن اليهودية والمسيحية أيضا قد وصلتا لأول مرة إلى شبه القارة الهندية بطريق مليبار، وبأيدي اليهود والمسيحيين العرب الذين جاؤوا من فلسطين العربية بطريق بحر العرب. كما أثبتت بيانات الفصول السابقة أن دعوة الإسلام أيضا قد وصلت إلى ربوعها في عهده صلى الله عليه وسلم . وهكذا صارت مليبار (كيرالا) أول بقعة أشرقت بنوره في شبه القارة الهندية ، وملتقى الأديان كلها - السماوية منها والوضعية - في العالم.

ترجمة الشيخ محي الدين الآلوائي :

ولد الدكتور محيي الدين الآلوائي عام 1925 م بقرية بالقرب من مدينة آلوائي بكيرالا. وكان والده عالما وواعظا دينيا . بعد أن تلقى العلوم الابتدائية التحق بدار العلوم وازكاد ، ثم ارتحل إلى ويلور ودرس في مدرسة الباقيات الصالحات ونال شهادة المولوي الفاضل. ونال شهادة أفضل العلماء من جامعة مدراس سنة 1949 . ثم انخرط في سلك التدريس بكلية روضة العلوم العربية بفاروق. وهناك اندفع إلى الدراسة في جامعة الأزهر، وهو يذكر دور الشيخ أبي الصباح في توجيهه قائلا: ' وتطورت صلاتي بروضة العلوم التي أسسها الشيخ أبو الصباح أحمد على وعُينت مدرسًا فيها بدعوة منه عقب تخرجي من الباقيات

الصالحات وحصولي على شهادة أفضل العلماء الجامعية. وكان في مقدمة العلماء والأصدقاء الذين شجعونى على الرحلة إلى مصر للالتحاق بجامعة الأزهر'.[7]

وفى عام 1950 توجه الدكتور محيي الدين الآلوائي إلى القاهرة ليدرس في جامعة الأزهر، فالتحق بقسم التخصص في كلية أصول الدين ، ونال في عام 1952 شهادة العالمية بتفوق . وفى أثناء إقامته بمصر مارس نشاطه العلمى والأدبي ، ونشرت له الصحف والمجلات مقالات كثيرة ، ونال منحة دراسية من مجلس الهند للروابط الثقافية، وألف في هذه الفترة بعض الكتب باللغة العربية. وكان يتولى حينذاك منصب رئيس التحرير لمجلة البعوث ـ لسان حال البعثات العلمية في القاهرة.

وفي عام 1955 قفل عائدا إلى الهند ، وعين مذيعا في القسم العربي بهيئة الإذاعة الهندية في دهلي. وواصل في نفس الوقت النشاط العلمي والأدبي في مجلس الهند للروابط الثقافية وأكادميات الآداب الهندية. ووضع مؤلفات في اللغات الهندية والعربية، وترجم بعض الكتب العربية إلى اللغات الهندية، ومنها إلى العربية. مثل ترجمة كتاب الهند للبيرونى إلى لغة مليالم وترجمة رواية شامين الملايالمية لصاحبها تاكازي إلى العربية.

وفى عام 1963 عاد الدكتور محيي الدين الآلوائي إلى القاهرة مع عائلته من جديد رغبة ً في استكمال دراساته العليا . وقد أعرب عن أمنيته هذه لرئيس جمهمورية الهند الدكتور رادها كرشان ، فوافقت الحكومة على تحمل نفقات سفره إلى القاهرة تقديرًا لخدماته العلمية ونشاطه الأدبي. ثم التحق الآلوائي بالدراسات العليا بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر ونجح في امتحان التخصص عام 1965 بتقدير ممتاز. وفى العام نفسه عين مدرسا فى كلية الطب بجامعة الأزهر لتدريس مواد الدراسات الإسلامية باللغة الإنكليزية . ثم اختير لتدريس المادة نفسها في كلية البنات الإسلامية بمصر. ووضع الدكتور في أثناء ذلك كتابا باللغة الإنكيزية واندرج ذلك في مقررات الدراسات الإسلامية . ولما تولى الشيخ أحمد حسن الباقوري منصب رئيس جامعة الأزهر عين الدكتور محيي الدين الآلوائي عضوًا في مكتبه بالجامعة. وفي عام 1967 انتدب عضوًا في لجنة الامتحانات لاختيار مبعوثي الأزهر إلى

---

[7] ـ المجلة التذكارية لليوبيل الذهبى لكلية روضة العلوم العربية.

غرب آسيا. كما خدم في مجلة الأزهر مشرفا على القسم الإنجليزى فيها. وبالإضافة إلى هذا كان يكتب باستمرار المقالات العربية لعدد من المجلات ، منها مجلة الأزهر، ومنبر الإسلام ، ومجلة الرسالة، ومجلة صوت الشرق التي كان يصدرها مكتب استعلامات الهند بالقاهرة ، ومجلة منار الإسلام ، ومجلة الشبان المسلمون ومجلة الدعوة ' ومجلة نور الإسلام وغيرها. وفى عام 1970 عين رئيسا لهيئة تحرير مجلة صوت الهند الصادرة عن سفارة الهند بالقاهرة. وفي أثناء هذه النشاطات الثقافية سجل اسمه فى قسم أصول الدين بجامعة الأزهر لإعداد بحث لنيل شهادة الدكتوراه حول موضوع الدعوة الإسلامية وتطوراتها في شبه القارة الهندية. ونال الدكتوراه فى عام 1971 م مع مرتبة الشرف من قسم الدعوة بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر. وقد كشفت هذه الرسالة النقاب عن كثير من الحقائق التاريخية التي لها صلة بمسيرة المسلمين الثقافية والعلمية في الهند.

وفى عام 1977 غادر الدكتور الآلوائي مصر إلى المملكة العربية السعودية حيث التحق بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة أستاذاً للدراسات الإسلامية واللغة العربية. واستمر في هذا المنصب إلى عام 1974 ، مواصلا جهوده العلمية والثقافية هناك . وبدأ يكتب المقالات بصورة منتظمة في جريدة المدينة ومجلة الجامعة الإسلامية. وبعد خدمات جليلة دامت نحو ثلاثة عقود، مدرسا وباحثًا وكاتبًا ومؤلفًا ومحرراً في مختلف المجلات والدوريات أحيل إلى المعاش من الجامعة الإسلامية بالمدينة عام 1984.

وحتى بعد تقاعده عن العمل لم يعش منزويا عن النشاطات الثقافية والأدبية . بل ظل يواصلها بصورة أكثر حيوية مما كان من قبل. وتقلد منصب رئيس مستشاري الشؤون الدينية بجريدة خليج اليوم الصادرة عن دار الوطن للطباعة والنشر فى دولة قطر . واستمر في عمله هذا حتى عام 1989 . وشارك في عدد من الندوات التي أقيمت في البلاد المختلفة من قارات أوروبا وأفريقيا وآسيا.

وبعد أن أمضى نحو ثلاثين عاما من الحياة الحافلة بالخدمات العلمية والأدبية والثقافية ، عزم الدكتور الآلوائي على العودة إلى مسقط رأسه ليقضى هناك بقية عمره في خدمة الأمة والثقافة الإسلامية. وهناك التحق بكلية الدعوة وأصول الدين بمدينة كالكوت

عميدًا لها . كما تولى ترجمة تفسير " في ظلال القرآن" . وبينما كان فى عمله فيها قام بتأسيس كلية أزهر العلوم في مدينة آلوائي مسقط رأسه.

مؤلفاته:

بالإضافة إلى نشاطاته المتعددة والمقالات التي نشرها في مختلف الجرائد والمجلات العربية والأردية ، ألف ثمانية عشر كتابًا في العربية، وخمسة كتبٍ في الإنكيزية وثلاثة في مليالم ، وكتاباً واحدًا في الأردية. وهو العالم المليباري الأكثر أعمالا في اللغة العربية. ومن كتبه المهمـة:

- الأدب الهندي المعاصر - منهاج الدعوة - أعلام الدعوة الإسلامية في شبه القارة الهندية - تحقيقه حول أول بقعة أشرقت بنور الإسلام في الهند - الإسلام وتطورات العالم - الإسلام وقضايا الإنسانية - النبوة المحمدية ونقديات المستشرقين - الثقافة العربية في شبه القارة الهندية - المؤلفات العربية لعلماء الهند المسلمين - مكانة فلسطين في العالم الإسلامي - كيف انتشر الإسلام في الهند - حاضر الإسلام والمسلمين - شامين (ترجمة عربية لرواية مليالمية)- من خصائص الدعوة الإسلامية - عناصر الخلود في الدعوة الإسلامية - منهاج المعلمين لتعليم العربية - الدعوة الإسلامية وتطوراتها في شبه القارة الهندية.

المسلمـــون فـــــي الهنـــــد

الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي

الدور الذي قام به المسلمون في تحرير الهند:

كان مركز المسلمين القائد في حركة تحرير الهند وإجلاء الإنجليز - وقد كان طبيعيا - لأنهم هم ولاة البلاد وسادتها حين احتل الإنجليز هذه البلاد، وبدأ الاخطبوط الإنجليزي ينفث سمومه ، ويبتلع هذه البلاد قطعة قطعة وإمارة إمارة.

وأول من انتبه لهذا الخطر الملك الهمام الشهم الغيور فتح على خان المشهور بالسلطان تيبو (1213هـ /1799 م) الذي عرف ببعد نظره وألمعيته أن الإنجليز سيزدردون هذه البلاد كلقمة سائغة إذا لم تقم في وجههم قوة منظمة، فحارب الإنجليز بكل ما كان يملكه من قوة حربية وعدة وعتاد، وحرض أمراء الهند وأقيالها على القضاء على هذه الجرثومة الإنجليزية السامة، وحاول الاتصال بالسلطان سليم العثماني والملوك المسلمين وأمراء الهند وراسلهم، وظل يحارب الإنجليز حربا عنيفة لا هوادة فيها وكاد ينهار كل ما بناه الإنجليز وأملوه في الهند لولا أنهم نجحوا في ضم أمراء الهند في جنوب الهند إلى معسكرهم، وسقط الملك المجاهد صريعا في المعركة.(في اليوم الرابع من مايو سنة 1799) وفضل الموت في المعترك على الأسر في يد الإنجليز والحياة في ظلهم وتحت رحمتهم. وقال كلمته الخالدة المأثورة في التاريخ ' يوم من حياة الأسد خير من مائة سنة من حياة ابن آوى ' ولما بلغ القائد (horse) شهادة السلطان حضر ووقف على جثته وقال 'اليوم الهند لنا'.

ولم تعرف الهند - في تاريخها الطويل - قائدا أعلى همة، وأبعد نظرًا وأشد غيرة على الدين والوطن ، وأعظم عداء وبغضا للمحتل الأجنبي ، من تيبو سلطان . ولم تكن في الهند شخصية أبغض إلى الإنجليز وأثقل عليه من تيبو، حتى ظلوا زمنا طويلا - وقد أدركنا ذلك العصر - يسمون كلابهم باسمه شفاءً لقلوبهم وإهانة لرمز الوطنية والجهاد.[8]

وثارت الجنود الإنجليزية في مايو سنة 1857 م بعد ما جرب الهنديون الحكم الإنجليزى وغطرسة الإنجليز، وانتهابهم لثروة البلاد، وقلة احتفالهم بالعاطفة الدينية وكرامة أهل البلاد، وانتشرت الثورة في الهند انتشار النار في الهشيم ، فكانت ثورة شعبية عامة ساهم فيها المسلمون والهنادك سواء بسواء، وتوجه الثوار إلى دهلي مقر الملك المغولي الأخير سراج الدين بهادرشاه.[9] وجعلوه قائدا للثورة ورمزًا للوطنية الموحدة والكفاح الشعبي ونادوا به ملكا للهند شرعيا، وخليفة آبائه ملوك الهند الصناديد المغول الأباطرة ، وقاتلَ الثوار في كل بقعة من بقاع الهند تحت رايته وباسمه، ينظرون إليه كزعيم للجهاد الديني

---

[8] - كتب الزعيم غاندي مقالة في صحيفة ' الهند الفتاة '(Young India) أشاد فيها بعظمة السلطان ووطنيته وتسامحه وقال: لا نعرف أعظم منه في شهداء الوطن والأمة.

[9] - كان حكمه محدودا في القلعة الحمراء والإنجليز يحكمون البلاد باسمه ونيابة عنه.

والوطني، وينظرون إلى دهلي كعاصمة الحكومة الهندية الدائمة ولم يشذ عن ذلك شاذ.(إلا السيخ وبعض الأمراء الذين قمع الإنجليز بهم الثورة)

وبالرغم من أن هذه الثورة أو حرب التحرير - كما يصح أن تسمى - كانت شعبية عامة يقاتل فيها المسلمون والهنادك جنبا بجنب ولم تعرف الهند حماسة وطنية ووحدة شعبية قبل هذه ، كان للمسلمين السهم الأكبر في القيادة والتوجيه ، وكان منهم العدد الأكبر والأهم من القادة والزعماء، وقد صرح السر وليم هنتر بأن جمرات الجهاد التي أشعلها السيد أحمد الشهيد (1246هـ) هي التي ألهبت نار هذه ا لثورة.

وقد كان من أكبر العلماء والمشائخ الذين قادوا الثورة وأشهرهم مولانا أحمد الله ومولانا لياقت على، وهما اللذان تزعما الحركة، وكان الجنرال بخت خان هو القائد العام ونائب الملك[10]، وكان للحاج إمداد الله التهانوي، ومولانا محمد قاسم النانوتوي، ومولانا رشيد أحمد الكنكوهي، والحافظ محمد ضامن الشهيد ، وغيرهم من العلماء والمشائخ سهمٌ فيها ، وخاضوا في بعض المعارك، وقد ذكر الكاتب الهندوسي المعروف سندرلال عددا من كبار المساهمين في هذه الثورة المسلمين منهم خان بهادرخان ، بير على ، علي كريم.

ويكتب هومز: كان مولوي أحمد الله شاه أكبر أعداء الإنجليز في شمالي الهند، يقول سندرلال: ما من شك أن اسم الشيخ أحمد الله شاه من شهداء 1857 سيخلد محترما في تاريخ شهداء الحرية في العالم . وكتب 'مالي سن': كان المولوي (أحمد الله) رجلا محيرًا للعقول وقد عثر على عدة دلائل وبراهين تثبت صلاحيته كقائد لحركة الثورة، فلا يستطيع أحد غيره أن يدّعِيَ الفخر والاعتزاز أنه هزم 'السير كالن كيب بل' في ميدان القتال مرتين.

وأضاف يقول في كتابه: كان أحمد الله شاه وطنيا مخلصا فلم يلطخ سيفه بدم عن عازل عن السلاح، يحارب بجرأة وصمود في ساحة القتال، أولئك الأجانبَ الذين كانوا اغتصبوا وطنه ، ويجب على كل بطل ومخلص في كل بلد أن يذكر المولوي أحمد الله باحترام وإكرام.

---

[10]- كان من جماعة السيد أحمد الشهيد بائع أحد رجال طريقته، وأخذ منه الشيخ العهد والميثاق لقتال الإنجليز

ويكتب هومز: 'مهما يكن الأعداء وحشيين وقساة كان قائدهم صالحا لقيادة الجيش العظيم ، وحماية هدف نبيل عال من كل ناحية'. ولما أخفقت هذه الثورة - لأسباب شرحت في الكتب التي ألفت في هذا الموضوع - صب الإنجليز على أهل الهند جام غضبهم وانتقموا منهم انتقاما شديدا وبطشوا بالهنديين - شعبا وأمة - بطشة جبار لا يعرف الرحمة ، ولا يعرف العدل ولا يعرف الإنسانية ، ولا يعرف الحدود . وكانت مجزرة هائلة جددت ذكرى مذابح جنكيز وهولاكو، وقد قتلوا ثلاثة من أبناء الملك الشبان المأسورين بعد ما أعطوهم الأمان والعهد والميثاق بهمجية وقساوة امتعض منها كثير من الإنجليز ، وقد شنقوا ثلاثة وعشرين من أبناء الأسرة الملكية، فيهم مرضى وزمنى وشيوخ عجز[11] وأهانوا الملك وحاكموه محاكمة مهينة ذليلة، وكانوا حريصين على قتله أشنع قتلة إلا أن ضابطا منهم كان قد وعد أن يحافظ على حياته ليسلم نفسه إليه فحكموا عليه بالنفي المؤبد إلى رنجون حيث مات طريدا وشريدا مقترا عليه في الرزق مضيقا عليه.

ودخلت الجيوش الإنجليزية في دهلي فكان تفسيرا لقوله تعالى (إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة) وقد أذن للجيوش في نهب العاصمة ثلاثة أيام فطبقته تطبيقا فظيعا. وقد كتب جون لورنس الحاكم الإنجليزي المشهور في ديسمبر 1857 إلى القائد الإنجليزي:

' أعتقد أن الطريقة التي انتهينا بها جميع الطبقات من غير عمييز بينها ستصب علينا السخط العام وستصب عليها اللعنات إلى الأبد وإننا نستحق ذلك'. وقامت سوق القتل والنهب في دهلي على قدم وساق، والدماء تسفك ، والرقاب تضرب، والرصاص يطلق من غير تمييز والبيوت تنهب، وقد خرج كل من استطاع أن ينجو بنفسه وأهله وعرضه، حتى أصبحت المدينة التي كانت عروس البلاد وعاصمة الهند مقفرة موحشة ليس فيها إلا البيوت الخاوية. والأنقاض المتراكمة والجثث المتعفنة، أو الجنود المفترسة ، وإليك تصوير البلد من قلم قائد قواد الجيوش الإنجليزية (Lord Roberts) وقد كان مسافرا بجيشه من دهلي إلى كانبور يقمع الثورة، وكان ذلك في اليوم الرابع والعشرين من سبتمبر 1857 بعد ما استولى

[11] وقع من الثوار - المسلمين وغير المسلمين - الاعتداء على النفوس البريئة والضعيفة والنساء والأطفال من الإنجليز في بعض المناسبات ، وتخطوا حدود الدين والأخلاق والمروءة في شدة ثورتهم ولعدم النظام ولكن ما وقع من الإنجليز مقابل ذلك لا يعلل إلا بالجنون والهمجية والضراوة بالدم الإنساني، ولا يليق بأمة مثقفة تتزعم العلم والمدنية.

CUP 656/08/1000/SDE-4

الجنود الإنجليز على دهلي وتملكوا القلعة الحمراء[12] يقول روبرتس في كتابه ' إحدى وأربعون سنة في الهند '

' كان المسير من دهلي في نور الصباح الباكر وكان منظرا هائلا ، خرجنا من القلعة من بابها يسمى باب لاهور ، ومررنا بالشارع الكبير الذي هو مركز البلد وأكبر أسواقها' جاندني جوك' لقد كانت دهلي في الحقيقة مدينة الأموات ليس بها داع ولا مجيب، فلا صوت إلا صوت سنابك الخيل ، ولم يقع بصرنا على عرق ينبض أو عين تطرف، لم تكن هنالك إلا جثث هامدة مبعثرة هنا وهناك، وقد كانت هذه الجثث في أوضاع مختلفة خلفها صراع الحياة والموت في أدوار مختلفة من التفكك، وكنا لا نتكلم إلا همسا حتى لا نزعج هؤلاء الأشقياء الذين كانوا مستغرقين في نومة الموت، وقد كانت بعض الجثث ينتهشها كلب، وكان عند بعضها نسر يرفرف جناحه ويحاول أن يطير فلا يستطيع بفرط الشبع والثقل، وقد كان بعض الأموات يتراءون أحياء ، فقد رفع بعضهم يده في الاحتضار فبقيت مرفوعة كأنه يشير إلى جانب، لقد كان منظرًا مهيبا موحشا لا يمكن تصويره، وكأن خيلنا قد استولى عليها الذعر فكانت تجفل وتنتفخ مناخرها ، وقد كان المحيط كله مروعا ولا يمكن تصوره، وقد كان تعفن بروائح مضرة تولد الأمراض. لقد كانت المجزرة شعبية وطنية عامة، ولكن كان المسلمون بصفة خاصة هدف هذه الإهانات والفتك الذريع، لأن كثيرا من الإنجليز المسؤولين كانوا يعتقدون أنها ثورة إسلامية ، وأن المسلمين هم مصدر الثورة وأصحاب فكرتها وهم الذين تولوا كبرها، يقول كاتب إنجليزي(Henry Mead):

' إن هذه الثورة لا يصح في المرحلة الحاضرة أن تسمى ثورة الجنود ، لقد انفجرت الثورة منهم ولكن سرعان ما تجلت حقيقتها وظهر أنها ثورة إسلامية'. ولذلك كانوا يخصون المسلمين بالقتل والبطش ، يقول مؤرخ معاصر:' قد كان شعار بعض رؤساء الإنجليز أنهم كانوا يعتبرون كل مسلم ثائرا وكانوا يسألون الرجل أنت هندوكي أو مسلم ؟ فإذا قال مسلم قتله بالرصاص.' ويقول: إن هؤلاء الإنجليز كلما رأوا مسلما عليه مسحة من جمال أو له جسم قوي اقتنصوه وشفوا قلوبهم بقتله، وقد قتِل عدد كبير من الوجهاء والأشراف وأصحاب

[12] ـ القلعة الحمراء بناها الإمبراطور شاه شجهان ، وكانت مركز الحكومة المغولية ، وكان فيها في العهد الأخير بهادر شاه.

البيوتات الذين بقوا في البلد، كانوا يقتلون الأبناء الشبان أمام آبائهم الشيوخ ، ويقولون للوالد العجوز : انج بنفسك ، وقلما أفلت من أيديهم مسلم جميل الوجه صاحب حسب ووجاهة حتى أثر ذلك في النسل، وأصبح لا يولد في دهلي مولود فيه الوسامة والجمال، فإذا قارن أحد بين المسلمين قبل الثورة والمسلمين بعدها رأى فرقا واسعا بين الجيلين في الجمال والوسامة.

ثم جاء دور الشنق ، ونصبت مشانق وأعواد على الطرق العامة والشوارع، وأصبحت مواضع نزهة عامة يتفرج عليها الإنجليز ويتمتعون بمناظر احتضار المشنوقين وهم يدخنون ويتحدثون، فإذا تم عمل الشنق ولفظ المشنوق نفسه الأخير ، استقبلوه بالضحك والابتسام، وفي هؤلاء الأشقياء أصحاب الإمارات وكبار الأشراف ، وقد شنق بعض الأحياء الإسلامية على بكرة أبيها، ويذكر مؤرخ معاصر:

' إن سبعة وعشرين ألفا من المسلمين قتلوا شنقا، واستمرت المجزرة سبعة أيام متواليات لا يحصى من قتل فيها، أما السلالة التيمورية فقد حاول الإنجليز أن يستأصلوا شأفتها، فقتلوا حتى الصبيان ، وعاملوا النساء معاملة همجية تقشعر منها الجلود' يقول ميلي سن:'إن ضباط جيوشنا كانوا يقتلون المجرمين من كل نوع ، وكانوا يشنقون من غير رحمة وألم كأنهم كلاب أو بنات آوى أو حشرات خسيسة.'ويقول قائد قواد الجيوش الإنجليزية **Lord Roberts** في رسالة كتبها إلى أمه في الواحد والعشرين من يونيو سنة 1857:'إن أهول طريقة للإعدام هو أن يرمى المجرم بالمدفعة، إنه حقا منظر هائل ولكن لا نستطيع في هذا الوقت أن نأخذ بالاحتياط، إن هدفنا أن نثبت للمسلمين الأشرار أن الإنجليز لا يزالون - بنصر الله - سادة الهند.

وهكذا دفع المسلمون أبهظ ثمن وأغلاه لهذا الجهاد ، وظل قادة الفكر والسياسة وأقطاب الحكومة من الإنجليز يعتقدون أن المسلمين هم الممسؤولون عن ثورة 1857 ، لا يتخلون عن تبعاتها جيلا بعد جيل، وقد قال هنري هملنتن تامس أحد كبار الموظفين الإنجليز في بنغال في كتابه ' ثورة الهند الماضية وسياستنا المستقبلة ' **Late rebellion in India and our future policy** الذي ألفه في سنة 1858 يعني بعد الثورة بسنة فقط ، والكلمة تشرح عقيدة الإنجليز ووجهة نظرهم عن المسلمين بعد الثورة يقول:

لقد قدمت أن الهنادك لم يكونوا أصحاب الفكرة في ثورة 1857 م ولم يكونوا مصدرها، وسأثبت في هذه المناسبة أن الثورة كانت نتيجة مؤامرة المسلمين ، إن الهنادك إذا تركت لهم الحرية وكانوا محدودين في وسائلهم لم يكونوا ليساهموا في مثل هذه الثورة وما كانوا يودونها. إن المسلمين لم يزالوا ولا يزالون منذ عهد الخليفة الأول مستكبرين غير متسامحين ، وظالمين ، لم يزل هدفهم الدائم أن تقوم الحكومة الإسلامية بأي وسيلة كانت، وأن ينشأ الناسُ على كراهة المسيحيين ، إن المسلمين لا يستطيعون أن يكونوا رعية وفية لحكومة تدين بغير دين الإسلام لأن ذلك مستحيل في ظل أحكام القرآن.'

وقد كانت هذه السياسة المتبوعة في الحكومة الإنجليزية القائمة، وهي القاعدة التي يسير عليها موظفوها الكبار، ورؤساء المصالح لإقصاء المسلمين عن المراكز الكبيرة في الحكم والإدارة، وسد أبواب الرزق الشريف عليهم. ومصادرة الأوقاف والأملاك التي تدر على مدارسهم ومؤسساتهم وتأسيس مدارسَ ونظام تعليمي لا ينشط المسلمون للإفادة منه، وقد كان يعلن في بعض بلاغات رسمية أن الوظائف الفلانية لا يقبل فيها إلا الهنادك ، يقول هنتر: 'إن المسلمين وإن كانوا يملكون المؤهلات والكفاءة المطلوبة لوظيفة ولكنهم يمنعون عن ذلك ببلاغ رسمي'

وقد كان غضب الإنجليز شديدا واضحا في قضايا المسلمين كلها، فكانوا يؤخذون بأقل تهمة وأبعد وشاية، وكانوا يؤخذون بالظنة ويعاقبون أشد العقاب، وقد حارب الإنجليز فل المجاهدين المعتصم في الجبال في حدود الهند الشمالية الغربية حربا شعواء، وأنفقوا في ذلك نفقات باهظة وتحملوا خسائر عظيمة، وحاكموا في الهند كل من ظنوا به أقل اتصال بهذه الجماعة - جماعة السيد الإمام أحمد الشهيد - حاكموا جماعة من العلماء الأجلاء والمثقفين والوجهاء والتجار في بتنه وتهانيسر ولاهور سنة 1281هـ /1864 م محاكمة ظهر فيها حقد الإنجليز وتوترهم من المسلمين بصفة عامة، ومن هؤلاء الذين سماهم الإنجليز وأعوانهم وهابيين بصفة خاصة ، وحكموا على مولانا يحيى على ومحمد جعفر التهانيسري ومحمد شفيع اللاهوري بالإعدام، وقال القاضي في حكمه: ' سأكون مسرورًا وسعيدا إذا رأيتكم معلقين على المشانق تلاقون جزاءكم' . وكان الإنجليز ونساؤهم يأتون إلى السجن ليمتعوا

نفوسهم ويقروا عيونهم بالكآبة التي تغشى هؤلاء الأشقياء الذين تنتظرهم المشنقة، ويجزعهم هلعهم، ولما رأوا أنهم جذلون مسرورون ينتظرون الشهادة في سبيل الله بقلوب تواقة مؤمنة ، ونفوس راضية مطمئنة كبر ذلك عليه، وجاء الحاكم الإنجليزي وقرأ حكم المحكمة النهائية بتبديل الإعدام بالنفي المؤبد إلى جزائر أندمان قائلا: إنه لا يحب أن يسرهم ويحقق أمنيتهم ويكرمهم بالشهادة التي يعدونها أكبر كرامة ، وبهذا الطريق الغريب العاطفي الذي لم يعرف عن أمة دستورية كالإنجليز ، نفي الشيخ يحيى على العظيم آبادي وشقيقه الشيخ أحمد الله العظيم آبادي والشيخ عبد الرحيم الصادقبوري والشيخ محمد جعفرالتهانيسري إلى بورت إندمان سنة 1865 م. ومات الشيخ يحيى على والشيخ أحمد الله في أندمان ورجع الشيخ عبد الرحيم والشيخ محمد جعفر بعد ثماني عشرة سنة بعد الحياة الطويلة في الجلاء والبلاء، وصودرت أملاك أسرة صادقبور الواسعة في بتنه عاصمة و لاية بيهار وهدمت مبانيها الضخمة ومشت فيها السكة، وبنيت على أنقاضها مباني البلدية ودوائر الحكومة، ونسفت مقابرهم ودرست كل ذلك انتقاما من الأعداء وشفاء للغيظ.

وكذلك نفي إلى أندمان جماعة من العلماء الأجلاء كالعلامة

فضل حق الخيرآبادي والمفتي عنايت أحمد الكاكوري والمفتي مظهر كريم الدريابادي ومات العلامة فضل حق في المنفى ،ورجع العالمان الآخران بعد ما مكثا مدة طوثلة في الجلاء.

إن هذه المعاملة القاسية الشادة التي استمرت مدة طويلة كانت سببا لتخلف المسلمين في الثقافة والعلم، ومنعتهم عن أن ينالوا قسطهم في الإدارة ومصالح الحكومة . وقد شغلهم الدفاع عن أنفسهم ونفي التهم التي كانت توجه إليهم بين حين وآخر ، عن المساهمة في سياسة البلاد ومجاراة الشعوب الأخرى التي كانت تتقدم بخطى واسعة، وتنال من الحكومة كل تشجيع وعطف في الوعي القومي والشعور الوطني.

قام المؤتمرالموطني العام سنة 1884 وحضره عدد مشرف من وجهاء المسلمين والرجال المثقفين. وقد رأس حفلته السنوية الرابعة التي انعقدت سنة 1887 م في مدراس

الأستاذ بدر الدين طيب جي وحضره الوجيه الفاضل مير همايون جاه وتبرع للمؤتمر بخمسة ألاف روبية، وحضره لفيف من الوجهاء والأغنياء من المسلمين والمحامين والتجار. وكان زعيم الحركة التعليمية الإسلامية سر سيد أحمد خان (مؤسس الجامعة الإسلامية في عليجراه) من دعاة الاتحاد الوطني ، إلا أنه بعد فترة قصيرة اتبع سياسة الانفصال عن المؤتمر بدافع الإشفاق على المسلمين، الذين كانوا لا يزالون ضعفاء في الثقافة والوعي السياسي ومتخلفين في الحياة والاقتصاد والتعليم، وحذر المسلمين عن الوقوع في نفوذ الهنادك المتحمسين والبنغاليين المتطرفين الذين بدأوا ينتقدون السياسة الإنجليزية ويطالبون بحقوقهم، وأشار عليهم بتكوين جبهة إسلامية والابتعاد عن السياسة التي قد تثير عليهم الأحقاد القديمة وتخلق المشكلات الجديدة.[13] إلا أن عددا كبيرا من مفكري المسلمين الأحرار وفي مقدمتهم علماء الدين ، كانوا يرون تأييد المؤتمر ويرون المساهمة في الحركات السياسية الوطنية ، ولا يعتقدون أن السياسة هي الشجرة الممنوعة للمسلمين، فأصدر الشيخ عبد القادر اللدهيانوي مجموعة فتاوى سماها نصرة الأبرار في تأييد المؤتمر الوطني سنة 1887 م.

كان من الموقعين عليها كبار العلماء في حواضر الهند

المشهورة وفي المدينة المنورة وبغداد. ومنهم العالم الرباني الجليل مولانا رشيد أحمد الكنكوهي والأستاذ الكبير مولانا لطف الله العليكرهي. وحضر حفلة المؤتمر السنوية الخامسة التي انعقدت في إله آباد عام 1888 بعض كبار العلماء ، وهكذا ظل المسلمون يساهمون في نشاط المؤتمر ويشاركون مواطنيهم في هذه المؤسسة الوطنية الكبيرة.

وفي سنة 1912 نشبت حرب بلقان وانطلقت موجة عنيفة من السخط العام على الحكومات الأوروبية، وزعيمتها الحكومة البريطانية وحلفاؤها ، وانفجر الوعي السياسي الإسلامي الشرقي ، وصدرت صحيفة الهلال الأسبوعية التي كان ينشئها مولانا أبو الكلام آزاد ، وكانت تنشر مقالات تكتب بقلم من نار، وتنتقد السياسة الأوربية الصليبية في قوة وبلاغة لا يعرف لها نظير، ويتهافت على قراءتها آلاف مؤلفة من الوطنيين ، وصدرت

6- لا شك أن هذه السياسة وهذا الأسلوب للتفكير كان خاطئا، وكان نتيجة تأثير الداهية الإندليزي المستر بيك وخليفته المستر مؤريس اللذين ظلا يقودان عقلية المسلمين وسياستهم مدة طويلة ، وقد جنى هذا الاعتزال عن السياسة على كيان المسلمين وحياتهم القومية.

مجلة كومريد (comrade) الإنجليزية التي كان ينشئها مولانا محمد على من كلكتا [14]، ثم انتقلت إلى دهلي، وينتقد فيها السياسة الإنجليزية في أسلوب أدبي ساخر، وكذلك جريدة زميندار لصاحبها مولانا ظفر على خان، وصحف إسلامية أخرى، وبذلك التهبت نار الثورة الفكرية في الهند، واعتقلت الحكومة زعماء المسلمين ، محمد على وشوكت على وأبو الكلام آزاد ، وحضرت موهاني.

وكان رئيس أساتذة دار العلوم ديوبند مولانا محمود حسن (الذي اشتهر بعد بلقب شيخ الهند) من كبار الحاقدين على الحكومة الإنجليزية ولا نعرف أحدا بعد السلطان تيبو من يبلغ مبلغه في عداء الإنجليز والاهتمام بأمرهم ، ومن كبار أنصار الدولة العثمانية التي كانت زعيمة العالم الإسلامي ، وحاملة لواء الخلافة وكان من كبار الدعاة إلى استقلال الهند، وتأسيس الحكومة الوطنية الحرة، وكان من الذين ملكتهم هذه القضية والتفاني فيها، وحاول الاتصال بحكومة أفغانستان ورجال الدولة العثمانية كأنور باشا وغيره، وقد أسرته حكومة الشريف حسين سنة 1916 في المدينة المنورة وسلمته إلى الحكومة الإنجليزية[15] التي نفته وزملاءه وتلاميذه مولانا حسين أحمد المدني ومولانا عزيز كل ، والحكيم نصرت حسين والأستاذ وحيد أحمد إلى جزيرة مالطا سنة 1335 هـ/1918 م. مكثوا هناك إلى سنة 1338 هـ / 1920 م. وكان مولانا عبد الباري الفرنجي محلي مؤسس جمعية العلماء من كبار المتحمسين للقضية الوطنية ومن كبار قادة حركة الخلافة.

وفي سنة 1918 م صدر تقرير رولت(Rowlett report) وهوجم فيه المسلمون بصفة خاصة مهاجمة عنيفة، واتهموا بالثورة وكان رد الفعل عنيفا ضد هذا التقرير في طول الهند وعرضها.

وفي سنة 1919 أطلق سراح محمد على وشوكت على وتجلى اتحاد المسلمين والهنادك في أرع مظاهر، واتحدوا في مهاجمة الحكومة الإنجليزية وسياسة حلفائها في قضية الحكومة

---

[14] ـ الزعيم مولانا محمد على زعيم حركة الخلافة دفين القدس.

[15] ـ وأخذ فعلا رسائل من أنور باشا وجمال باشا في تأييد قضية الهند وكفاحها ضد الإنجليز وحث الرعايا التركية على مساعدة مولانا محمود حسن، وقد دسها أصحاب الشيخ في جوف ألواح صندوق خشبي وملأه بقماش الحرير وأرسله إلى الهند حيث وصل إلى أصحابه ، ومن هنا اشتهرت القصة بالرسائل الحريرية ، وذكرها Rowlett في تقريره المشهور.

العثمانية، والنداء إلى تحرير الوطن وتأسيس الحكومة الاستقلالية، وأصبحت الهند كمرجل ثائر يغلى حماسة وثورة.

واشترك في هذه الحركة (التي كانت ترمي هي النهاية إلى تكوين الوعي السياسي ، الحماس الوطني وكراهة الإنجليز) غاندي بكل نشاط وحماسة وقام برحلات طويلة مع محمد على وشوكت علي، كان يخاطب فيها الجمهور ويخطب في الحفلات الكبيرة التي لم تشهد البلاد مثلها، ولا أعتقد أنها ستشهد مثلها، و كان الجمهمور يستقبل هؤلاء الزعماء بحماسة منقطعة النظير ويهتف بحياتهم.

وفي سنة **1920** اقترح غاندي ومولانا أبو الكلام آزاد - الذي كان من كبار زعماء الخلافة وحركة التحرير وأحد قادة الفكر في الهند - مقاطعة البضائع الأجنبية ومقاطعة الحكومة الإنجليزية والإضراب عن التعاون معها في دوائرها وجيوشها، فكان أمضى سلاح استعمل في حرب التحرير والكفاح الوطني في أي بلد حسبت له الحكومة الإنجليزية كل حساب، وكاد يشل الجهاز الإداري وينشر الثورة العامة.

وكان كل ذلك ينذر بانتهاء الحكومة الإنجليزية ويحرج جهاز الحكومة البريطانية في هذه البلاد البعيدة، إلا أن السياسة الإنجليزية أطلقت سهمها الأخير الذي لا يطيش عادة في البلاد الشرقية، وهو سهم التفريق والإفساد. أقنع الحاكم العام ورجال الحكومة أحد الزعماء الوطنيين الهنادك بضرورة الدعوة إلى الديانة الهندوكية، وإرجاع من دخل من أهل البلاد في الدين الإسلامي إلى ديانتهم القديمة، وتنظيم الشعب الهندوكي على أساس ديني قومي حربي، فقد ظهر تفوق المسلمين وحماستهم وحسن نظامهم في حركة الخلافة والتحرير. وكانت القيادة السياسية في أيديهم، لأن القضية التي كانت تثير الجماهيرقضية إسلامية تتصل بمركز الخلافة.

ومن هنا ظهرت الدعوة والتبشير بالديانة البرهمية والآرية وتنظيم الهنادك على طراز حربي، وانتشر دعاتها في الهند، وظهرت إزاء ذلك حركة الدعوة إلى الإسلام وتنظيم المسلمين على أساس مستقل. وبدأت المناظرات الدينية والخطب العاطفية والحماسية

وانفجرت الاضطرابات الطائفية في شبه القارة الهندية. وبقي المؤتمر الوطني يعمل عمله ويعقد حفلاته، وقد رأس حفله سنة 1923 الخصوصية في دهلي مولانا أبو الكلام آزاد ، والحفلة السنوية العامة في نفس السنة في كوكنادا مولانا محمد علي.

واستمرت الاضطرابات وعنفت حتى كانت في سنة 1927 في بضعة شهور فقط خمسة وعشرون اضطرابا، وكانت هذه الاضطرابات حديث النوادي والصحف والشغل الشاغل للبلاد. ولم يستطع زعماء المؤتمر وحركة الخلافة أن يوقفوا هذا الاضطرابات ، و يرجعوا المسلمين والهنادك إلى الصفاء والثقة التي كانت تسود قبل ذلك، ولم تزل الفجوة بين الطائفتين - المسلمين والهنادك - تتسع وتعمق ، والجفوة بينهما تقوى وتكبر ، والاتجاه إلى الانفصال في الزعماء يزداد قوة حتى أصبح واقعا علميا.

وبدأ الناس يشعرون بخمود الحماسة الوطنية أو بضعفها في الزعماء الوطنيين وانحيازهم إلى المعسكرات الطائفية وخضوعهم للعواطف الدينية والنعرات الطائفية، وبدأ الزعماء الوطنيون المسلمون يشعرون بأن الزعماء الوطنيين الهنادك - وعلى رأسهم الزعيم غاندي - لم يستعملوا كل نفوذهم في وقف هذه الإضطرابات الطائفية وفي محاسبة شعبهم وأصحاب ديانتهم - الذين يكونون الأكثرية في البلاد - فيما يصدر منهم من الاعتداء والسبق وإنه لم يظهر من هؤلاء الزعماء من الحياد التام والمساواة بين الطائفتين ما كان ينتظر من زعيم وطني عام. وسواء كان هذا الشعور صحيحا أو كان فيه شيء من التشاؤم وسوء التفاهم ، فقد جعل هذا الشعور يضعف نشاط بعض الزعماء الوطنيين المسلمين - الذين كانوا مشعل الحماسة الوطنية ، وكانت لهم مواقف خالدة في الدفاع عن الوطن والكفاح ضد الإنجليز ، كمولانا محمد على - في تأييد المؤتمر ، وجعلهم ينظرون إلى المسلمين كأمتهم التي يأوون إليها، ويشكون من زعماء المؤتمر ضيق التفكير ، وضيق الصدور فيما يتصل بالمسلمين .

وهكذا انفصل مولانا محمد على وكثير من زملائه عن المؤتمر، وانضموا إلى الجبهة الإسلامية ، وقويت حركة الانفصال التي كان يتزعمها محمد على جناح رئيس العصبة الإسلامية (Muslim league) حتى نادت في الأخير بتقسيم الهند ونجحت بفضل عقلية

الأكثرية الضيقة وشذوذ معاملتها وتفكيرها مع المسلمين.[16] وبقي مولانا أزاد ، وكثير من العلماء الذين كانوا ينتسبون إلى جمعية العلماء أوفياء للمؤتمر ثابتين على موقفهم القديم ووجهة نظرهم، وعلى رأسهم وفي مقدمتهم العالم الجليل المجاهد مولانا حسين أحمد المدني، وهو خليفة شيخه مولانا محمد حسن في العداء الشديد للإنجليز والحماس للقضية الوطنية والإخلاص لها والتفاني في سبيلها، وقد تحمل هو وزملاؤه[17] أعضاء جمعية العلماء كل سخط وإهانة من العنصر الإسلامي المتحمس المندفع تحت قيادة العصبة الإسلامية وكان مركز نشاط عظيم، ودوامة لا تسكن ولا تهدأ، مع النزاهة التامة وصرامة لا ضعف فيها ودين لا مغمز فيه.

وكان إخلاصه غير منازع فيه، يقره صديقه ومعارضه، فلما نالت الاستقلال، وكانت الفرصة مواتية لجني ثمار الحرية ، والانتفاع من الحكومة المحلية، وتهافت الناس عليها، كانت شخصيته الوحيدة هي التي أبت قبول أي نفع أو كسب، فلما أعلن رئيس جمهورية الهند في عام 1952 إكرامه بوسام 'بدما بوشن الفخري ، رفضه الشيخ قائلا إنه يتنافى مع طريق السلف، واعتذر ، ولا شك أن الأماني والتطلعات العالية التي كان يعقدها بحرية الهند لم تتحقق كليا، وأنه مر في عهد الحرية بتجارب قاسية حملت قلبه، وخيبت آماله ، لكنه ظل صامدا متصلبا في ساعات العسر ، أيام العبودية والاستعمار.

وكان مولانا أبو الكلام آزاد رئيس المؤتر الوطني لأطول مدة تمتع بها كرئيس ، وفي أحرج فترة مرت بها البلاد وفي عهد رئاسته زارت البعثتان الحكوميتان لحل القضية الهندية والمفاوضة في شروط الاستقلال وتفاصيله، فكان مولانا أبو الكلام بصفته رئيسا للمؤتر الوطني الهندي ممثلا للمؤتمر الوطني ولسان حاله، وقد اعترف أعضاء البعثات وعلى رأسهم السياسي الإنجليزي (sir Stafford Cripps) بذكائه ولباقته وحنكته السياسية والفطنة للدقائق الدستورية.

---

[16] ـ جاء في خطبة مولانا أبي الكلام التاريخية الخالدة التي ألقاها في البرلمان الهندي وقد أشار إلى بعض أعضاء البرلمان الهنادك الذين اعترضوا على مساعدة وزارة المعارف للمؤسسة العلمية المشهورة 'دار المصنفين ' في أعظم كراه ، لأنها تنسب إلى المسلمين. إن هذه العقول الصغيرة هي التي كانت سببا في تقسيم الهند.

[17] ـ نذكر منهم بصفة خاصة المفتي الأكبر مولانا كفاية الله، ومولانا محمد سجاد البهاري، ومولانا حفظ الرحمن الأمين العام للجمعية وعضو البرلمان الهندي.

وفي عهد رئاسته وتحت إشرافه وتوجيهه نالت الهند الاستقلال، ويدل كتابه ' الهند تنال الاستقلال ' (India wins freedom)على أنه كان العقل المفكر الموجه في جهاز المؤتمر الوطني، وكان يسيطر على زملائه وعلى الجهاز الإداري وسياسة البلاد بعقله النابغ ونظره البعيد، وشخصيته القوية، وله في حركة استقلال الهند والكفاح الوطني أوفر نصيب يمكن أن يكون لزعيم وطني.

حجـــة اللـــه البالغـــة

الشيخ شاه ولي الله الدهلوي

المبحث الرابع : مبحث السعادة - باب حقيقة السعادة:

اعلم أن للإنسان كمالا تقتضيه الصورة النوعية وكمالا يقتضيه موضوع النوع من الجنس القريب والبعيد. وسعادته التي بضره فقدها ويقصدها أهل العقول المستقيمة قصدا مؤكدا، هو الأول. وذلك أنه قد يُمدح في العادة بصفات يشارك فيها الأجسام المعدنية كالطول وعظم القامة. فإن كانت السعادة هذه فالجبال أتم سعادة، وصفاتٍ يشارك فيها النبات كالنموّ المناسب والخروج إلى تخاطيط جميلة وهيآت ناضرة، فإن كانت السعادة هذه فالشقائق والأوراد أتم سعادة ، وصفاتٍ يشارك فيها الحيوان كشدة البطش وجهورية الصوت وزيادرة السبق وكثرة الأكل والشرب ووفور الغضب والحسد، فإن كانت السعادة هذه فالحمار أتم سعادة، وصفاتٍ يختص بها الإنسان كالأخلاق المهذبة والارتفاقات الصالحة والصنائع الرفيعة والجاه العظيم. فبادئ الرأي أنها سعادة الإنسان، ولذلك ترى كل أمة من أمم الناس يستحب أتمُها عقلا وأسدها رأيا أن يكتسب هذه ويجعلَ ما سواها كأنها ليست صفات مدح. ولكن الأمر إلى الآن غير منقح، لأن أصل هذه موجود في أفراد الحيوان، فالشجاعة أصلها الغضب وحب الانتقام والثبات في الشدائد والإقدام على المهالك، وهذه كلها موفرة في الفحول من البهائم. لكن لا تسمى شجاعة إلا بعد ما يهذبها فيض النفس النطقية فتصير منقادة للمصلحة ، منبعثة من داعية معقولة. وكذلك أصل الصناعات موجود في الحيوان

كالعصفور الذي ينسج العش، بل ربّ صنعة يصنعها الحيوان بطبيعته لا يتمكن منها الإنسان بتجشم، كلا بل الحق أن هذه سعادة بالعرض، وإن السعادة الحقيقية هي انقياد البهيمية للنفس النطقية وإتباع الهوى للعقل وكون النفس الناطقة قاهرة على البهيمية والعقل غالبا على الهوى وسائر الخصوصيات ملغاة، واعلم أن الأمور التي تشتبك بالسعادة الحقيقية على قسمين: قسم هو من باب ظهور فيض النفس النطقية في المعاش بحكم الجبلة ولا يمكن أن يحصل الخُلق المطلوب بهذا القسم ، بل ربما يكون الغوص في تلك الأفعال بزينتها، لا سيما بفكر جزئي كما هو شأن الناقص ضد الكمال المطلوب ، كالذي يقصد تحصيل الشجاعة بإثارة الغضب والمصارعة ونحو ذلك، أو الفصاحة بمعرفة أشعار العرب وخطبهم . والأخلاق لا تظهر إلا عند مزاحمات من بني النوع ، والارتفاقات لا تقتنص إلا بحاجات طارئة . والصنائع لا تتم إلا بآلات ومادة. وهذه كلها منقضية بانقضاء الحياة الدنيا . فإن مات الناقص في تلك الحالة وكان سمجا بقي عاريا عن الكمال ، وإن لزق بنفسه صور هذه العلاقات كان الضرر عليه أشد من النفع. وقِسمُ إنما روحه هيئة إذعان البهيمية للملكية بأن تتصرف حسب وحيها ، وتتصبغ بصبغها وتمنع الملكية منها بأن لا تقبل ألوانها الدنية ولا تنطبع فيها نقوشها الخسيسة ، كما تنطبع نقوش الخاتم في الشمعة. ولا سبيل إلى ذلك إلا أن تقتضي بالملكية شيئا من ذاتها وتوحيه إلى البهيمية وتقترحه عليها ، فتنقاد لها ولا تبغي عليها ولا تتمنع منها ، ثم تقتضي أيضا فتنقاد هذه أيضا، ثم وثم حتى تعتاد ذلك وتتمرن ، وهذه الأشياء التي تقتضيها هذه - الملكية - من ذاتها وتقسر عليها تلك - البهيمية - على رغم أنفها إنما يكون من جنس ما فيه انشراح لهذه وانقباض لتلك ، وذلك كالتشبه بالملكوت والتطلع للجبروت ، فإنها خاصة الملكية بعيدة عنها البهيمية غاية البعد أو يترك ما تقتضيه البهيمية وتستلذه وتشتاق إليه في غلوائها.

وهذا القسم يسمى بالعبادات والرياضات ، وهي شركات تحصيل الفائت من الخلق المطلوب. فأول تحقيق المقام إلى أن السعادة الحقيقية لا تقتنص إلا بالعبادات ولذلك كانت المصلحة الكلية تنادي أفراد الإنسان من كوة الصورة النوعية ، وتأمرها أمرًا مؤكدا أن تجعل إصلاح الصفات التي هي كمال ثان (يعنى الارتفاقات الصالحة والصنائع العجيبة) بقدر الضرورة، وأن تجعل غاية همتها ومطمح بصرها تهذيب النفس وتحليتها بهيآت تجعلها

شبيهة بما فوقها من الملأ الأعلى مستعدة لنزول أكوان الجبروت والملكوت عليها ، وأن تجعل البهيمية مذعنة للملكية مطيعة لها منصة لظهور أحكامها، وأفراد الإنسان عند الصحة النوعية وتمكين المادة لظهور أحكام النوع كاملة وافرة تشتاق إلى هذه السعادة وتنجذب إليها انجذاب الحديد إلى المغناطيس ، وذلك خلق خلق الله الناس عليه وفطرة فطرهم عليها ، ولهذا ما كانت في بني آدم أمة من أهل المزاج المعتدل إلا فيها قوم من عظمائهم يهتمون بتكميل هذا الخلق ويرونه السعادة القصوى ، ويراهم الملوك والحكماء فمن دونهم فائزين بما يجل عن سعادات الدنيا كلها ملتحقين بالملائكة منخرطين في سلكهم حتى صاروا يتبركون بهم ويقبلون أيديهم وأرجلهم ، فهل يمكن أن يتفق عرب الناس وعجمهم على اختلاف عاداتهم وأديانهم وتباعد مساكنهم وبلدانهم على شيءٍ واحد - وحدة نوعية - إلا لمناسبة فطرية، كيف لا وقد عرفت أن الملكية موجودة في أصل فطرة الإنسان وعرفت أفاضل الناس وأساطينهم منهم، والله أعلم.

باب اختلاف الناس في السعادة:

اعلم أن الشجاعة وسائر الأخلاق كما يختلف أفراد الإنسان فيها، فمنهم الفاقد الذي لا يرجى له حصولها أبدا لقيام هيئة مضادة في أصل جبلته كالمخنث وضعيف القلب جدا بالنسبة إلى الشجاعة . ومنهم الفاقد الذي يرجى له ذلك بعد ممارسة أفعال وأقوال وهيآت تناسبها وتلقى ذلك من أهلها وتذكر أحاديث أئمتها وما جرى عليهم من الحوادث في الأيام ، فثبتوا في الشدائد وأقدموا على المهالك ، ومنهم الذي خُلق فيه أصل الخلُق ، و لا تزال تنبجس فيه فلتات ـ هفوات ـ كل حين، فإن أمِر بحبس نفسه عنها ضاق عليه الأمر وسكت على غيظ ، وإن أمِر بما يناسب جبلته كان كالكبريت يتصل به النار فلا يتراخى احتراقه ، ومنهم الذي خلق فيه الخلق كاملا وافرًا ، ويندفع إلى مقتضياته ضرورة ، وإن دعيَ إلى الجبن مثلا أشد دعوة لم يقبل، ويتيسر له الخروج إلى أفعال هذا الخلق والهيآت المناسبة له بالطبع من غير رسم ولا دعوة ، وهذا هو الإمام في الخلق ، لا يحتاج إلى إمام أصلا ويجب على الذين هم دونه في الخلق أن يتمسكوا بسنته ويعضوا بنواجذهم على رسومه ويتكلفوا في محاكاة هيآته ويتذكروا وقائعه ليخرجوا إلى الكمال المتوقع لهم من الخلق بحسب ما قدر لهم.

فكذلك يختلفون في هذا الخلق الذي عليه مدار سعادتهم ، فمنهم الفاقد الذي لا يرجى صلاحه كالذي قتله الخضر، طبع كافرًا وإليه الإشارة في قوله تعالى (صم بكم عمي فهم لا يرجعون)، ومنهم الفاقد الذي يرجى له ذلك بعد رياضات شاقة وأعمال ديمة يؤاخذ بها نفسه ويحتاج إلى دعوة حثيثة من الأنبياء وسنن مأثورة منهم ، وهؤلاء أكثر الناس وجودًا، وهم المقصودون في البعثة أولا وبالذات، ومنهم الذي رُكب فيه الخلق إجمالا وينبجس منه فلتاته ،إلا أنه يحتاج في التفصيل وتمهيد الهيآت على ما يناسب الخلق في كثير مما ينبغي إلى إمام وفيه قوله تعالى (يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار) وهم السباق ، ومنهم الأنبياء يتأتى لهم الخروج إلى كمال هذا الخلق واختيار هيآت مناسبة له وكيفية تحصيل الفائت منه وإبقاء

الحاضر وإتمام الناقص من غير إمام ولا دعوة ، فينتظم من جريانهم في مقتضى جبلتهم سنن يتذكرها الناس ويتخذونها دستورا، كيف ولما كانت الحدادة والتجارة وأمثالهما لا تتأتى من جمهور الناس إلا بسنن مأثورة عن أسلافهم فما ظنك بهذه المطالب الشريفة التي لا يهتدي إليها إلا الموفقون ، ومن هذا الباب ينبغي أن يعلم شدة الحاجة إلى الأنبياء ووجوب اتباع سنتهم والاشتغال بأحاديثهم ، و الله أعلم.

الخلاصـــة:

إن الله تعالى خلق الإنسان وزوده بالعقل والقدرات المختلفة لتحقيق غاية واحدة ، فهي السعادة الأبدية التى لا ينالها تماما إلا في الحياة الأخروية. أما ما يناله في هذه الدنيا فهي سعادة ناقصة ، بل ربما فيها محنة وبلاء. ولا يغرن أحدًا ما نال منها ، وقد أوتي الإنسان من الصفات مثل ما أوتي البهائم ، بل هن أوفر حظا منه، وهذه الصفات ليست معيارًا للسعادة . والسعادة هو الاحتفاظ بالصفات الملكية والتغلب بها على الصفات البهيمية، وقد أودع الله في الإنسان طبيعة قابلة لكل الخير ومانعة لكل الشر. وهو ينجذب بطبيعته إلى الطيب الصالح ويتحمس لتقويته وتنشيطه ، ولكنه معرض للأخطاء والهفوات ، يحتاج إلى من يرشده إلى الصواب، ولهذا أرسل الله الرسل بالوحي الذي يعلم الإنسان ما لم يعلم. وإذا هو يتبع تعاليم الوحي الإلهي ويقوم بإصلاح باطنه، فإنه هو وحده الذي يشعر لذة السعادة ، وكلما يحلو له إيمانه واعتقاده بالله يكون فيه الاستعداد الدائم للمبادرة بالأعمال الصالحات التي هي الأخرى تجلب السعادة إليه.

تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين

القسم الثانـــي:

في بدء ظهور الإسلام في مليبار.

وذلك أن جمعا من اليهود والنصارى دخلوا بلدة من بلاد مليبار يقال لها كدنكلور- وهي مسكن ملكها - في مركب كبير بعيالهم وأطفالهم، وطلبوا منه الأراضي والبساتين والبيوت وتوطنوا فيها، وبعد ذلك بسنين وصل إليها جماعة من فقراء المسلمين معهم شيخ قاصدين زيارة قدم أبينا آدم عليه السلام بسيلان، فلما سمع الملك بوصولهم طلبهم وأضافهم وسألهم عن الأخبار ، فأخبره شيخهم بأمر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبدين الإسلام، وبمعجزة انشقاق القمر ، فأدخل الله سبحانه وتعالى في قلبه صدق النبي صلى الله عليه وسلم ، فآمن به ودخل في قلبه حب النبي صلى الله عليه وسلم، وأمر الشيخ بأن يرجع هو وأصحابه إليه بعد زيارة قدم آدم عليه السلام ليخرج هو معهم، ومنعه أن يحدث بهذا السر المليباريين ، ثم إنهم سافروا إلى سيلان، ورجعوا إليه ، فأمر الملك الشيخ بأن يهيئ مركبا لسفره من غير أن يعلم به أحد، وكان في البندر المذكور مراكب كثيرة للتجار الغرباء، فقال الشيخ لصاحب مركب : أنا وجماعة من الفقراء يتوقعون أن يركبوا في مركبك ، فرضي بذلك صاحب المركب ، ولما قرب وقت السفر نهى الملك أهل بيته ووزراءه أن يدخل أحد منهم عليه مدة سبعة أيام ، وعين في كل بلدة من بلدانه شخصا، وكتب لكل كتابا مفصلا بتعيين الحدود حتى لا يتجاوز أحد عن حده الذي عينه. والحكاية في ذلك مشهورة عند كفرة مليبار أيضا، وكان ملكا متواليا في جميع مليبار، وحدها من الجنوب كمهري ومن الشمال كانجركوت، ثم إن الملك ركب مع الشيخ والفقراء في المركب ليلا، وسار المركب حتى وصل إلى فندرية ، فنزل فيها ولبث يوما وليلة، ومنها سار المركب إلى درمفتن ، ونزل فيها ولبث ثلاثة أيام، ومنها سار المركب حتى وصل إلى شحر، ونزل فيها هو ومن معه ، و بعد مدة طويلة رافقه جماعة في السفر معه إلى مليبار لعمارة المساجد وإظهار دين الإسلام

فيها، ثم إن الملك مرض واشتد مرضه ، فوصى أصحابه الذين رافقوه - وهم شرف بن مالك، وأخوه من الأم مالك بن دينار، وابن أخيه مالك بن حبيب بن مالك وغيرهم - بأن لا يبطلوا سفر الهند بعد موته فقالوا: نحن لا نعرف موضعك ولا حد ولايتك ، وإنما أردنا السفر بصحبتك ، فتفكر الملك ساعة وكتب لهم ورقة بخط مليبار عين فيها مكانه وأقرباءه وأسماء ملوكها ، وأمرهم أن ينزلوا في كدنكلور أو درمفتن أو فندرينة أو كولم ، وقال لهم لا تخبروا بشدة مرضي ولا بموتي إن مِت أحدا من المليباريين ، ثم إنه توفي رحمه الله رحمة واسعة.

وبعد ذلك بسنين سافر شرف بن مالك ، ومالك بن دينار ، ومالك بن حبيب وزوجته قمرية وغيرهم مع الأولاد والأتباع إلى مليبار في مركب ، فوصل إلى كدنكلور، ونزلوا فيها وأعطوا ورقة الملك المتوفى إلى الملك الذي فيها، وأخفوا خبر موته، فلما قرأها وعلم مضمونها أعطاهم الأراضي والبساتين على مقتضى ما كتبه ، فأقاموا فيها وعمروا فيها مسجدا، وتوطن فيها مالك بن دينار وأقام ابن أخيه مالك بن حبيب مقامه لبنائه المساجد في مليبار ، فخرج مالك بن حبيب إلى كولم بماله وزوجته وبعض أولاده وعمر بها مسجدا، ثم خرج منها بعد ما خلى زوجته فيها إلى هيلي ماراوي ، وعمر بها مسجدا ، ثم إلى باكنور وعمر بها مسجدا ثم رجع منها إلى منجلور وعمر بها مسجدا وخرج إلى كانجركوت وعمر بها مسجدا وخرج منها إلى هيلي ماراوي وأقام بها ثلاثة أشهر ، ومنها إلى جرفتن وعمر بها مسجدا ، ومنها إلى درمفتن وعمر بها مسجدا ، ومنها إلى فندرينة وعمر بها مسجدا، ومنها إلى شاليات وعمر بها مسجدا ، وأقام بها مدة خمسة أشهر، ومنها إلى كدنكلور عند عمه مالك بن دينار ، ثم سافر منها إلى المساجد المذكورة وصلى في كل مسجد منها ورجع إلى كدنكلور شاكرا لله وحامدا له لظهور دين الإسلام في أرض ممتلئة كفرًا.

ثم خرج مالك بن دينار ومالك بن حبيب مع الأصحاب والعبيد إلى كولم، وتوطنوا غير مالك بن دينار وبعض أصحابه ، فإنهم سافروا إلى شحر وزاروا قبر الملك المتوفى فيها. ثم سافر مالك إلى خراسان وتوفي فيها. ورجع مالك بن حبيب مع زوجته بعد ما ترك بعض أولاده في كولم إلى كدنكلور وتوفي فيها هو وزوجته وقبرهما يقع بجوار المسجد التاريخي في كدنكلور .

CUP 6567/08/1000/SDE-5

هذا خبر أول ظهور دين الإسلام في بلاد مليبار ، وأما تاريخه فلم يتحقق عندنا، وغالب الظن أنه كان بعد المائتين من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتحية، وأما ما اشتهر عند مسلمي مليبار أن إسلام الملك المذكور كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم برؤية انشقاق القمر ليلة ، وأنه سافر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وتشرف بلقائه ورجع إلى شحر قاصدا المليبار مع الجماعة المذكورين وتوفي فيها ، فلا يكاد يصح شيء منها. [*وهناك مؤرخون يرون صحة هذا الخبر الذي اشتهر بين المسلمين وغيرهم في كيرالا إن إسلام الملك المذكور كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ويقول راوو بهادر كوبالن ناير في كتابه مسلمو مليالم* ***C.Gopalan Nairs Malayalathile Mappilamar*** *نقلا عن بعض الكتب العربية التي ترجمها له القاضي الكبير السيد حسين بن محمد بن علي شهاب الدين باعلوي أن برمال لقي النبي بجدة في الساعة التاسعة من يوم الخميس 27 شهر شوال وأنه لقنه كلمتي الشهادة وأنه سماه بتاج الدين السلطان وأنه قضى خمس سنوات معه. ويؤيد هذا القول ما رواه الحاكم في المستدرك أن ملكا هنديا أهدى إلى النبي الزنجبيل في جرة وأنه قسمه قطعة قطعة بين أصحابه*] والمشهور الآن بين الناس أنه مدفون في ظفار ، لا شحر وقبره مشهور هنالك يتبرك به، وأهل تلك الناحية يسمونه السامري. وخبر غيبة الملك المذكور مشهور عند جميع أهل مليبار المسلمين والكفرة، إلا أن الكفرة يقولون عرج به إلى فوق ويتوقعون نزوله ، ولذلك كانوا يهيئون في موضع في كدنكلور قبقابا وماء ويسرجون فيه في ليلة معروفة عندهم ، ومشهور عندهم أيضا إنه قسم ولايته عند قرب سفره على أصحابه إلى السامري الذي كان أولا رعاة بندر كاليكوت ، فإنه كان غائبا عند القسمة ، فلما حضر أعطاه سيفا وقال له: اضرب بهذا وتملك ، فعمل بمقتضى قوله فتملك كاليكوت، وبعد زمان سكن فيها المسلمون ووصل إليها التجار، وأصحاب الصنائع من أطراف شتى ، و كثرت التجارة فيها حتى كبرت وصارت مدينة عظيمة ، اجتمع فيها صنوف الناس من المسلمين والكفار، وظهرت قوة السامري فيما بين رعاة مليبار. ورعاتها كلهم كفرة وفيهم القوي والضعيف، ولكن لا يأخذ القوي بلد الضعيف بقوت، وذلك بوصية ملكهم الكبير الذي أسلم ، ودعائه بذلك وببركة النبي صلى الله عليه وسلم وبركة دينه ، فإن منهم من يكون له مملكة فرسخ، ومنهم من يكون له زيادة على ذلك ، وفيهم من يكون له من العساكر مائة أو دونها أو مائتان أو ثلاثمائة إلى ألف وإلى خمسة آلاف وعشرة آلاف إلى ثلاثين ألفا وإلى

مائة ألف أو أكثر. وبعض البلدان يشترك فيها اثنان وثلاثة أو أكثر ، مع أن بعضهم أقوى وأكثر عسكرا من الآخر، يقع الحرب والشحناء بينهم، ومع هذا لا يتغير أمر الشركة ، وأكثرهم عسكرا ترودي راعي كولم وكهمري وما بينهما ، وفي شرقيهما ممالك كثيرة له، ثم كولتري راعي هيلى ماراوي وجرفتن وكننور وإدكاد ودرمفتن وغيرها. وأكثرهم شوكة وأشهرهم ذكرًا السامري وله ظهور فيما بينهم، وذلك ببركة دين الإسلام وحبه للمسلمين وإكرامه لهم خصوصا الغرباء، وأما الكفرة فيزعمون أن ذلك بإعطاء الملك المتقدم ذكره السيف له، وذاك السيف موجود عند السامري إلى الآن على ما يزعمون، محترما معظما ويحمل بين يديه إذا خرج لحرب أو مجمع عظيم ، وإذا حارب السامري أحد رعاتها الذين هم غير الأقوياء بسبب من الأسباب يعطيه المال أو المملكة إذا اضطر، وإذا لم يعط لا يتسلط قهرا مع قدرته على ذلك ولو طال الزمان، وذلك أن أهل مليبار يراعون العادات الرسوم القديمة ولا يخالفونها إلا نادرا، وأما غير السامري فليس له في المحاربة شيء إلا إهلاك النفوس وتخريب البلدان إن أمكن.

القسم الثالث:

في ذكر نبذة يسيرة من عادات كفرة مليبار الغريبة

اعلم أن في كفرة مليبار عاداتٍ غريبة ليست في غيرها من الأقطار. منها أنه إذا قتل راعيهم في الحرب يتهجم عاسكره على خصمه وعساكره وبلاده حتى يقتلوا جميعهم أو يخربوا مملكة خصمه جميعا، ولهذا يهابون من قتل الراعي هيبة عظيمة . وهذا عادتهم القديمة وإن قلت المحافظة على ذلك في هذا الزمان. ومنها أن رعاة مليبار صنفان: صنف معينو السامري وصنف معينو راعي كشي، ولا يختلف ذلك إلا لعارض ، فإذا زال العارض رجعوا إلى طريقتهم الأولى. ومنها أنهم لا يخدعون في حروبهم، بل يعيّنون يوما معلوما للحرب لا يخالفونه، ويرون الخداع في ذلك هوانا. ومنها أنه إذا مات كبيرهم كالأب والأم وكبير الإخوة بالنسبة إلى البراهمة والنجارين وأمثالهم، وكالأم والخال وكبير الإخوة بالنسبة إلى النيار ومن قاربهم، يجتنبون سنة كاملة غشيان النساء وأكل الحيوانات والتنبول وحلق الشعور ، وقلم الأظفار ولا يخالفون هذه العادة ويرون ذلك قربة إلى الأموات.

ومنها أن الإرث في طوائف النيار ومن قاربهم لإخوتهم من الأم ، وأولاد أخواتهم أو خالاتهم أو قرابتهم من جهة الأم، لا للأولاد مال وملك، وقد أنجر هذا - أعني عدم توريث الأولاد - إلى أكثر مسلمي كننور وما حواليها تبعا لهم مع أن فيهم من يقرأ القرآن ويحفظه ويحسن قراءته ويتعلم العلم ويشتغل بالعبادات. وأما البراهمة والصاغة والنجارون والحدادون والفازانيون والسماكون وغيرهم فالإرث فيهم للأولاد ولهم نكاح. وأما النيار فليس لهم من النكاح إلا عقد خيط في عنق المرأة في أول مرة ، ثم الأمر على حسب الحال، العاقد وغيره سواء. وأما البراهمة فإذا كانوا إخوة لا ينكح إلا أكبرهم سنا ما لم يتحقق أنه لا يولد له ، والباقون لا ينكحون لئلا يكثر الورثة فيقع الخلاف. بل ينضمون إلى نسوان النيار من غير نكاح. وإذا حصل لأحدهم من إحداهن الولد فلا يورثونه، وإذا تحقق الأكبر لا يولد له نكح غيره.

ومنها أنه يجتمع على امرأة واحدة من طوائف النيار ومن قاربهم اثنان أو أربعة أو أكثر، ويتناوب كل منهم ليلة كما يقسم الزوج المسلم بين زوجاته، ووقوع العداوة والشحناء بينهم في ذلك قليل، وتبعهم النجارون والحدادون والصاغة وأمثالهم في أن يجتمع على امرأة أكثر من واحد ، ولكن من الإخوة، وإلا فمن القرابة لئلا يتفرق الورثة ويقل الاختلاف بينهم في الإرث. ومنها أنهم كاشفون أبدانهم ولا يسترون منها إلا السوأتين وشيئا مما يليهما وباقي البدن مكشوف ، ويستوي في ذلك الذكور والإناث والملوك والكبراء ، ولا يحتجب نسوانهم عن أحد إلا نسوان البراهمة فلهن احتجاب، وأما النيار فيزينون نسوانهم بالحلي والثياب النفيسة ويخرجونهن في مجامعهم الكبيرة حتى يشاهدن الرجال ويستحسنوهن.

ومنها أنه لا يتملك فيهم إلا من هو أكبر سنا ولو بلحظة ، وإن كان أحمق أو أعمى أو ضعيفا أو من أولاد الخالات، ولم يسمع أن أحدا من الإخوة أو أولاد الخالات قتل من هو أكبر منه سنا لتولي الملك عجلا. ومنها أنه إذا انقطع الورثة أو قلوا يأخذون أجنبيا ولو كبيرًا ويجعلونه وارثا في مقام الولد أو الأخ أو ولد الأخت، ثم لا يفرقون بينه وبين الأصلي في الإرث والملك، وهذه العادة جارية بين جميع كفرة مليبار ملوكهم وسوقتهم، أعاليهم وأدانيهم ، فبذلك لا ينقطع ورثتهم. ومنها أنهم التزموا تكليفات كثيرة لا يعدلون عنها، لأنهم منقسمون

على أجناس عديدة، منهم الأعلى والأدنى وما بينهما، وإذا وقع التماس بين الأعلى والأدنى ، وكذا القرب إلى حد معلوم عند هم بالنسبة إلى الدنيين، فلا بد للأعلى من الغسل، ولا يجوزون له أكل الطعام قبل الغسل، فلو أكل قبله انحط عن مرتبته ، فلا يدخلونه معهم في مرتبتهم العليا ، ولا خلاص له إلا بالهرب إلى موضع لا يعرف أهله بحاله ، وإلا أخذه راعي البلد وباعه لمن لهو أدنى منه مرتبة إن كان صبيا أو امرأة ، وإلا جاء إلينا وأسلم أو صار جوكيا أو نصرانيا. وكذا لا يجوزون للأعلى أن يأكل طعاما طبخه الأدنى ، فإن أكل خرج عن مرتبته ويترتب عليه ما ذكر آنفا. وأصحاب الخيوط - وهم الذين يلتزمون لبس الخيوط في عواتقهم - أعلى جميع كفرة مليبار ، وهم أيضا طوائف منهم الأعلى والأدنى وما بينهما، والبراهمة أعلى أصحاب الخيوط وهم أيضا أصناف ، ودون أصحاب الخيوط النيار وهم عساكر أهل مليبار وأكثرهم عددا وشوكة، وهم أيضا أصناف كثيرة منهم الأعلى والأدنى وما بينهما ، ودونهم الفازانيون وهم الذين يعتادون صعود أشجار النارجيل لتنزيل حبوبها إلى الأرض وإخراج مائها الذي يصير خمرا أو يطبخ ويجعل سكرا.

ودونهم النجارون ، والحدادون والصائغون والسماكون وغيرهم، ودونهم طوائف كثيرة مهم الدنيون ، وهم الذين يعتادون الحراثة والزراعة وما يتعلق بهما، وهم أيضا أصناف، وإذا وقعت حجرة من واحد من الدنيين على إحدى النساء اللاتي فوق مرتبته في ليال معروفة عندهم من السنة انحطت عن مرتبتها إن لم يستصحبها ذكر ولو حملا، فإما أن يأخذها الوالي ويبيعها أو تجيئ إلينا وتسلم أو تصير نصرانية أو جوكية ، وكذا إذا وقع الوطء بين علية ودنيّ أو بالعكس فينحط العلي عن مرتبته فلا قرار له إلا بأحد الأمور المذكورة، إلا إذا وطئ أصحاب الخيوط نسوان النيار، فلا يخرجونهم عن مرتبتهم، وجعلوا هذا عادة فيما بينهم لما تقدم أنه لا يتزوج إلا أكبر الإخوة في البراهمة والباقون ينضمون إلى نسوان النيار. وكم مثل هذا من التكليفات التي التزموها على أنفسهم جهلا وسفاهة، وقد جعل الله سبحانه وتعالى سببا غالبا لدخولهم في دين الإسلام بفضله.

وهذه الكلمات إنما وقعت فيما بين الكلام استطرادًا ، فإن الكلام يجر إلى الكلام، عدنا إلى مقصودنا بهذه الأوراق، وذلك أن شرف بن مالك ومالك بن دينار وحبيب بن مالك

وغيرهم ممن تقدم ذكرهم ، لما دخلوا مليبار وعمروا المساجد في البنادر المذكورة وفشا فيها دين الإسلام ، دخل أهلها في الدين قليلا قليلا ووصل إليها التجار من أطراف كثيرة وعمرت بلاد غيرها مثل كاليكوت ، ويلينكوت ، وترورنكادي ثم تانور ثم فنان وبربورنكادي ثم برونور(Paravanna) من حوالي بندر شاليات ومثل كبكات وتركودي وغيرهما من حوالي فندرينة ومثل كننور وإدكاد وترونكاد وميلي وجمنيا من حوالي درمفتن وفي جنوبها بدفتن ونادورم وفي جنوبي كدنكلور كشي وبت وبلبرم وكذا غيرها من البنادر وكثر فيها سكانها وعمرت بالمسلمين وتجاراتهم لقلة ظلم رعاتها مع كونهم وكون عساكرهم كفرة ، ومع رعايتهم عاداتهم المتقدمة وعدم مخالفتهم لها إلا نادرًا ، والمسلمون فيها رعايا وقليلون، لا يبلغون عشرمعاشيرهم.

وأعظم بندر مليبار من قديم الزمان ذكرًا بندر كاليكوت ولكنها ضعفت وخربت بعد وصول الإفرنج إلى مليبار وتعطليهم أسفار أهلها، وليس للمسلمين في جميع ديار مليبار أمير ذو شوكة يحكم عليهم، بل رعاتهم الكفرة يحكمون عليهم بضبط أمورهم وتغريمهم المال إذا صدر من أحد منهم ما يتقضي الغرامة عندهم. ومع هذا فللمسلمين فيما بينهم حرمة وعزة، لأن أكثر عمارات بلادهم بهم فيمكنون من إقامة الجمع والأعياد، ويعينون الوظائف للقضاة والمؤذنين، ويعينون في إجراء الأحكام الشرعية بين المسلمين، ولا يرخصون في تعطيل الجمعة ، فمن عطلها آذوه وغرموه المال في أكثر البلاد. وإذا صدر من مسلم ما يقتضى قتله عندهم قتلوه بإذن كبراء المسلمين ثم يأخذه المسلمون ويغسلونه ويكفنونه ويصلون عليه صلاة الجنازة ويدفنونه في مقابر المسلمين، وإذا صدر من كافر ما يقتضي قتله قتلوه وصلبوه وتركوه في مقتله حتى يأكله الكلاب وأبناء آوى. ولا يأخذون منهم إلا العشور في التجارات وإلا الغرامات إذا صدر منهم ما يقتضي الغرامة عندهم، ولا يأخذون الخراج من أصحاب الزراعات والبساتين، ولو كثرت، ولا يدخلون داخل بيوت المسلمين بغير إذنهم إذا صدر منهم جراءة ولو قتلا بظلم، بل يكلفونهم إخراج صاحب الجراءة من بينهم بالملازمة والإضرار بالتوجيع ونحوه، ولا يتعرضون لمن أسلم منهم بأذى ، بل يحترمونه كاحترام سائر المسلمين ، ولو كان عندهم من أسافلهم . وكان تجار المسلمين في الزمان القديم يجمعون له ما يرتفق به.

شرح الكلمات الغامضة:

1- مدينة كدنكلور : تقع في جنوب كيرالا في محافظة ترشور وكان اسمه القديم موزيرس Muziris ومهوديابرم Mahodayapuram واختلف المؤرخون في أصل اليهود الذين جاؤوا إلى كدنكلور كما اختلفوا في تاريخ وصولهم ، غير أن التاريخ يقول: إن جمعا من اليهود بقيادة جوزف ربان قد وصلوا إلى كيرالا بعد سقوط أورشليم. وكان وصول النصارى إلي كدنكلور أولا في السنة الثانية والخمسين للميلاد بقيادة القديس توما St.thomas 2 - شيرمان برمال : وبعضهم يقولون: بالي بانا برمال Pallipana Perumal 3 - كمهري يعني كنياكماري، وهي أبعد نقطة إلى الجنوب من أرض الهند. 4- كانجركوت : مدينة تعرف الآن بكاسركود 5- فندرينة : من أقدم موانئ كيرالا وهي الآن بنتلايني Pandalayini, Koilandy 6- درمفتن: وهي درمفتتم أو درمدم قريبا من تلشيري Darmadam 7- شحر: مدينة قديمة تقع على ساحل البحر الهندي قريبا من يمن وهي الآن في صلالة في سلطنة عمان. 8 - هيلي مراوي: وهي المعروفة الآن بإيزي مالا Ezhimala وهي سلسلة جبال مرتفعة عن سطح البحر بثمانمائة وخمسة وخمسين قدما. 9 - باكنور: تقع الآن في ولاية كرناتكا. واسمها الحالي: بدكل Batkal 10 - جرفتن: واسمها الحالي سريكندبرم بمقاطعة كانور. 11 - ظفار : مدينة قديمة في صنعاء اليمن. 12 - قبقاب : حذاء خشبي 13: ترودي: معناه القدم المقدسة، كان يلقب بها ملوك ويناد 14. كابكاد: وهو Kakkad في مقاطعة كنور ، ويقال هي كاباد بمقاطعة كليكوت 15. ترونكاد تقع في بلدية تلشيري 16. ميلي وهو مدينة ماهي المعروفة. 17 . بندر/ بنادر : مربط السفن أو الميناء.

ترجمة الشيخ زين الدين المخدوم الصغير:

هو الشيخ المخدوم أحمد زين الدين الصغير بن الشيخ محمد الغزالي ابن الشيخ زين الدين بن علي بن أحمد المعبري المعروف بالمخدوم الكبير. وكان عالما كبيرًا وفقيها متضلعًا ومؤرخًا جليلا، ذاع صيته في الآفاق بمؤلفاته الشهيرة. وقد اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ ولادته ووفاته . ويذكر الدكتور عبد المنعم النمر العالم المصري في كتابه تاريخ المسلمين في الهند أنه توفي عام 991 هـ ، بينما يذهب المؤرخ جرجي زيدان إلى أنه مات سنة 978، وهناك مؤرخ مليباري وهو الشيخ محمد ملسليار يقول إنه ولد عام 931 وتوفي عام 1028هـ .

تربى الشيخ زين الدين في حضانة عمه الشيخ عبد العزيز المعبري ، لأن والده محمد الغزالي توفي في صغر سنه، وبعد أن تلقى مبادئ العلوم الدينية والعربية ، التحق بدرس عمه عبد العزيز في فناني، وتلمذ على الشيخ العلامة إسماعيل السكري، ثم

ارتحل إلى مكة المكرمة وقرأ العلوم على العلامة الحافظ شهاب الدين بن حجر الهيثمي مفتي الشافعية للديار المكية آنذاك، كما تلقى العلوم من الشيخ المفتي عز الدين بن عبد العزيز الزمزمي والشيخ وجيه الدين عبد الرحمن بن زياد، والشيخ عبد الرحمن الصفوي ، ثم رجع إلى الوطن وتولى الزعامة الدينية بالديار المليبارية عامة، وزعامة قرية فناني على وجه الخصوص. وقد كان على اتصال دائم بأعيان علماء عصره ، وممن يجدر بالذكر منهم السيد أبو بكر بن سالم الحضرمي والشيخ أحمد بن السيد العيدروسي الأحمدآبادي والعلامة السيد عبد القادر العيدروسي الأحمد آبادي والشيخ ملا علي الفارسي وغيرهم كثير.

وقام بالتدريس في المسجد الجامع الكبير بفناني 36 عاما، وقد نالت المدرسة الدينية التي أقيمت في المسجد الجامع في أيامه شهرة كبيرة حتى أمّها الطلاب من ملايا وجاوا وإندونيسيا وغيرها من البلدان النائية . وفي خلال إقامته في مسجد فناني تدخل في شؤون السياسة والمجتمع دفاعا عن الاحتلال البرتغالي الغاشم ، وكان إلمامه باللغات الهندية والفارسية بجانب العربية ، وتبحره العلمي ، مهدا له الطريق لإيجاد علاقات مع سلاطين مملكة بيجافور أمثال علي عادل شاه ومحمد علي شاه ، وقام لهما مقام الناصح الأمين. وكان الملك الساموتري ملك مليبار كلفه مسؤولية المراسلات إلى ملوك العرب وأكرمه غاية الإكرام. وبعد حياة مليئة بالتعليم والتأليف ومشاطرة أحوال الناس، آثر البقاء في موطن والدته ومدفن والده شومبال حيث قضى نحبه ، وقبره موجود في مقبرة الجامع هناك.

مؤلفاته:

كان الشيخ زين الدين الصغير علمًا من الأعلام الذين أنجبتهم بلاد كيرالا ، وله عدة مؤلفات بالعربية ما بين الصغير والكبير. ومنها :

- قرة العين بمهمات الدين : وهو مختصر في المسائل الفقهية على مذهب الإمام الشافعي . واسمه الكامل " فتح المعين بشرح قرة العين"، وإحكام أحكام النكاح، وإرشاد العباد إلى سبيل الرشاد وهو في الوعظ والنصائح، وشرح الصدور في أحوال الموتى والقبور،

والفتاوى الهندية، والجواهر في عقوبة أهل الكبائر، والأجوبة الصحيحة عن الأسئلة الغريبة.

القصائـــد العربيـــــة

ترياق لداء الفؤاد:

قال هذا الشيخ أن. كي. أحمد مولوي تهنئة لزميله الأستاذ محي الدين الآلوائي حين تأهل لشهادة الدكتوراه في اللغة العربية من جامعة الأزهر بمصر عام 1971 .

الخل إن يف بغـية المرتاد وذخيـرة ليسـت بـذات نفـاذ

إن الحبيـب الآلوائي الذي يدعى بمحي الدين كان عمادي

لقد سرى طيف الحبيب وإنني أنا ذو شخير في عميـق رقاد

فـــإليّ خيل أنه لم يخـــتتم بعث الإلـه الرســـل للإرشاد

هل طيفه ملك بوحي جاءني ليـــدلني أني نبـــيّ هـادي

أبمثل هذا الطيف ضل من افترى دعوى النبوة أم بمحض عناد

الطيف أرّقني فليلي لم يـزل من أجل هذا الطيف ليل سهاد

الطيف ذكّرني الحبيب وإنه بالعهد واف منجـــز الميعاد

الطيف مثله أديبا جـــهبذا يحـــكي أديبيْ وائل وإياد

الطيف مثله خطيبا حاكيا إذ قام يخطب طارق بن زياد

الطيف مثـــله وقورا سيدا ذا هيبـــة مـــن أعظم القواد

متحليا بجميل خلق جاذب لجميع مـن يلقى وبشر باد

وأخا وفيا مرفدا لصديقه عند الشدائد أعظم الإرفـاد

الطيف مثله يجاهد محييا للدين كل الوقت حق جهاد

الطيف ذكرني سنين قضيتها جسد بحسن تراحم وتفاد

روحا لجسمي كان حينئذ فمن بعد الفراق ظللت مثل جماد

لأروح فيّ ولا تطور هل بلا روح نما جسد من الأجساد

طِرْ يا حمام وبلغَن إلى أخي منّي سلام أخوة ووداد

واقصص على محبوب قلبي شاديا قصصي جميعا يا حمام الشادي

يا محييَ الدين الموقر إنما لقياك يوما ما أهم مرادي

ذكرى أوَيقات قضيناها معا قد أكمدَتني غاية الإكماد

تالله إن نوَى حبيب صادق في حبه لمذيبة الأكباد

طالت أحايين التباعد بيننا طولا فيا ويلي بطول بعاد

من صبية كنا أوان الوصل يا خِلي ذوي شَعر شديد سواد

والآن بعد فراقنا شِبنا وقد صرنا من الآباء والأجداد

قلبي هَيوم يا حبيبي إنه إياك يذكر دائما وينادي

أمن المحال لقاؤنا فمتى به أحظى ولو في مركب أو ناد

لو نلت منك رسالة لوجدتها يا خل ترياقا لداء فؤادي.

تعريف بالشاعر أن. كي أحمد مولوي:

وهو المولود بقرية كدوتور بمقاطعة كنور عام 1926 وأتم دراسته في كلية مدينة العلوم ببولكل . وتقاعد عن منصب المدرس في المدرسة الثانوية بتلشيري عام 1981 وقام برحلات إلى الدول العربية مثل المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة والبحرين. وكتب من الأشعار ما يزيد على مائة ، في مختلف الأغراض والمناسبات. وكان أستاذا زائرًا في الجامعة السلفية ونشرت بعض مقالاته في جريدة أخبار العالم الإسلامي والخليج. توفي عام 2006

اللغــة العــربية

المولوي علـــي بن فريد الكجنـــوري

إن اللغات كثيرة بين الورى بمناسبات مناطق البلدان

لكن نفضل بعضها على بعض بمـزية التعبـــير والتبيان

فنرى رقي الناس في مدنية وحضارة مربوطة بلسان

وخصائص العربية الفصحى تقا دم عهدها في غابر الأزمان

وهي الفريدة في العلو فلا يرى بين اللغات لها مثيل ثانـــي

عربية عرقت جذور أصولها وتشبكت بطبـيعة الإنسان

لايعتريها المسح والتغيير بل هي ترتقي بعناية الرحمان

ولها مزيات تغاير غيرها من حيث ألفاظ وحيث معان

فبها تعبر عن ضمئرنا بإيـ جاز الكلام وأفصح التبيان

فحجاز طينتها وفاح نسيمها في مصر ثم الشام واللبنان

واستوطنت يمنا ودمشق مثلما رسخت بأرض عراق والإيران

حتى إذا بلغت أشد حياتها وتمكنت لتسيح في البلدان

أعلى مزيتها الإله بجعلها لغـــة لما أوحاه من قـــرآن

فيه ازدهت وتثبتت وترفعت وتسابقت في المجد كل لسان

وبه استقامتها وحفظ أساسها ونموها في سائر الأوطان

ولنا بتلك علاقة أبـــــدية مفــروضة بتنزل الفرقــان

وبحيثما كانت خزائن حكمة وشريعة وينابـــع العرفان

لا بد منـــها للألى يتمسكو ن بملـة الإسلام بالبـرهان

ولذاك قال الشافعـي إمامنا بوجوبها لتفهــم القـــرآن

تعريف بالشاعر:

هو المولوي عليّ بن فريد الكشنوري المولود عام **1910**، أتم دراساته العليا بدار العلوم وازكاد ، ثم سار مدرسا في شتى المدارس ، وهذا الشاعر ذاع صيته حتى في خارج الهند حيث نال كتابه ' مختصر أحكام الفقه' إعجاب علماء مصر ، فقاموا بطبعه وتوزيعه من مصر كما نالت نشرته 'خلاصة الأخبار في سيرة المختار' ثناء العلماء في المملكة العربية السعودية والهند ، وله أشعار كثيرة ، توفي عام **1982**

يـــا اللـــــه

للشاعرة الدكتوراه ثـــريـــا

يـــا اللـــه ! يا مـن لا يـحـده

إطار من الديـــــن يا من تحـــرر

من كل قيـــد...

في نورك... في ظلـــــك

أطلـــب الراحـــة والسبات

تجاوزت حدود المدينـــة .... وحدود الديـــار

غير أن قلبـــي ..... اتســـع لعظمتك

هل قلب البشر ... هو العالـــم الوحيد ... بلا حدود

أنا أسجد لـــك ..... يا ذا الجـــلال

ترجمة الشاعرة:

ولدت الدكتورة ثريا عام 1934 في أسرة اشتهر أعضاؤها في المجال الأدبي والثقافي والاجتماعي ، والدها وي يم ناير كان مدير التحرير للصحيفة اليومية ماتربهومي ووالدتها بالا مني أما شاعرة مشهورة وزوجها مادواداس كان كبير المستشارين لصندوق النقد الدولي وعضوا في مجلس الإدارة للبنك المركزي، وابنها البكر يم دي نالاباد صحفي وكاتب مشهور.

والاسم الأصلي للدكتورة/ ثريا هو كملا ، وكانت قد انتحلت اسمين قلميين: مادهوي كوتي، وكملا داس. وبعد إسلامها اتخذت لنفسها اسم ثريا. أتمت تعليمها المدرسي في قرية بونايوركولم ومدنية كلكتا. وما إن وصلت إلى المرحلة الجامعية حتى أنهت دراستها النظامية وتزوجت في سن مبكر. شرعت نشاطها الأدبي بكتابة القصص والروايات والقصائد والمقالات باللغتين: الماليالمية والإنجليزية ، وذاع صيتها على المستوى الوطني والدولي كما نالت مكانة عالية في الأدب العالمي كشاعرة عشق.

وعلى الرغم من عدم إكمالها التعليم الجامعي أصبحت أستاذة زائرة في عدد من الجامعات بدول أوروبا والولايات المتحدة ، كما عملت رئيسة لجمعية أقلام الأطفال، ومحررة الأشعار بمجلة فيمينا ومحررة لمجلة بويت ورئيسة مساعدة للمجمع الأدبي بكيرالا. وبعد سنوات طويلة قضتها في دراسة العقيدة الإسلامية ونظام الإسلام الاجتماعي أعلنت عن اعتناقها الإسلام عام 1999 ، ويتركز نشاطها الأدبي بعد ذلك في تمجيد عقيدة الإسلام والهداية الإلهية والإشادة بمحاسنها.

مؤلفاتها في الشعر باللغة الإنجليزية:

Summer in Kolkotha , The Distance, Old play House and other poems, Alphabet of Lust, Collected poems, Best of Kamal Das, Only the soul knows how to sing

وباللغة الماليالمية: قصيدتي ، يا الله ، ثرثا تغني - صوت الإوز

لروايات: الروايات الثلاث لمادهوي كوتي ، مانسي ، أشجار الصندل ، البحر ، طاووس ، منومي ، روايات العشق لمادهوي كوتي.

القصص: الحيطان ، إحدى عشرة قصة ، عند ما تطير الخفافيش ، الأجدب ، صديقي أرونا ، التنورة الحمراء ، رائحة الطائر ، البرودة ، عشيقة الملك ، قصص مادهوي كوتي ، قصص العشيق لمادهوي كوتي ، قصصي القصيرة ، نيلامبري المفقودة ، الهروب ابنة بطل النضال الاستقلالي ، عند ما تلجأ الطيور إلى أقفاصها ، العصيدة ، قصة ذكرتها جانو أما ، البوابة.

المذكرات: قصتي ، ذكريات الصبا ، قبل سنوات ، مقتطفات من المفكرة ، عند ما أزهرت شجرة الشواطئ ، ممشي الأقدام.

مجموعة مقالات: إلى القرن الحادي والعشرين ، الخوف فستاني في الليل،طريق كاتب العمود ، مع الحب.

الجوائز والتقديرات: وفيما يلي أهم ما أكرمت بها الدكتوره ثرثا من الجوائز والأوسمة: جائزة المجمع الأدبي المركزي ، جائزة المجمع الأدبي بكيرالا ، جائزة تيرومالامبا (حكومة كرناتكا) جائزة آشان العالمية وسام أن وي الشرفي ، جائزة وايلار راما ورما ، جائزة لكشمي لخدمة المجتمع ، جائزة الشعر الآسيوي ،جائزة الرسالة الغاندية لنسة 2002، جائزة إزوتاشان التي هي كبرى الجوائز الحكومية بكيرالا لسنة 2002م. كما منحت عضوية الهيئة الأكاديمية في جامعة كنور، وعضوية الشرف في المجمع الأدبي بكيرالا ، وكانت قد تم ترشيحها لجائزة نوبل للمجمع السويدي عام 1984

مؤلفاتها المترجمة إلى اللغات الأخرى:

وقد ترجمت القصائد والقصص التي ألفتها الدكتورة ثرثا إلى لغات عديدة ، فكتاب قصتي ترجمت إلى أربع عشرة لغة، ترجمتها باللغة اليابانية باسم كريشما تندرج ضمن المقررات الدراسية في الجامعات اليابانية.

في وسائل الإعلام المرئية: قد تم إخراج مذكرات الصبا مسلسلا تلفزيونيا قام بتنفيذه ليْين راجنيدرن كما أصبحت روايتها روكمني فيلما سينمائيا من إخراج بي كومارن ، وقد أنتجت قصة نيلامبري المفقودة كذلك فيلما مرئيا. وقصة الفراغ الضائع يتم حاليا إنتاجها فيلما سينمائيا في ثلاث لغات في آن واحد وهي الميالمية وتامل وسمهلاء ويقوم بتنفيذها شياما برساد ويقوم المخرج جياراج بتنفيذ قصة ذكرتها جانو أما فيلما سينمائيا. ومؤخرًا صدرت بحوث ودراسات عديدة حول شخصية الدكتورة ثرثا وأعمالها الأدبية بلغات مختلفة في كثير من البلدان، وفي كندا تجري عملية إعداد مؤلف في تاريخ حياتها كما تجري عملية إخراج قصة حياتها في فيلم سينمائي. وتجدر الإشارة إلى أن صوتها قد احتفظت مسجلة في جامعة فرانكفورت وجامعة سنغافورة.

تحريض أهل الإيمان على جهاد عبدة الصلبان

للشيخ أبو يحيى زين الدين المخدوم الفناني الملباري.

لك الحمد يا الله في كل حالة وأنتَ عليم بالكـروب وحاجـة

صلاة وتسليم على خير خلقكا محمد الداعي إلى خير مـــلة

وندعوك يا رحمن يا خير ناصر لدفع بـــليات وجلب لبغيـــة

وتنصر من يغزو لإنقاذ أمة من الكرب والضرا وكفرٍ وذلة

سلام عليكم يا مآلا لآمـــل معاذا لمضطر ملاذا لأمـــة

مددنا إليكم كف ضعف وحاجة وذل وافـتقار لدفع ملمّـة

فإنا كربنا بارتكاب شدائـد بإفرنج عباد الصليب وصورة

طغوا في بلاد الله من كل ممكن وقد أكثروا فيها الفساد بشهرة

بغوا في مليبار بأصناف بغيهم وأنواع شدات وأجناس فتـنة

من الأسر والنهبى وإحراق مسجد وخرق كتاب ثم هتك لحرمـة

وتحريق أموال وتخنيق مسلم وتعويق أسفار وتعطيل عِيشة

وتخريب بلدان وتعبيد مؤمن وتزيين نسوان لتفتين نسـوة

وفك عرى البلدان والثغر كلها ودك ذرى الأمصارمع كل قرية

ومِلكٍ بلادا واتخاذٍ لبيـعة وظلمٍ عبادا ثم قطع طريقـة

وصدٍ عن الحج والمعظم قدره بتعطيل أسفـار إلى خير بلدة

وقتلٍ لحجاج وسائر مؤمـن بأنواع تعذيب وأصناف مثلـة

وجلد وقطع من يقـول محمد وسبِ رسول الله من غير خفية

وتقييد أسرى بالقيود الثقيلة وتعذيبِهم بالنار من غير رأفـة

وجلدٍ بنعل للأسارى بفـيهم خصوصا لو استنجوا لآذوا بجلدة

وقودٍ وسوق للأسارى وجمعهم بضيق بيـت مثل شاء حقيرة

وترديدهم في السوق للبيع قيدوا وتعذيـبهم فـيها لتزييد قيمة

وتكليفهم ما لا يطيقون من عمل وتخويفـهم لو خالفـوا بأذية

وتحريضهم أن يسجدوا لصليبهم وتحضيضهم أن يقبلوا قول ردة

وسخرٍ من الإسلام والمسلم الذي يمر طريقا ثم ضحك بجهـرة

يكل لسان المرء عن ذكر كلها فيا رب خذهم أهلكنهم بسطوة

جهادهم فرض على كل مسلم قـوي بنفـس ثم زاد وعدة

حتى على عبد بلا إذن سيد وولد بلا إذن وزوج قـويـة

ولو كان فيما فوق قصر صلاتنا إذا لم يكن من دونه ذا كفايـة

لما دخلوا دارا لأمة أحمـــد وقد قيدوا بالأسر أهل شريعة

وإنا على ضعف وقـلة عدة غزوناهم الأعوام قدر الإطاقة

ووافقهم في ذاك بعض رعاتنا فلم يحصل الفتح المزيل لنكبـة

فيا أيها السادات أنتم رجاؤنا بفضل إله العرش في كل شـــدة

ونحن عطاش أنتم السحب تمطر فيا ليت شعري هل تفوز بريـة

فإن أنتم أنقذتمونا من الكـــرب وجدتم ثواب ليس يحصى لكثرة

فقد حرض المولى على الغزو للعدى خصوصا على غزو لتفريج كربة

فإنا لمن مستضعفين اجعلن لنا وليا نصيرا من لدنك برحمـة

وقد قال خير المرسلين محمد شفيع الورى بحر الندى ذو مكانة

لمن نفس الكرب الذي جاء مسلما ينفس عنه كرب يوم القيامة

وهذا أتى فيمن ينفس كربة عن المسلم الفرد المصاب بغمـة

فما ظنكم فيمن ينفس جملـة من الكرب عن كل الأنام بغزوة

وقد جاء أخبار صحاح كثيرة بفضـل جهاد فـاسمعنّ بـنبذة

لغدوة شخص في سبيل إلـــهه لخير من الدنيا ومال كـــروحة

ومن قاتل الأعدا فواقا لناقة فقد فاز من فضل الكريم بجنـــة

رباط بيوم في سبيل إلهنـا لأفضل من دنيا وما ل بجملة

وعينان لا تغشاهما النار من لظى فعين بكت من خشية الله عزت

وعين تبيت الليل تحرس للعدى رجاء ثواب الله من خير يقظة

وإن جميع البر في جنب غزوة كنقطة ماء في البحار الزخيرة

كذلك كل البر والغزو نقطة بجنب علـوم لازدياد الفضيلة

ومن أنفق الأموال في البر يحصل بواحدة عشر أديمـــت وجلت

ومن في سبيل الله أنفق ماله فسبعـــمآت نال عن كل حبة

قصيدة الفتح المبيـــن

للقاضي محمد بن عبد العزيز الكالكوتي:

الحمد للـه القوي القادر المالك المفنى العلي القاهـر
القاسم الملوك والجبابرة وكاسر القيول والأكاســـرة
وهو الذي ما شاءه يكون وكل ما لا فهـــو لا يكـــون
ثم صلاة الله مع ســـلام على النبي المصطفى التهامي
محمد وآله ا لأبـــرار وصحبه والتـــابع الأخيار
وبعد حمد الله والصلاة على النبي وآله الهـــــداة
فإن هذي قصة عجيبـــة في شرح حرب شأنها غريبة
واقعة في خطة المليبـــار ومثلها لم يجر في تلك الديار
بين محب المسلمين السامري وبين خصمه الفرنج الكافـــر
ثمتَ لما كان نظم النثر يصيّر الفضـــة مثل النضـر
كذاك نظم المرء للإفادة يكون عند الله كالعبـــادة
نظمتُ بعضها ومالك الملوك ليسمع القصة سائر الملوك
لعلهم إذ سمعوا يفتكرون في الحرب أو لعلهم يعتبرون
وعلّها تسـير في الآفاق لا سيما في الشام والعراق
ويعلموا لهبّة السلطان السامري المشهور في البدان
صاحب كالكوت المشهورة لا زال من فضل الغنى المعمورة
وهو محب ديننا الإسلام والمسلمين بين ذا الأنـــام

CUP 6567/08/1000/SDE-6

ناصر ديننا ومجري شرعنا حتى بخطـبة على سلطاننا

والمسلمون كلهم رعيته وإن يكن في أي أرض بلدته

ولا يقوم في يميـــنه أحد في العيد إلا مسلم إلى الأبد

وإنما يقوم رأس المسلمين الشاه بندر مع جميع المسلمين

مولى ملوك الأرض في مليبار ومالك ملك الجبال والبحار

وارث سلطان المليبار الذي أعطى له السيف وقال خذ بذي

حين أتاه بعد قسمة البلاد جميـــعها لمن يليه والعباد

فصار من ذا السيف يأخذ البلاد ثمت لا يـردها إلى التناد

يخرج هذا السيف عند الحرب فيحصل النصر له بالرعب

ورُاثه أربعة لكلهـــــــم مملـــكة وعسكر خص بهم

لا ينقصون أبدا عن أربْعة متى نقص تكمل هذي الأربعة

وكلما يموت شخص يرتقي مكانه من بعده ممن بقـــــي

مرتبا كـــــدرجات المنبر أصغرهم يكون تحت الأكبر

بيدقه يقاوم الفرســـــانا أكـــثرهم يبارز السرحانا

غربانه تجر ى على البحار مثل خيول الفرس في البراري

عادتهم لو أمروا بالمـوت على امرئ لا يرجعوا عن موت

لا يأخذ المال بغـير جرم وليس يـــــؤذي أحدا بظلم

لا يأخذ البلدان ممن دونه وإن عصوا يعفو بما يهدونه

وليس يعفو لو عصى ملك كبير إلا بأخذ بلد ولو صغـــــير

وصية ممن مضى من السلف وما نسي ذلك من كان خلف

لا يَقتل الملوك غير السامري خشية موت جنده كالثـــائر

ولا يطيع عسكـــر لمن قتل سلطانَه لكن عليه يُقتتـــل

ويخبر الأعدا بوقت حربه ليستعـــد خصمه بحـزبه

فخرًا لدى الملوك بالشجاعة إذ حرب غير السامري بالخدعة

ثم السلاطين الصغار في القرى يخدمه في الحرب مثل الأمرا

يَصرف بالعشور والجريمة على وجوه الخـــير والأطمعة

ذو الرأي والتدبير والشجاعة والصبر والعفو لدى الشفاعة

وكان في زمان موسى سامري كأن هذا جنس ذاك السامري

وهو الذي أول من تسبـــبا عبادة العجل فصار مذهبا

له من الألواح كالتابوت شي فيه من النصرة عند الحرب شي

والله يهديه هـــداية الأبد ويُجرِيَن أمـوره على السدد

فواجب على جميع المسلمين أن يدعوا بمثل ذا يا مسلمين

لأنه مع كـــفره يحارب والملك المسلم لا يـحـارب

الكلمات:

شاه بندر= المسؤول الرسمي لمراقبة شؤون الشواطئ في الزمن القديم.

البيدق = الجيوش (المشـــاة) السرحان = الذئب، غربان: أسطول

البراري: الصحراء.

التعريف بالشاعر:

القاضي محمد بن عبد العزيز ولد عام 1577 بكالكوت في أسرة القضاة الذين كان لهم كلام مطاع بين المواطنين بما يقومون به من القضاء الديني وراثيا. تلقى العلوم الدينية الابتدائية من والدته كما تلمذ على الشيخ عثمان لبا القايلي والشيخ عبد العزيز المعبري. تولى منصب القضاء بعد موت أخيه واستمر فيه حتى وفاته.

وتضلع في العلوم العربية والدينية والفنون العقلية من النحو والحساب والفلك والفقه وغيرها وقرأ معظمها على القاضي عبد العزيز والشيخ عبد العزيز المخدوم. وكان القاضي يصدر الفتاوى في المسائل الهامة التي تهم المسلمين ، وبجانب هذا كان مشهورًا بمهارته في الشعر العربي . وقد برع في علوم اللغة العربية وله قصائد كثيرة فيها. كما نال قبولا واسعا في أوساط المسلمين والهنادك على حد سواء. وذلك بفضل موقفه الحاسم من الطغاة البرتغاليين الذين حاولوا تدمير الكيان الثقافي والتسامح الديني العريق ونهب الثروات من ديار مليبار. وكان في طليعة المكافحين ضد الاستعمار الأجنبي مثل أسلافه .

مؤلفاته:

للقاضي نحو خمسة عشر كتابا، وأكثرها منظومة في العلوم الإسلامية والتاريخ . ومن مؤلفاته العربية : مرثيته للشيخ عثمان لبّا القايلي، ومقاصد النكاح، والقصيدة المعنونة'إلى كم أيها الإنسان' وقصيدة الفتح المبين التي أخذت منها الأبيات المذكورة. وفيما يلي تعريف بهذه القصيدة:

وهي أهم المراجع التاريخية التي تسلط الضوء على تاريخ المقاومة وحركة التحرير الوطني الذي تجاوبت أصداؤه في أرجاء الهند قبل خمسة قرون ، حيث شهدت البلاد الاحتلال البرتغالي . ومما يزيد من أهمية الكتاب أن مؤلفه معاصر لهذا الاحتلال شاهدَ عين لتلك الأحداث الأليمة التي تقشعر منها الجلود وتذوب لها القلوب. وجدير بالذكر ما يقوله المؤرخ الشهير أم . جى. أس . نارايانان في هذا الصدد:

" إن ساموتري كان هو الوحيد الذي صمد لمقاومة البرتغال حتى آخر لحظاته. وكان المسلمون في مليبار ساعده الأيمن في هذه المقاومة ، بعثوا في ضميره الثقة والثبات كلما ضعفت همته ، حتى استطاعوا أن يطاردوا أولئك الشرذمة الطاغية من أرض كيرالا الغنية، وسجلوا بطولاتهم بحروف من الدماء لتذكرنا ما عاناه أسلافنا من الاستعمار الأجنبي وصمودهم أمام اعتداءاتهم الوحشية . ولولا ذلك لكانت مدينة كالكوت بمثابة غوا (Gova) ولسيطر البرتغاليون على كيرالا ، وصارت الهند مستعمرة للبرتغاليين مكان البريطانيين."

وقد أحب الشاعر الملك الساموتري حبا جما ، ويصفه بالعدل ورجاحة العقل ورحب الصدر وهمة النفس ، ويشيد باهتمامه بشؤون المسلمين ، لأنه سمح لهم بنشر الدين وبناء المساجد. ثم يلتمس من المسلمين أن يدعوا له بالخير والبركة. وقد جمع القاضي الوثائق التاريخية لتأليفها من والده القاضي عبد العزيز ومن البطل الباسل سيد أحمد القمامي.

إن محور القصيدة الذي يدور حوله حادثة فتح قلعة شاليم التي شيدها البرتغاليون على أيدي جنود ساموتري ملك مليبار آنذاك . كما أنه مرآة صادقة للحياة الاجتماعية التي كان يسودها المؤاخاة والألفة بين المسلمين والهنادكة. ومن جهة آخرى هي تجسد الغيرة الوطنية الشديدة والبسالة النادرة التي كانت تغمرقلوب المواطنين أمام الاضطهاد والمؤامرات البرتغالية. وقد مارسوا في أول أمرهم سياسة المداهنة والمجاملة حيث حملوا الهدايا الفاخرة إلى الملك ساموتري وعبروا عن رغبتهم بالإقامة في بلده بكل تواضع واستسلام. ولما استقروا هنا تغيرت طبيعتهم، وسيطروا على كامران وجزيرة سيلان حتى ضاق الملك بهم ذرعًا.

كما مارسوا سياسة حرب جديدة ضد المواطنين ، وذلك ببناء القلاع التي تضمن لهم الحماية والسلامة وتتيح الفرص للإغارة على غيرهم من حيث لا يعلمون . وقد بنوا قلعة في مدينة كالكوت بموافقة من الملك ساموتري بعد أن أخذ منهم العهد والميثاق على مراعاة النظام الاجتماعي ، ولكن لما قامت قائمتهم وصار لهم مقر انقلب الأمر على رأسه . ووعدوا ساموتري بأضعاف الضرائب التي كانت تجبى من التجار العرب المسلمين. وانتهزوا هذه الفرصة لقص أجنحة المسلمين في مجال التجارة وإرجاعهم القهقري اقتصاديا واجتماعيا حتى يأخذوا منهم الثأر لذلك السخط المدفون. وأما قلعة شاليام ، فإنهم بنوها إضعافا لقوى الملك ساموتري . فهي أكبر القلاع وأحصنها وأوفرها عدة ، لأنها كانت في موقع استراتيجي ، حيث إن قرية شاليام بمثابة شبه جزيرة ، يحدها من الشمال نهر جاليار الذي اشتق منه اسم القرية ، كما يحدها من الجنوب نهر كادلوندي ، أما في الشرق فهناك امتداد من مياه البحر ، مما جعل هذا الموقع يضمن لهم بقاء القلعة. وقد تم إنشاء هذه القلعة بإرشاد من ملك كوشن الذي كان يضمر الحقد والبغضاء للملك ساموتري ، ومعه ملك ويتام الذي هو الآخر ممن يرغب أن يتحرر من زعامة ساموتري . لأنهم ، ما داموا تحت زعامته ، ليس في وسعهم التدخل في المهمات التجارية البحرية إلا بواسطته وبموافقة منه. وقد بنوا قلعة شاليام لتكون مقرًا لهم للإرصاد البحرى لكي يطلعوا على سفن العرب والمسلمين التي تعبر البحر العربي ويهجمون عليها.

وقد حاول البرتغال اغتيال الملك ساموتري متظاهرين بتكريمه بتقديم هدية إليه. إلا أن الملك تخلص من كيدهم وعزم على الهجوم عليهم وأغار عليهم بالمنجنيق حتى فروا مدبرين بعد أن صرع منهم عدد كبير.

كما تبلور القصيدة عواطف جيل كامل في صورها الرائعة. تلك العواطف التي كانت أقوى من قلاع البرتغال. وإنما وحدت عواطفهم بتوحيد قلوبهم الذي يتجسد في موقفهم من الأعداء حين اضطرمت نيران الحرب في قلعة شاليام ، حيث اجتمع المسلمون في مكان وغير المسلمين في مكان آخر وحيث قال قائل من المسلمين : نحن بمفردنا نهاجمهم ونصرعهم. فأجاب إخوانهم من نايار : لا ، أنتم قليل ، ونحن معكم ، فلنهاجم معا الأعداء. هذا هو المثل الأعلى للمؤاخاة الوثيقة بين الأديان وأهلها. وما أشد حاجتنا إلى إحياء هذا النداء وتجديده في هذه الأيام التي صار فيها كل واحد بمعزل عن الآخر. ويكفي هذه القصيدة قيمة وفضلا أنها تحمل في طياتها هذا النداء الإنسانى الذي ينبغي أن تتردد أصداؤه في ضمير كل جيل .

ويصف القاضي هول هذه الحروب والظروف التي نشبت فيها والأعمال الوحشية التي قام بها البرتغال ، كما يبين مناقب الملك ساموتري وما يجب على المسلمين من إسداء الخير إليه والدعاء له.

تراجم الأعلام

عبد الحق المحدث الدهلـــوي

ولد الشيخ عبد الحق في يناير عام 1551م/958 هـ في دلهي، ونزحت أسرته إلى الهند أيام الملوك الخليجين واستقروا في دلهي، وأبوه من كبار العلماء ، وقد حفظ القرآن في صغر سنه بسنة واحدة ، وتعلم الكتابة والإنشاء بشهر واحد وانقطع إلى قراءة كتب الحديث سبع سنوات عند الشيخ محمد مقيم بمدرسة دهلي. وكان دائم الاشتغال مكبا على المطالعة في دياجير الليالي حتى احترقت عمامته بالسراج الذي كان يجلس أمامه، واكتملت دراسته وهو في الثاني والعشرين من عمره. وبايع الشيخ موسى بن حامد الحسني. ثم سافر إلى الحجاز لأداء فريضة الحج وصل إليها مرورا بمدن كثيرة أقام في رحابها وسمع من علمائها . ولما وصل مكة كان جل همه الاستماع إلى علمائها في علم الحديث. وقد صاحب في مكة الشيخ عبد الوهاب بن ولي الله المتقي الذي درس منه مشكاة المصابيح، والشيخ علي بن جار الله وفي المدينة الشيخ أحمد بن محمد أبي الحزم المدني والشيخ حميد الدين بن عبد الله السندي. واستطاع بهذا المصاحبة والاستماع أن يستزيد مكنونه العلمي في الحديث ورجاله، يدل عليه قول أستاذه القاضى علي بن جار الله حيث يقول: إنه الفرد العلم في القطر الهندي، وقال : " إنه ممن أعلى الله همته في الطلب ووقفه للسعي فيما يوصل إلى بلوغ الأرب وخدم العلم الشريف وضرب به بالسهم الأعلى والقدح المعلى ، وقد شرفنى بالحضور عندي برهة من الزمان في المسجد الحرام بقراءة قطعة من صحيح البخاري وقطعة من ألفية الحديث للعراقي البحر الهمام ، فاستفدت منه أكثر مما استفاد ."

ولما ذاق حلاوة دراسة علم الحديث آثر الرجوع إلى الهند ، وذلك حرصا منه أن ينشر هذا العلم في ربوعها تدريسا وتأليفا. ووصل إلى دلهى وأقام هناك اثنتين وخمسين سنة يدرس الحديث والفقه والتفسير والعلوم الإسلامية . وقد كتب 116 كتابا في مختلف المواضع.

والعلامة عبد الحق يستحق كل الاستحقاق لقب المحدث ، لأنه في حد تعبير صاحب نزهة الخواطر أعلم العلماء الأعلام وحامل راية العلم والعمل. وهو أول من نشر علم الحديث بأرض الهند تصنيفا وتدريسا. وشهادة الأمير صديق حسن لكفيلة بتعيين مكانته العلمية وهو يقول: ' إن الهند لم يكن بها علم الحديث منذ فتحها أهل الإسلام ، بل كان غريبا كالكبريت الأحمر حتى منّ الله على الهند بإفاضة هذا العلم على بعض علمائها كالشيخ عبد الحق بن سيف الدين الدهلوي، وهو أول من جاء به في هذا الإقليم، وأفاضه على سكانه في أحسن تقويم ، ثم تصدى له ولده نور الحق' .

ويظهر مهارته التأليفية في شرح المعاني ونقلها من العربية إلى الفارسية وكشف إشاراتها ولطائفها ، وألبسها حلة من النور الرباني . وقد أثرى المكتبة الإسلامية بمؤلفاته التي ألفها وهو طالب وقبل أن يذهب إلى الحرمين، وكان يكتب في الفارسية والعربية، وذكر مؤلفاته في كتيب باسم تأليف قلب الأليف بذكر فهرس التوالف، يبلغ عددها نحو ثمانية وأربعين كتابا ، وله كتاب آخر يشتمل على 68 رسالة المعروف باسم كتاب المكاتيب والرسائل إلى أرباب الكمال والفضائل . ولكن الكثير منها ضاع في ثورة 1857 ، ومن أبرز كتبه:

لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح، ومدراج النبوة ومراتب الفتوة في سير النبي صلى الله عليه وسلم، وطلع الأنوار البهية في الحلية الجلية النبوية، وإجازات الحديث في القديم والحديث، وأسماء الأساتذة ، وفصول الخطب لنيل أعلى الرتب، وطريق الإفادة في شرح سفر السعادة للفيروزآبادي، وشرح فتوح الغيب للشيخ عبد القادر الجيلاني واسمه مفتاح الفتوح، وترجمة زبدة الآثار المنتخب من بهجة الأسرار، وتنبيه العارف بما وقع في العوارف ، وزاد المتقين في سلوك طريق اليقين وهو سيرة الشيخ على بن حسام المتقي ، وفتح المنان في تأييد مذهب النعمان وهو في الفقه والحديث ، كتبه وهو يريد التحول إلى المذهب الشافعي ولكن أستاذه الشيخ عبد الوهاب بن ولي الله المتقي أمره بالبقاء على المذهب الحنفي حيث درسه دراسة مستفيضة ثم كتب هذا الكتاب. هذا إلى جانب الرسائل المختلفة التي حرّرها في الآداب والسلوك الإسلامية. ويقول الأستاذ بركت ، وهو من أحفاد الشيخ

الدهلوي ، إنه وجد في مكتبة الأستاذ أنوار الحق الدهلوي نحو 11 كتابا للشيخ لم يذكر في قائمة المؤلفات التي أعدها هو بنفسه. ولا غرو إذا قلنا أن العلماء المحدثين في الهند كلهم عيال على الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوى.

تعمر الدهلوي 94 عاما، وابنه الأكبر نور الحق الدهلوي احتفظ بتراث أبيه العلمي ودرس ودرّس وألف كثيرا. وتوفي الدهلوي عام **1052**.

السيد غلام علـــي آزاد البلكرامي

ولد السيد سنة **1116**هـ بقرية بلكرام. أخذ اللغة والحديث والسير عن مير عبد الجليل البلكرامي ، كما تلقى مختلف العلوم من الشيخ مير طفيل محمد، وكان ابن خاله محمد يوسف هو الآخر ممن تلقى منه العلوم. والعادة المتبعة في المدارس وقتئذٍ كفيلة بإيجاد علاقة متينة بين المجتمع الطلابى ، صغيرهم وكبيرهم ، الذي كان من شأنه تخفيف أعباء التدريس عن الأساتذة وتبصير الطلبة بواجبهم تجاه العلم الذي يكتسبونه. وكان غلام علي ممن مارس التدريس بهذه الطريقة . وفى نفس الوقت تلقى هو دروسا في البلاغة وعلم العروض من خاله الشيخ محمد بن عبد الجلال.

وقام بثلاث رحلات كان لها أكبر أثر في تسديد اتجاهاته وإثراء رؤاه. الأولى منها عام **1134** ، إلى دهلي حيث كان هناك جد والدته الذي ولاه سلطان محمود شاه مهام الحكم، وأقام غلام علي هناك مدة سنتين درس في خلالها علوم الحديث والتفسير وعلوم المعاجم وصناعة الشعر. أما رحلته الثانية فهي إلى سوستان بالسند حيث كان يعمل خال والدته مير محمد الذي عاد في أثناء وظيفته إلى أهله. فقام مقامه بضع سنين . وفى الطريق إلى السند حدث أن لقي الشاعر الكبير فقير الله عفرين. وقد أكسبه هذا اللقاء بعض التجارب الشعرية مما جعله بعد وصوله إلى سوستان يكتب أنساب الشعراء الفرس بعنوان (يد بيضاء) وقد أكمله غلام على وهو في إله آباد .

والرحلة الثالثة كانت لأداء الحج سنة **1150**هـ ولم يخبر بها أحدا من أقربائه . ووصل إلى مكة مرورًا بمالواه ، وأماكن أخرى حيث لقي عددا من الأمراء والعلماء الذين أحسنوا

ضيافته حتى وصل الأراضى المقدسة في شهر محرم 1151هـ . واتصل بالمشائخ هناك ، وقرأ صحيح البخاري في المدينة على الشيخ محمد حياة السندي ونال منه الإجازة ، ثم لازم الشيخ عبد الوهاب الطنطاوي المصري لمدة خمس سنوات. وقد أعجبه شغفه العلمي وأضاف إلى اسمه لقب (آزاد) قائلا له : أنت من عتقاء الله تعالى. وعاد إلى الهند سنة 1186هـ . وقد عرض عليه السلطان ناصرجنك بن آصف منصب الإمارة وهو في حيدرآباد، ولكنه أبى وقال : هذه الدنيا مثلها مثل نهر طالوت ، غرفة منه حلال ، والزيادة عليها حرام . وفي خلال إقامته بحيدرآباد نظم قصيدته المشهورة في وصف أعضاء جسم المعشوقة من الرأس إلى القدم ، وسماها مرآة الجمال وشرحها شرح لطيفا ، كما نظم هناك ديوانا عربيا آخر . ثم غادر حيدرآباد إلى أورنغاباد ، وألقى عصا الترحال هناك . وشرع في نظم ديوان مردف على طريقة شعراء الفرس ، وهو مشتمل على بعض القصائد غير المردفة أيضا . والرديف عبارة عن كلمة مستقلة أو أكثر تكرر بعد الروي ، والشعر الذي يشتمل عليه يسمى رديفا، وهو فن يزيد الأشعار جمالا. ولا رديف في الشعر العربي الخالص إلا القليل. وفيما يلي ما نظمه غلام على آزاد :

قدر القلوب من الصـــفاء يلوحُ ثمن الجواهر بالجلاء يلـوحُ
يتمخض العشاق في نار الهوى لب السبيكة في العـلاء يلوح
أخد الفراش عن السراح ضياءه نور البقاء مـــن الغناء يلوح
قصدت ظباء النجد أن يقتلنـــنا أسلوبهن من الهـــواء يلوح
الخوف من طرز الخرائد واجب شنآنهن مـــــن الولاء يلوح
لا يطمئن من الكواعب خاطري إخفاءهن مـن الـــوفاء يلوح
ظلمت سعاد ولا غياث يغيـــثنا إنصافنا صبح الجـزاء يلوح
غـدارة تبكي على مقـــــتولها أثر السرور من البكاء يلوح
آزاد عبد يا أميـــــمية فائـــق ونقاؤه بعـــد الشراء يـلوح

شهرته في المدائح:

اشتهر السيد غلام علي آزاد بلقبه " حسّان الهند " ، وذلك لكثرة مدائحه النبوية. وكانت صناعته في المدح أكثر رونقا وأغزر مادة وأشمل بيانا . وفى أول الدفتر الرابع لكتابه " مظهر البركات " نراه يقول : ' الدفتر الرابع من مظهر البركات لحسّان الهند مولانا السيد

غلام علي آزاد الحسني الواسطي البلكرامي نظمه سنة 1195هـ'. ويعتقد أن ناصر جنك هو الذي لقبه بهذا اللقب لبلوغه درجة التفوق في المدح . ومما لا شك فيه أن شعره في مدح النبيّ قد بلغ مبلغا في سلاسة النظم، لأنه كان يراعي في المدح جميع المحسنات الشعرية التي تعتبر من أسس البلاغة والفصاحة ، مما جعله أهلا للقب حسان الهند . وهو يقول في كتابه سبحة المرجان :

عليك سلام الله يا أشرف الورى لقد سال دمعي في وداعك فانيا
وما أنا إلا كالذي جاء منهـــلا فذاق ولكن عاد ظمآن باكـيا

ومن شعره في مدح النبي ما ورد في مظهر البركات :

رب سلّم على ضحى إضـــم قمر السائرين في الظلـــم
صاحب الاصطناع بالعفـــراء مودع النطق مقول العجمـــاء
زاد آزاد سيد النســـــم في المنام المبارك القـــدم
فتحنى عليه مبتسمـــــا وابتغى شرح صدره كرمـــا
أشكر الله حيث شرّفنـــــى بالنبي الكريم في الوســـن

ومن أجمل قصائده في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام ما يلي :

لله مائسة كغصن الصـــندل أرجت برياها حواشي المحفل
إضمية نشرت روائح مسكها فشفت من الخفقان قلب مؤمـل
سمراء معتدل القـوام كأنها قصب وسكره حلى تدلـــل
إن أبصر الطاووس زينة نومها يخفض لحضرتها جناح تذلـل
يا حبذا أن حمني لهب الهوى إنّ السعير لجنة لسمنـــدل
أين النسيم متى يجيء عناية حتى تعطرني بنفحة سنبـــل

وعندما أرسلت قصائد آزاد المدحية إلى علماء المدينة أعجبوا بها وقدروها كل التقدير. ولم يكن من طبع الشاعر العربي أن يكثر في شعره معاني التصوير والخيال ، فكان آزاد في شعره كالمتنبي ، مولعا في شعره بالبديع وابتكر منه الكثير. ويرجع إليه الفضل في إدخال بديعيات اللغة السنسكريتية إلى الشعر العربي ، ويمكن القول أن الهند لم تنجب قبله شاعرًا مثله ، وخصوصا في الشعر المردف ، المقتبس من الشعر الفارسي .

خصائص شعر آزاد:

حاول آزاد إدخال الأفكار والأساليب الفارسية في الشعر العربي كما ذكرنا، وحاول كذلك التجديد في فنون الشعر وصناعة البديعيات، وفى سبيل التجديد في الشعر العربي في الهند قام آزاد بنظم قصائد في قالب الغزل وهو غالب في الشعر الفارسى والأردى ، ومن رواده ميرزا غالب ، وله صفات فنية خاصة ، فلا يزيد عدد الأبيات على أحد عشر بيتا متحدة في الوزن والرديف والقافية . وقد نظم آزاد غزليات عديدة ومن أبرزها:

مرآة الجمال :

وهي قصيدة نونية في وصف أعضاء المعشوقة من الرأس إلى القدم . فيها خمسة ومائة بيت . ونسختها موجودة في مكتبة سالار جنك بحيدرآباد . وفي هذه القصيدة يصف آزاد كل عضو من أعضاء الحسناء . وخصص لكل عضو بيتين . ويقول العلامة صديق حسن خان عنها في كتابه نشوة السكران:' ومثل هذه القصيدة الحسنية مثل القصائد البديعيات حيث شرع فيها صفي الدين الحلي ، ثم جاء جمع من الفرسان وأطلقوا أعنة الأقلام في هذا الميدان ، وقد قال آزاد : " لقد شرعت في البنيان وأسست قواعد العمران ، فمن يجيء بعدي يزيد على هذا البناء ويرفعه إلى سابعة السماء إن شاء الله . وهذا مرجو ولكن لم أقف إلى الآن على من زاد عليه بعد "

وفيما يلي بعض أبيات هذه المنظومة:

مطلق الحسن:

بي ظبية من أبرق الحنـــان من مثلهـا في عالم الإمكان
شمس تباهي بالسنا أمة لهـا وكواكب أخرى من الغلمـان

الضفيرة:

أضفيرتان على بياض خدودها أوفى كتاب الحسن سلسلتان
أو ليلة العيدين أقبلتا معـــًا أو من قصائدهم معلقتـــان

الجبهة:

لله جبهته المضيئة في الدجـــى وهب الإله له علو مكـــان
في نصف بدر كامل لكنهـــــا تربى على القمرين في اللمعان

ومن أبرز مؤلفاته :

سبحة المرجان في آثار هندوستان ، السبعة السيارة ، مظهر البركات ، ضوء الدراري في شرح صحيح البخاري ، تسلية الفؤاد في قصائد آزاد ، شفاء الغليل، الشجرة الطيبة في أنساب السادة من أهل بلكزام، سند السعادات في حسن خاتمة السادات، أوج الصفا في مدح المصطفى - وهي قصيدته في مدح النبي، الدر الثمين في محاسن التضمين ، لامية المشـــرق .

الإمام ولـــــــي الله الدهـــــلوي

هو شيخ الإسلام حكيم الأمة حجة الأنام مسند الهند أحمد المعروف بشاه ولي الله الدهلوي العمري . ولد عام 1114هـ/1702م ، ببلدة فلت الواقعة بمقاطعة مظفر نكر . ويصل نسبه إلى أمير المؤمنين عمر الفاروق . وكان والده الشيخ عبد الرحيم من ضمن العلماء الذين رتبوا الفتاوى الهندية حسب طلب من السلطان أورنغ زيب عالمكير. وهو الذي أسس في دهلي المدرسة الرحيمية التي ظلت منارة العلم والهدى زمنا طويلا .

كان شاه ولي الله أعظم عالم ومفكر وأبرز مجدد عرفته الهند . بل هو في عداد الأئمة المجتهدين والمجددين الكبار في تاريخ الإسلام من أمثال الإمام الشافعي وأحمد بن حنبل وشيخ الإسلام ابن تيمية وغيرهم . وكان من الشخصيات الرائدة في القرن الثاني عشر الهجري لا في الهند فحسب ، بل في العالم الإسلامي كله. فقد كان مفسرًا ومحدثا وفقيها ومتكلما وصوفيا وفيلسوفا ومبدعا وشاعرًا في العربية والفارسية على حد سواء، وهو من العلماء القليلين الذين قاموا بتحليل دقيق للأوضاع السياسية والاقتصادية لعصرهم ، وقدموا حلولا ناجحة لهذه القضايا من أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام ابن خلدون صاحب المقدمة .

مسيرته العلمية : بعد أن تلقى مبادئ العلوم في موطنه فلت ، انتقل الإمام ولي الله إلى مقر أبيه بدهلي ، وانضم إلى رعايته وتربيته حيث تعلم فيها وعاش معظم أيامه هناك. وتلقى علومه في الحديث من العلماء البارزين مثل الشيخ محمد فاضل السندي ، والشيخ محمد

أفضل السيالكوتي. وبعد وفاة والده اشتغل بتدريس الكتب الدينية والعقلية زهاء اثنتي عشرة سنة . واستطاع أن ينقح من العلوم ما قد درسها سابقا واستزاد منها ، فتضلع في علوم ومعارف أخرى ، وبعد دراسة المذاهب الأربعة وكتبها الأصولية والأحاديث التي تبتدل بها هذه المذاهب ، عرف ببصيرته أن الطريق هو طريق الفقهاء والمحدثين .

رحلته إلى الحرمين الشريفين :

وفقه الله لأداء الحج مرتين . وفي أثناء إقامته أربعة عشر شهرًا في الحرمين استفاد من معظم العلماء ، وسمع منهم وروى الحديث عنهم. ومن أخص أساتذته الشيخ أبو طاهر المدني نال منه الإجازة. ويذكر تجاربه هناك في كتابه " إنسان العين في مشائخ الحرمين" فقد قرأ الموطأ للإمام مالك بن أنس برواية يحيى بن يحيى الصمودي كاملا على الشيخ محمد وفد الله المالكي بمكة المكرمة ، كما قرأ الحديث أيضا على الشيخ تاج الدين القلعي الحنفي مفتي الحرم المكي ، وتلقى عن الشيخ أبي طاهر محمد الكردي الشافعي أكثر مما تلقى عن غيره ، فقرأ عليه صحيح الإمام البخاري كاملا وكتبا أخرى منها حزب البحز للإمام الشاذلى وقوت القلوب للإمام أبي طالب المكي.

رجع الإمام الدهلوي إلى الهند عام 1733 واستأنف التدريس في المدرسة الرحيمية ، وظل يواصل تدريس الحديث مدة طويلة بأسلوب يتسم بالروعة والعظمة مما اقتبسه من تجاربه العلمية من الحرمين الشريفين. وكان يدرسهم الحديث والعلوم الأخرى ، مع اهتمام خاص بتربيتهم الروحية وتأديبهم بآداب السلوك ، وذلك إيمانا منه أنها ضرورية لصياغة الشخصيات من ذوي القدوة . ويقول ابنه شاه عبد العزيز : فقد كان حضرة الوالد يعدّ رجال متضلعين في كل فن وعلم ، ثم يسند إليهم الطلبة الدارسين في مختلف العلوم والفنون وفق ميولهم وبراعتهم . وكان يعكف دائما على ذكر الحقائق والمعارف وضبطها ، والتصنيف والتأليف ويكتب كل ما يستلهمه في تأملاته ومراقباته الروحية.

تلامذته:

وقد نهل من ينابيع الإمام الدهلوي خلق كثير لا يحصى ، ومن تلامذته الأعلام السيد محمد مرتضى الزبيدي البلكرامي صاحب تاج العروس شرح القاموس ، وإتحاف السادة المتقين في شرح إحياء علوم الدين . وقد قضى الزبيدي مدة طويلة يأخذ عنه وتربى منه

تربية روحية. ومن أشهر تلاميذه القاضي ثناء الله الباني بتي وقد لازم حلقة درس الإمام وقرأ عليه العلوم خاصة الحديث .

وقد خلف الإمام ولي الله الدهلوي أربعة أولاد وكلهم نجباء مثله وهم : الشاه عبد العزيز الدهلوي والشاه عبد القادر الدهلوي والشاه رفيع الدين والشاه عبد الغني . وكان الشاه عبد العزيز الدهلوي أعظمهم شهرة وأغزرهم علما ، وله مؤلفات كثيرة ، منها بستان المحدثين وتحفة الاثنا عشرية ، والتفسير العزيزي ، والعجالة النافعة والفتاوى العزيزية . وكان نابغة زمانه. والشاه عبد القادر هو الذي قام بترجمة القرآن إلى اللغة الأردية ، اما الشاه عبد الغني فقد توفي في شرخ شبابه ، وكان ولده الشاه إسماعيل الشهيد تزعم الحركة الإصلاحية الثورية ، واستشهد في معركة بالاكوت وهو صاحب الكتاب المشهور " تقوية الإيمان في علم التوحيد ".

ومن المصادفة العجيبة أن جميع المدارس الفكرية الإسلامية والمعاهد الدينية إنما تم تأسيسها على أيدي تلامذة أبناء الإمام ولي الله الدهلوي بعد فشل ثورة عام 1857 ، فإن مؤسس دار العلوم ديوبند تلمذ على الشيخ مملوك علي خان وهو تلميذ الأستاذ رشيد الدين خان ، وكان الأستاذ رشيد الدين تلميذا للشيخ شاه رفيع الدين أحد أبناء الإمام الدهلوي . ومن أعز تلامذة الشيخ قاسم النانوتوي ، والشيخ محمود الحسن المعروف بشيخ الهند مؤسس الجامعة الملية الإسلامية . ومن تلامذة الشيخ مملوك علي الشيخ مظهر نانوتوي ، وهو الذي أسس جامعة مظاهر العلوم بسهارنفور. ومن تلاميذ الشيخ عبد العزيز الدهلوي الشيخ نذير حسين الدهلوي والعلامة السيد صديق حسن خان وهو من كبار أساتذة مدرسة أهل الحديث وكذلك كان الشيخ أحمد علي السهارنفوري تلميذ الشيخ مملوك علي وهو أستاذ العلامة شبلي النعماني في الحديث مؤسس دار العلوم ندوة العلماء . والسير سيد أحمد خان مؤسس الجامعة الإسلامية بعليكره تلميذ العلامة الشيخ يعقوب المجددي الذي تلمذ على الشيخ مولانا الشيخ مملوك علي بن الأحمد علي النانوتوي الدهلوي . وفي الجملة فإن جميع الحركات الفكرية والمذاهب الإسلامية والمعاهد الدينية قد استقت ولا تزال تستقي من مناهل العلوم التي خلفها الإمام الدهلوي وتوارثها عنه تلامذته وأنجاله كابرًا عن كابر.

عصره:

ولد الإمام الدهلوي في عصر شاع فيه الجهل وكثر المتعالمون والمتصوفون الجهال الذين يتبعون أهواءهم ويعجبون بأنفسهم . وهو يقول : إننا في زمان الجهل والعصبية واتباع الهوى وإعجاب كل امرئ بآرائه الرديئة ، وإن المعاصرة أهل المنافرة ، وإن من صنف فقد استهدف . ويقول عن الحكام : وما تراه من ملوك بلادك يغنيك عن حكايتهم (ملوك الروم والعجم).

وبعد وفاة الملك أورنغ زيب عالمكير، اعتلى عرش دهلي ملوك، ضعفت بهم قوى الدولة وتمزقت جوانبها وتعرضت لعشرات من الغزوات حتى اقتصرت سلطنة المغول على داخل مدينة دهلي ، وبالأحرى نقول داخل القلعة الحمراء. وكان انهيار المغول وسقوطهم نتيجة مباشرة لسياسة القهر والاستبداد التي لجأ إليها رجاله ، وعاقبة لإهمال تعاليم الدين التي وجهها المصلحون أمثال الإمام ولي الله الدهلوي ، فوقعت البلاد فريسة لمكر الأعداء من الإنجليز والملوك الهنادك والسيخ والخونة من أمراء المسلمين الذين قطعوا البلاد مزقا.

لقد قدم الإمام ولي الله خطة شاملة لنهضة الأمة الإسلامية ووحدة كلمتها بعد دراسة تحليلية لتاريخ الأمة وثقافتها ، لتتمكن من القيام بدور الخلافة والإمامة من جديد ، وأدرك داء الأمة ووصف علاجه. وكان الداء العضال الذي يدب في عروق الأمة الجهل والتفرق إلى فرق شتى وتشتتها إلى أحزاب لاتحصى ، وإن مرض التعصب والتحزب أخطر وأكبر من أمراض النفوس والأبدان ، وهو يقول في رسالة 'الجزء اللطيف ' وهي سيرته الذاتية :

" إن أكبر نعم الله على هذا العبد الضعيف أن جعلني فاتحة هذا العصر وهداني في الفقه إلى مسلك يرضى به سبحانه ووفقني إلى الجمع بين ظاهر الحديث والتفقه فيه وأطلعني على سنن الشريعة وأسرار المصالح " .

وقد استدعى الإمام ولي الله الدهلوي الملك الأفغاني أحمد شاه أبدالي لقطع دابر الثوار من السيخ وقبائل الجاط والمراتها الذين أشعلوا نيران الفتنة والفساد والنهب والدمار وانتهاك الأعراض ، فاستجاب الملك لدعوته وقام بشن تسع غارات على هؤلاء المتمردين حيث ضعفت شوكتهم ، منها سبع غارات في حياة الإمام ولي الله الدهلوي وأخريان بعد وفاته . وفي المعركة الأخيرة الفاصلة انهزم المتمردون شر هزيمة ، و لكن بعد عودة أحمد شاه أبدالي إلى أفغانستان نهضوا من جديد وجمعوا شملهم وتحالفوا مع الإنجليز حتى تم القضاء

على حكومة دهلي نهائيا . وكانت الدولة المغولية انزوت في أواخر أيامها في حدود دهلي وضواحيها كما كانت بغداد والأندلس قبل سقوطهما .

دوره في الإصلاح الفكري :

كان أهم ما قام به هو إصلاح العادات والعقائد الفاسدة الدخيلة في المجتمع الإسلامي وهو يقول : "وترى العامة سيما اليوم في كل قطر يتقيدون بمذهب من مذاهب المتقدمين ، ويرون خروج الإنسان من مذهب من قلده ولو في مسألة، كأنه بعث إليه وافترضت طاعته عليه . ويقول في موضع آخر : أريد أن أوصيكم بشدة ألا تضَعوا أيديكم في أيدي مشائخ هذا الزمن الذين قد ابتلوا بشتى أنواع البدع ولا تبايعوهم أبدا" . ومع هذا كان ينظر إلى المذاهب المختلفة بالتسامح والتفاهم والاحترام لأئمتها .

وافاه الأجل المحتوم عام 1176هـ / 1762م ، ودفن بقرب من قبر والده الشيخ عبد الرحيم في مقبرة مهديان بدهلي .

ومن أبرز مؤلفاته :

1. حجة الله البالغة، وسنفصل الكلام عنه في باب خاص.
2. إزالة الخفاء من خلافة الخلفاء:

وهو كتاب في المباحث الأصولية وتاريخ الخلافة الإسلامية . يبين خصائص النظام الاجتماعي والسياسيّ في الإسلام . ويتكلم عن الخلافة التي تمثل الصورة التطبيقية لهذا النظام ، ويثبتها بالأدلة العقلية والنقلية. ويشتمل الكتاب على فوائد أخرى نفيسة وتحقيقات نادرة لا توجد في كتب التاريخ . منها تحديد القرون الثلاثة وبيان الفرق بين الخلافة والملوكية، وشرح الملك العضوض المشار إليه في الأحاديث. ويصرح المؤلف بأن دولة بني أمية وسلطتهم لم تكن تتسم بالخلافة الراشدة . ويشير إلى بداية الخلافة الجائرة منذ عهد عبد الملك بن مروان. وقد بسط الحديث في ذكر فقه الفاروق عمر رضي الله عنه وقضاياه الذي هو الآخر مزية لهذا الكتاب. ويعد الإمام الدهلوي مقتل عثمان رضى الله عنه الفتنة الأولى وهزةً لأركان الخلافة الراشدة ، كما أن شهادة الحسين رضي الله عنه تعد الفتنة الثانية . وكان يرى تحويل العاصمة الإسلامية من المدينة إلى دمشق خطرًا كبيرًا أنذر بزوال مهابة الخلافة الراشدة من نفوس الناس. ويرى أن الخلافة الأولى في عهد الخلفاء

CUP 6567/08/1000/SDE-7

الثلاثة الأولين هي جامعة لكل العناصر التي ينبغي أن تتوافر في الخلافة الإسلامية وصالحة للاقتداء بها.

3- التفهيمات الإلهية :

هذا الكتاب عبارة عن خطب قصار حول موضوعات مختلفة تتعلق بالدين والتصوف . ويقول عن العصر الذي يعيش فيه ، وهو عصر شاعت فيه بعض المصطلحات مثل البرهان ، الوجدان ، السمع مما اصطنعه أصحاب الأحزاب، وهو ينكر علي رجالها معانيها الفاسدة ويقول:

" فأقول لأولاد المشائخ المترسمين برسم آبائهم من غير استحقاق : يا أيها الناس ما لكم تحزبتم أحزابا واتبع كل ذي رأي رأيه وتركتم الطريقة التي أنزلها الله على لسان محمد رحمة بالناس ولطفا بهم وهدى لهم ، فانتصب كل منهم إماما دعا الناس إليه وزعم نفسه هاديا مهديا وهو ضال مضل ، ونحن لا نرضى بهؤلاء الذين يبايعون الناس ليشتروا به ثمنا قليلا ولا بالذين يدعون أنفسهم ويأمرون بحب أنفسهم هؤلاء قطاع الطريق ودجالون كذابون مفتونون فتانون ، إياكم وإياهم ".

وكذلك يقول للأمراء: أيها الأمراء، أما تخافون الله، اشتغلتم باللذات الفانية الداثرة ، وتركتم الرعية تأكل بعضها بعضا ، أما شربت الخمور جهرة وأنتم لا تنكرون ، أما بنيت منازل فجور للزنا وشرب الخمر والقمار وأنتم لا تغيرون ، أما هي البلاد الكبيرة لم يضرب فيها مسافة سنة أو أكثر ، من وجدتموه ضعيفا أكلتموه ومن وجدتموه قويا تركتموه. خاضت أفكاركم في لذائذ الطعام ونواعم النساء ومحاسن الثياب والدور وما رقعتم إلى الله رأسا وما ذكرتموه إلا بألسنتكم في حكاياتكم كأنكم تريدون باسم الله انقلاب الزمان.

كما يوجه خطابه للعساكر والملوك والطلبة والعلماء منددا سوء الأعمال ومناشدا منهم الوقوف على وجوه قوى الشر والفساد ، وأما البدع والمنكرات التي تنافي الدين فإنه لا يجامل في إنكارها كما هو واضح من قوله:

" كل من ذهب إلى أجمير أو إلى قبرسالار مسعود أو ما ضاهاهما لأجل حاجة يطلبها فإنه آثم إثما أكبر من القتل والزنا ، أليس مثله الأمثل من كان يعبد المصنوعات أو مثل من كان يعبد اللات والعزى ، إلا أننا لا نصرح بالكفير لعدم النص من الشارع في هذا الأمر المخصوص. (التفهيمات الإلهية جـ 1، ص 82)

وله كتب أخرى في مختلف الفنون . منها " البدور البازغة " وهو عمل موسوعي يتناول شتى جوانب الدين والتصوف وفلسفته. والبلاغ المبين، وحسن العقيدة، وفيوض الحرمين، وتراجم البخاري، وتأويل الأحاديث، والدر الثمين في مبشرات النبي الأمين ، وعقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد وقد عد له الدكتور ظفر الإسلام خان في كتابه ' الإمام ولي الله الدهلوي ' ثمانية وخمسين كتابا . والدكتور نثار أحمد الفاروقي يعدّ له أكثر من سبعين كتابا. ثلاثون منه في اللغة العربية. والمنجزات العلمية التي حققها الإمام ولي الله الدهلوي يتطلب بيانها عدة أسفار.

قدرته الشعرية : بجانب هذا كان الإمام ولي الله الدهلوي شاعرا موهوبا ، وشعره يماثل ، بل يفوق صناعة الشعراء المفلقين . وقد خلف ديوانا في الشعر العربي ،جمعه بعده ولده الشيخ عبد العزيز ورتبه الشيخ رفيع الدين. ومديحه ' أطيب النغم في مدح سيد العرب والعجم' مشهور، ومنه:

كأن نجوما أومضت في الغياهب ... عيون الأفاعي أو رؤوس العقارب

إذا كان قلب المرء في الأمر خائرا ... فأضيق من نسعَين رحب السباسب

وتشغلني عني وعن كل راحتي ... مصائب تقفو مثلها في المصائب

إذا ما أتتني أزمة مدلهمة ... تحيط بنفسي من جميع الجوانب

تطلبتُ هل من ناصر أو مساعد ... ألوذ به من خوف سوء العواقب

فلست أرى إلا الحبيبَ محمدا ... رسول إله الخلق جم المناقب

ملاذ عباد الله ملجأ خوفهم ... إذا جاء يوم فيه شيب الذوائب

إذا ما أتوا نوحا وموسى وآدما ... وقد هالهم إبصارُ تلك الصعائب

فما كان يغني عنهم عند هذه ... نبيّ ولم يظفرهم بالمآرب

هناك رسول الله ينجو لربه ... شفيعا وفتاحا لباب المواهب

فيرجع مسرورا بنيل طلابه ... أصاب من الرحمن أعلى المراتب

سلالة إسماعيل والعرق نازع ... وأشرف بيت من لؤي بن غالب

بشارة عيسى والذي عنه عبروا ... بشدة بأس بالضحوك المحارب

ومن أخبروا عنه بأن ليس خلقه ... بفظ وفي الأسواق ليس بصاخب

ودعوة إبراهيم عند بنائه ... بمكة بيتا فيه نيل الرغائب

جميل المحيا أبيض الوجه ربعة جليل كراديس أزج الحواجـــب
صبيح مليح أدعج العين أشكـل فصيح له الإعجام ليس بشائـــب
وأحسن خلق الله خُلقا وخِلقـــة وأنفعهم للناس عند النوائـــب
وأجود خلق الله صدرا ونائـــلا وأبسطهم كفا على كل طالـــب
وأعظمهم حرّا للمعالي نهوضـه إلى المجد سام للعظائم خاطـــب
ترى أشجع الفرسان لاذ بظهره إذا احمر بأس في بئيس المواجـب
وآذاه قوم من سفاهة عقلهـــم ولم يذهبوا من دينه بمذاهـــب
وما زال يعفو قادرا عن مسيئهم كما كان منه عـند جـبذة جـاذب
وما زال طول العمر لله معرضا عن البسط في الدنيا وعيش المرازب

فضل الحـق الخيـــرابـادي

هو أحد العلماءالمشاهير في القرن الثالث عشر الهجري ، ولد في قرية خيرآباد بمديرية سيتابور في الإقليم الشمالي الهندي عام 1212هـ . وكان والده فضل إمام موظفا في الدولة الإنجليزية، وكان على علاقة وثيقة مع الملك المغولي أورنك زيب عالمغير، وهو أحد المرشحين بتدوين الفتاوى الهندية المعروفة بالفتاوى العالمغيرية مما أكسب له شهرة بين العلماء والحكام . وقد درس فضل الحق المنطق والفلسفة مما كتبه والده ، وأما علم الحديث فإنه تلقاه من الشيخ عبد القادر بن الشيخ ولي الله الدهلوي، وحفظ القرآن بأربعة شهور مما صار مضرب المثل في قوة الذاكرة وحسن السماع والفطنة . وقد أشاد بمقدرته العلمية العلامة عبد الحي اللكنهوى وهو يقول: ' إنه فاق أهل زمانه في الخلاف والجدل والميزان والحكمة واللغة وقرض الشعر' . ويقول الأمير صديق حسن خان : إنه إمام وقته في العلوم الحكمية والفلسفية بلا مدافع. وقد شغل هو أيضا منصباً في الولاية الإنجليزية في ديوان الإنشاء ، إلا أنه خالفهم منذ ثورة 1857 وانضم إلى القائد الأمير جوان بخت بن السلطان سراج الدين بهادر شاه، وأصدر فتوى الجهاد ضد الحكومة الإنجليزية مما غضب عليه الحكام وألقوا القبض عليه ونفوه إلى جزيرة أندمان.

مساهمته العلمية:

وقد أوتي الشيخ فضل الحق قسطا وافرًا من العلوم النقلية والعقلية بجانب ملكته في اللغة العربية، وقد كتب في الفلسفة كثيرًا ومن أبرزها: الجنس الغالي شرح جواهر العالي، وروضة الموجود في تحقيق الوجود ، وحاشية أفق المبين وحاشية شرح سلم القاضي . والذي خلد ذكره هو كتاب الهدية السعدية ، جمعه من الدروس التي كان يمليها على ابنه عبد الحق ، وأكب عليه طلاب العلم والأستذة مما صار له القبول الطيب ، وتم إدراجه في المقررات الدراسية في الهند . وكتابه شرح سلم للقاضي مبارك هو الآخر شهرة ً بين المؤلفات العربية الهندية في الفلسفة. وحين نفاه الإنجليز إلى جزيرة أندمان سأله سائل : ما ذا تركت في الهند، فأجاب: تركت هناك عبد الحق - يعني ابنه - وشرح سلم للقاضى المبارك. كما كان مضطلعا في الفقه الحنفي، يدل عليه كتابه ' تحقيق الفتوى في إبطال الطغوى'. وقد خاض هو وغيره من العلماء غبار الجدال مع مولانا إسمعيل أحمد الشهيد في المسائل الفقهية ، ويأتي تأليف هذا الكتاب ردا شافيا ودحضا لما عليه معارضوه. ونراه يلجأ إلى الثوابت المنطقية والفلسفية في إثبات دعواه.

وأما في مجال الشعر فإنه يعد رائد تاريخ النهضة الحديثة في الشعر العربي الهندي. وكان شعره مرآة لمشاعره النفسية وتجاربه العاطفية ، يلمح فيه آمال شعبه وصوّر فيه مصاعب عصره أروع تصوير. ويبلغ أبياته أربعة آلاف مما يجعله في طليعة شعراء العربية في الهند. ومعظمها في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم. وله في الشعر 'مجموعة القصائد' وهي في المدح والرثاء. وقد ذاع صيته بقصيدته المعروفة بفتنة الثورة الهندية التي تحتوي على 186 بيتا. وهي تبلور الظروف القاسية التي يمر بها المسلمون أثناء الثورة . يصور فيها المعاناة والمضايقات التي كان يعاني منها الشعب ، مما أرهف مشاعره وشحذ وجدانه وتفجرت كالسيل العرم ومنها:

إذ كنت في عيش رغيد رابغ هجم الكروب وفاجأت أرزاء
قد ضيقوا عيشي علي فعفته ونسيت عيشا كان فيه رخاء
حجروا علي وأسكنوني حجرة لم يأتها غير السموم هـــواء

منعوا أشد المنع أن يلقانـــي الأحباب والإخوان والأبناء
وسلبت أثوابي وبعد تجـردي للبس أعطى ميزر وكســاء
لم يكتفوا بحبسي بل ربـــا فوق حبســـي غربة وجلاء

ثم يصور اعتداءات الإنجليز على المسلمين قائلا:

قد سلط الأنصار في أمصارنا أن صار أنصارا لهم سفهاء
والآن إذ نصر النصارى أفرطوا في الظلم فاخترم الضعاف جفاء
غالوا برایاهم برایا غیلـــة فجرت كما انفجر العيون دمـاء
كم خربوا بلدا ولم يذروا به بلدا فصار كأنه بيـــــداء
هدوا المساجد والقصور كأنها لم تبن لم يك ثم قـــط بنـــاء

ومن قصائده في مذح الرسول:

حتى الصناديد مأوى الناس مفزعهم إذ يفزعون لأهوال الصناديد
هو الشهيد عليهم والشفيع لهم في هول يوم شديد الهم مشهود
إن زاد آدم قدرا عـــند مولده فكم أب يعتلي قدرا بمولـــود
فاق النبيين طرا في الكمال وفي ال جمال والعز والإجمال والسود
أهدى إليك مديحا كله غـــرر ونيل نولك بالتقصيد مقصودي
عليك أزكى صلاة الله ما مدحت في مورق البان ورقاء تغريد

وقد بلغت أبياته مبلغها رقة وروعة في المراثي كما نرى فيما يلي:

علا زفيري ودمع العين ينحدر وبلّني الدمع ، والأحشاء تستعر
ما لي أواري أواري وهو مستعر بين الحشا وهل النيران تستتر
ما لي لا أرى الليل لا ينجاب ظلمته فـــما له دونه صبح ولا سحـــر

ويلاحظ من كتاباته النثرية أنه شغوف بالزخارف اللفظية والمحسنات البديعية كما يظهر ذلك من رسالة وجهها إلى صديقه وهو يرثيه على وفاة والده.

" أما بعد ، فإن الدنيا دار غرور ما له قرور ، بل قرورها مرور، وظلها حرور، لا يوازي همومها سرورها ، ولا يوازن خيورها شرورها ، ولا تتكافأ معافاتها وآفاتها، ولا تتآذى أفراحها وأتراحها ، ولا محنها وراحتها، ولا يتلافى بسمومها نعيمها ولا سمومها نسيمها، ولا ضنكها رخاءها ولا زعزعها رخاءها ، ترياقها ثمال، ونقصانها كمال، عاقبة عافيتها أوصاب ، وحلويها وسلويها حلاقم أو ضباب ، أولها حبور ، وآخرها ثبور ، وصفاؤها غبار ، وبقاؤها عبور ، و أهلها بور وقصورهم قبور، وكل من غمر فيها مرموس وكل ما عمر فيها مطموس، وكل من الورى وإن ترى فإن مصيره إلى الثرى، مباديها آمال ومنى ومواقبها آجال ومنـــى"

وقد تحمس للعلامة فضل حق للدفاع عن الوطن والذوذ عن حقوق الشعب الهندي، وكتب رسالته الشهيرة برسالة الثورة الهندية، فكانت بمثابة الوقود في موقد الثورة . وما إن أخفقت الثورة حتى حكم عليه بالنفي إلى جزيرة أندمان عام 1959 . ولما وصل إلى جزيرة أندمان وجد فيها جماعة من العلماء نفوا إليها من قبل. وأصبحت الجزيرة مقرًا للعلماء الذين استهانوا مضايقات الحكام وأكبوا على العلم والمطالعة ما وسعهم . وفيهم المفتي عنايت أحمد كاكوري الذي كتب في حبسه كتاب علم الصيغة في النحو وهو المدرج في المقررات الدراسية النظامية في الهند . و كتب تواريخ حبيب إله. ولما علم الإنجليز عن ملكته في اللغة عهدوا إليه ترجمة كتاب تقويم البلدان ، فأكمل ترجمته في سنتين مما صار سببا لإطلاقه من السجن. وأما العلامة فضل حق فإنه وافته منيته وهو في قيود السجن عام 1861. وقد اشتد حنانه وشوقه إلى الوطن . وتحقيقا لرغبته حاول ابنه العلامة شمس الحق لإصدار موافقة من الحكام تسمح له بالرجوع إلى الوطن ونجح في ذلك ، وسافر إلى أندمان ليبلغه البشارة ، ولكن لما وصل أندمان رأي جثمان والده يحمل إلى مقره الأخير. فقفل عائدا إلى الهند.

فيض الحسن السهارنفوري

هو فيض الحسن بن علي بخش بن خدا بخش القرشي الحنفي المولود عام 1816. يصل نسبه إلى بني أمية . غادر بعض أجداده جزيرة العرب إلى الهند واستقروا في سهارنفور . وكانت أسرته ذات ثراء واسع من المال والعقارات ، إلا أنهم آثروا العلم .

ويقول عنه صاحب نزهة الخواطر: " كان من أعاجيب الزمان ذكاءً وفطنة وعلما ، لم يكن في عصره أعلم منه في النحو واللغة والأشعار وأيام العرب وما يتعلق بها. متوفرا على العلوم الحكمية، وكان مطبوعا على حدة الذهن والذكاء المفرط ، فمال في عهد طفولته إلى مباراة الطيارات ومسابقتها ، ولما بلغ عنفوان شبابه رغب في المصارعة ، ولكنه لم يلبث أن اتجه إلى تلقي العلوم والانكباب على الدراسة ، فتعلم الكتب الفارسية والعربية على والده الجليل كما قرأ المختصرات عليه ، ثم ارتحل إلى رامفور حيث لقي العلامة فضل الحق الخيرآبادي وأخذ منه المعقولات والأدب والفلسفة . وخاض في المنطق حتى لقب بالمنطقيّ . ثم تحول إلى الأدب وسبر أغواره حتى صار لقبه "الأديب "، وتلمذ على عدد من علماء لكهنو وحذق في الطب على الحكيم إمام الدين . وعقب ثورة 1857 ترك العلامة مدينة دهلي ورجع إلى قريته ، ولكن لم يلبث أن دعاه السير سيد لتعليم ولده سيد محمود كما طلب منه ترجمة بعض الكتب للمؤسسة العلمية التي أسسها ، وتم توظيفه في المؤسسة على راتب شهري قدره خمسون روبية. وبعد أن عمل هناك قليلا قصد لاهور وانخرط في سلك التعليم في الكلية الشرقية بها. وانتقل الشيخ إلى رحمة الله بالموت المفاجئ مسموما إثر لذع حية عام 1887 ، ودفن في سهارنفور حسب وصية منه.

وكان على تواضع بالغ مع وفرة علمه وكفاءته ، يدل عليه رده حين عرضت عليه جامعة البنجاب تكريمه بلقب شمس العلماء حيث قال : إن تلامذتي يتشرفون بلقب شمس العلماء" . وقد عاصر العلماء الأجلاء وحظي بالاتصال بهم ومن أبرزهم: الشيخ محمد قاسم النانوتوي مؤسس مدرسة دار العلوم بديوبند ، والمحدث الشيخ أحمد على العليكرى ،

والمحدث الخليل أحمد على السهارنفوري صاحب بذل المجهود ، والمحدث الكبير خليل أحمد الأنبهتوى ، والشيخ لطف الله العليكري ، والنواب صديق حسن خان القنوجي وغيرهم.

واستقى من ينابيع علومه خلق كثير ، يجدر بالذكر منهم ممن ذاع صيتهم في الآفاق : السّير سيد أحمد خان مؤسس جامعة عليكره الإسلامية ، والعلامة شبلي النعماني أحد المؤسسين لدار العلوم ندوة العلماء وصاحب السيرة النبوية ، والشاعر الأردي المعروف ألطاف حسين حالي ، والعلامة حميد الدين الفراهي الذي يعتبر واضعا لفلسفة نظام القرآن.

مؤلفاته العربية:

1 - شرح ديوان الحماسة:

قام العلامة فيض الحسن السهارنفوري بشرح ديوان الحماسة مفصّلا مع الإشارة إلى أخطاء لشارحين قبله، والكتاب في ثمانمائة صفحة، أعده العلامة السهارنفوري بعد مراجعة شرح العلامة التبريزي للحماسة ،وكتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، وكتاب ابن خلكان، ومقدمة ابن خلدون، والكامل للمبرد ، والإصابة في تمييز الصحابة للإمام ابن حجر العسقلاني ، وغيرها من الكتب. وعرّف الشعراء الذين ورد ذكرهم وأشعارهم في ديوان الحماسة مع تحديد عصورهم ، كما قام بشرح المفردات الصعبة مع ذكر أنساب الشعراء.

2 - رياض الفيض: هو شرح المعلقات السبع ، طبع في مطبعة أنجمن بلاهور ، ويمتاز هذا الشرح المستفيض بتأليفه في ثلاث لغات : الأردية والفارسية والعربية. ويقول في مقدمته: ' لما كانت السبع المعلقات كالسبع الشداد ولم يسلك شارح من شراحها مسلك السداد ، وقد تناولها الراغبون بفنون الأدب وتداولها المغرمون بلسان العرب ، أردت أن أشرحها شرحا وافيا وأكشف عنها كشفا كافيا' ، ثم يقول:

له همم لو كان في الدهر مثلهـــا لكان لنا خـــيرا وقد كان أصلحـــا
أتيناه من أرض بعيد نياطهـــا فلولاه ما سرنا وما كـــن رزحا

3- تحفة صديقيـة: هذا الكتاب شرح لحديث أم زرع، وأهداه إلى صديقه الحميم السيد صديق حسن خان القنوجي .

4 - حاشية على مشكاة المصابيح وهو شرح لتوضيح معضلات المشكاة .

5 - حاشية على البيضاوي وهو شرح لتفسير الإمام البيضاوي ، وأصبح فيما بعد من المقررات الدراسية في مدارس الهند الإسلامية.

6 ـ تعليقات الجلالين: فهو شرح في معضلات تفسير الجلالين ، حيث يوضح غموضه ، ولم يكمله بل مضى فيه حتى سورة بني إسرائيل.

7 ـ قصائد قاسمي: وهو مجموع قصائد يحتوي على خمس قصائد، قرضها بعض الشعراء. وفيض الحسن نفسه شاعر. وله قصيدة فيما جرى بين السلطان عبد الحميد من سلاطين الدولة العثمانية وبين روسيا حين نشبت الحرب سنة 1294هـ يمدح فيها السطان ويعد مناقبه ومطلعه:

مالي بذي الأرض من وال ولا واق ولا طبيب ولا آس ولا راق
ولا حميم ولا جار ولا سكن ولا نديم ولا كأس ولا ساق
أبكي عليّ بكاء غير منقطع فلينظر الناس أجفاني وأماقي
حولي كثير من الأعداء همهم قتلي ومالي دون الله من واقي
قوم غلاظ شداد شيط من دمهم شراسة وعتوا في سوء أخلاق
جفت نفوسهم قست قلوبهم فلا تميل بشيء من تملاقي
إني أخاف على نفسي تألبهم عليّ أشفق منهم كل إشفاق
عاد إلى قتل قتل غير مكترث إذ تكشف الحرب للأبطال عن ساق
شاكي السلاح إلى الرايات مبتدرًا صدق المقام إلى الغايات سباق
عن آل عثمان سامي الطرف مبتسم إلى الطعان شديد البأس مشتاق
قوم إذا ما غزوا فازوا ببغيتهم ولا يعودون في شيء بإخفاق
فتيان صدق أولو بأس ذوو كرم لا يجلسون لدى قوم بإطراق

وبالإضافة إلى هذا ، قام الشيخ فيض الحسن بإصدار المجلات العربية. وكان له دوره الرائد في إصدار صحيفة "النفع العظيم لأهل هذا الإقليم " التي هي الأولى بين الصحف العربية في الهند. وقد باشر مهامه فيها حين كان مقيما في عليكره ، وكانت مقالاته المنشورة فيها دعما للسيد أحمد خان للسير بخدماته في جمع التبرعات لكلية محمدن الشرقية التي كانت هي نواة جامعة عليكره الإسلامية. كما تولى إصدار صحيفة شفاء الصدور، وهو في لاهور. وجاء في مقالة له في النفع العظيم:

" إني لا أذكر شيئا من الأمور في هذه الأخبار إلا ما رأيت بعيني أو سمعت بأذني على توثق، أو يستفاد من الإخبارات الجارية في البلاد والأمصار إذا كان مما يجوزه العقل

السليم والطبع المستقيم ، فمن ذلك ما رأيته وما سمعته من تعظيم السيد أحمد خان في البنجاب حيث عظمه وبجله أهل البنجاب بما أنهم استقبلوه ورحبوا به وقدموا إليه النذور وتلوا عليه ما كتبه له واليه ، وأيدوا مدرسته بالأنفس والأموال ، ولم يكن ذلك إلا لاعتقادهم فيه وتصديقهم إياه فيما قال أو يقول ، والله لو ادعى الولاية والإمامة ، بل النبوة بل الألوهية لصدقوه بالقلب واللسان، ولآمنوا به وأذعنوا له غاية الإذعان، ولكنه لم يدع الولاية لما أنه لا يعد الولاية شيئا، ولا النبوة لما أنه يعد تصديق النبي ضرزويا في الإسلام، ولا الألوهية لتنافي الظاهر بين البشرية والألوهية ، وهؤلاء المعتقدون رجال إذا جاءهم دجال من الدجالين الذين يأتون قبل القيامة كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم صدقوه باللسان والجنان . إن رغبتهم في منافع الدنيا شيء يعتقد به لا غير، ليسوا سواءً فمنهم من آمن به ومنهم من كفر به، ومن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها.

8 - ديوان الفيض:

هذا أروع ما خلفه العلامة من الآثار الأدبية ، فهو يشمل 1549 بيتا، وقد قام تلميذه النابغ الإمام عبد الحميد الفراهي بطبعه بحيدرآباد ، ونشره على نفقته الخاصة. ويبدو من مطالعة هذا الديوان أنه كان مطبوعا على الشعر العربي، لأنه عربي الأرومة . فهذا الديوان خير دليل على أرومته العربية وهو من روائع أعماله، فيقول مثلا في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم:

فديتك أن تعاتبني فتنعم ... عليّ فكل خير في عتابي

فدى لك أن تعاقبني فتحسن ... إليّ فأي شر في عقابي

أتيتك مستغيثا مستغيثا ... بقلب فارغ يحكي جوابي

إليك المستغاث فإن تغثني ... وإلا فالتباب على التباب

رسول أبطحي هاشمي ... شفيع مستجيب مستجاب

خلقت مباركا وبعثت سمحا ... فأحسن بي على شري وعابي

تربت وطال ما تربت يميني ... فخذ بيدي بآل أبي تراب

وقال يرثي أمه التي ماتت في غيبته:

أصابتني هنات في هنات ... فمتّ قبيل أن يأتي مماتي

وذلك أن أتاني أن أمـــــي مضت لسبيلـها في الماضيات
أبت إلا المضيّ إلى بـــلاد تضم قـبائـل الـقـوم الشـتات
فسارت زادها زهد وتقـــوى فكان بتاتـها خيـــر البتـــا ت

ويذكر أيام شبابـــه:

كان لـي في الشباب عيش لذيذ عاتق فاتـق ولحـم حنيـــذ
وجـــوار وغلـــمة وقـــيان مطربـات يلهو بهـن النبيذ
ثم شاعذ اللسان مني فصـيح لا يباريـه شاعـر خنذيـذ

وبالإضافة إلي هذا له مؤلفات ومقدمات أخرى قيمة في اللغة العربية والفارسية منها: روضة الفيض، كلزار فيض ، شفاء الصدور ، مثنوى صبح أسيد، فيض القاموس، رياض الفيض ، جشمه فيض، فيضة النفع العظيم والتعليق المنعوت على سنن أبى داود ، وكنز الدقائق وفتح البيان في مقاصد القرآن ، وحواشى المناظرة الرشيدية.

الشيخ محمد أنور شاه الكشميري

ولد الشيخ أنور شاه بقرية ودوان بكشمير عام 1875. في أسرة مشهورة بالورع والزهد والعبادة ، وبدأ تعليمه بقراءة القرآن. ثم العلوم المتداولة في زمنه من الفقه والأصول والمنطق والصرف والنحو. وتوجه إلى دار العلوم ديوبند للالتحاق بها عام 1893. وكان وقتئذ في السابعة والعشرين من عمره. وتعلم هناك على كبار عصره من أمثال محمود حسن ديوبندي ورشيد أحمد جنجوهي وغيرهم. وقد سبق له أن درس الفارسية ومبادئ العلوم العربية من والده.

وبعد التحصيل من دار العلوم ديوبند سافر إلى دهلي ، وعين هناك مدرّسا في إحدى مدارسها ، ثم افتتح هناك المدرسة الأمينية العربية ، حيث قام بالتدريس سنة واحدة حتى

احترق قلبه حنينا للقاء أهله وذويه ، ورجع إلى كشمير. وأسس هناك مدرسة باسم مدرسة " فيض عام " ، وأقام بها ثلاث سنوات.

شغفه العلمـــي:

كان الشيخ أنور شاه شديد الاستحضار قوي الحافظة والذاكرة، دفعه حب الاستطلاع إلى قراءة الكتب العلمية . وكان من عادته أن يطالع أي كتاب وقع عليه عينه سواء كان مطبوعا أم مخطوطا، ويمتص بذهنه ما يحتوي عليه. ويقال إنه أول عالم هندي طالع مسند الإمام أحمد المطبوع في مصر.

واستطاع بكثرة المطالعة والمذاكرة أن يزيد مخزونه العلمي الذي صاغ به شخصيته، والذى بفضله تخطى إلى معظم العلوم النقلية خطوات موفقة ناجحة. وكان إماما في علوم القرآن والحديث وملما بكتب أهل الكتاب من العهد القديم والجديد بلغتها الأصلية في العبرية. وجمع مائة من البشارات المسيحية علقها برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

رحلاته العلمية

بعد قيامه بممارسة التدريس لمدة سنوات، نوى زيارة الحرمين الشريفين، فحج وزار ، وسمع الحديث من الشيخ حسين بن محمد الجسر الطرابلسي ، ثم رجع إلى الهند وهبط ديوبند مرة أخرى ، وظل يدرس بدار العلوم حيث صار خلفا صالحًا لشيخه العلامة محمود الحسن الديوبندي لما سافر إلى الحجاز ، فاشتغل بتدريس سنن الترمذي وصحيح البخاري وكتب الأحاديث الأخرى حتى عام 1345هـ ، مما آلت إليه زعامة ورئاسة تدريس الحديث في الهند. وفي أثناء إقامته في دار العلوم ظل يشتغل في تحقيق آراء المذاهب، واطلع على دواوين السنة وكتب المتقدمين، حتى أصبح مرجعًا لسائر الأساتذة ، وكانت أوقاته هناك متوزعة بين درس وتدريس وتحقيق وإفادة.

إلا أن العلاقات بينه وبين المسؤولين في دار العلوم بدأت تضعف من جراء الاتهامات والشائعات مما أدى إلى استقالته منها. وصادف أن تلقى وقتئذ من الجامعة الإسلامية بدابيل دعوة للانضمام إليها للتدريس. فغادر ديوبند إلى دابيل بولاية كجرات. وقد علا شأن هذه الجامعة بحضوره الفعلى في أحضانها ، كما بذل جهوده الطيبة في تأسيس المجلس العلمي فيها لممارسة التأليف والعناية بالقضايا العلمية التي تهدف إلى تنمية مواهب

الطلبة واستثمار مهاراتهم. وما زال بها الشيخ يخدم العلوم ويدرس طلبتها ويفيد الأساتذة ويستفيد منه العوام حتى تردت صحته بسبب الأمراض، فرجع إلى ديوبند حيث وافته المنية في شهر صفر عام 1352هـ .

يقول الشيخ عبد الحي الحسني : كان الشيخ أنور شاه نادرة عصره في قوة الحفظ وسعة الاطلاع على كتب المتقدمين والتضلع في الفقه والأصول والرسوخ في العلوم العربية والدينية والتفسير. وكان الدكتور محمد إقبال شديد الإعجاب بتعمق مولانا أنور شاه وتبحره في العلوم ، وبلغ من احترامه إياه أن تأثربأفكاره؛ وكتابه ' تجديد الفكر الديني في الإسلام ' يمثل مدى هذا التأثر.

وهناك اصطلاحات جديدة كثيرة لا يفهمها الطلاب بسهولة ؛ ويتعبون في مذاكرتها مثل تحقيق المناط ، وتنقيح المناط ، وتخريج المناط وغيرها. ومرة زار دار العلو م العلامة الشيخ سيد رشيد رضا من مصر، وفى مناقشة عن القضايا العلمية ، بين الشيخ أنور شاه معنى هذه المصطلحات مما تحير منه السيد رشيد رضا وعظم قدره لديه وقال: " لقد رأيت في مدرسة ديوبند التي تلقب بأزهر الهند كعبة دينية وعلمية جديدة ، أرجو أن يكون لها نفع عظيم ، وما قرت عيني لشيء في الهند كما قرت بما لاح لها في جامعة ديوبند وعلمائها من الغيرة والإخلاص."

أبرز أعماله:

1. فيض الباري : هو من أجل مؤلفاته ، كتبه شرحًا لصحيح البخاري. وهو في الواقع مجموعة محاضرات ألقاها على مسامع طلبة دار العلوم في خلاله تدريسه صحيح البخاري. ألفه في أربعة مجلدات. وينفرد هذا الكتاب بأنه جمع أقوال العلماء ، واستوعب أدلة المذاهب الأربعة ، واستعرض المؤلف في الراجح والمرجوح من بين الآراء والمسائل ، وفى معظم الأحيان كان يرجح ما ذهب إليه الإمام أبو حنيفة ، كما اعتنى الشيخ أنور شاه بذكر ما لم يذكره شراح البخاري في شرح الحديث قبله مع موجز من كلامهم ، إلى جانب بيانه لنواحي البلاغة العربية والكلام وأصول الفقه ، وينبه على زلات الشارحين . رتب هذا الكتاب الشيخ بدر عالم الميرتهي بعد أن علق عليه تعليقات نافعة وضمنه بحوثا مفيدة.

خصائص كتاب فيض الباري :

صار هذا الكتاب مركز اهتمام العلماء داخل الهند وخارجها لما فيه من فوائد كثيرة وهو يغنى عن سائر كتب الشروح في معرفة معظم المسائل الفقهية. وقد توج المؤلف عمله هذا بملاحظاته القيمة المبنية على سداد الفكر المستمد من روح الشريعة مع الاهتمام بملاحظات العلماء المتقدمين. وكان همه الأكبر من سرد المسائل التي وقع الاختلاف فيها، الوقوف على ما يوافق روح الشريعة. وإذا تعددت طرق الحديث فلم يكن يدير الكلام على طريقة واحدة، بل كان يجمعها إن أمكن الجمع، وإلا فيتوخى ما هو موافق لغرض الشارع. وإذا وجد الأحاديث تتضارب في المفهوم، ولم يتعين غرض الشارع بوضوح، كان الكل سائغا فلا أفضلية لرأي على آخر، أما إذا تعين غرض الشارع فكان هو المحمل الصحيح عنده. وإذا اختلفت الروايات عن صاحب الشريعة واختلفت الرواية من الإمام أبي حنيفة كان يحمل كل راوية على كل حديث وكان يقبل الكل.

2. مشكلات القرآن:

يبحث هذا الكتاب في مشكلات القرآن، وهو في 319 صفحة؛ بالإضافة إلى مقدمة ضافية وقيمة أعدّها تلميذه النجيب الوفي مولانا محمد يوسف البنورى. ويعالج الكتاب نحو مائة وستين آية من القرآن الكريم موزعة في ثمان وأربعين سورة. ثم فسرها تفسيرًا واقعيا دقيقا بعد تحليلها علميا. وهذا موضوع مستقل قد اعتنى به العلماء قديما وحديثا. وأوّل من صنف فيه أبو عثمان الجاحظ صاحب كتاب نظم القرآن الذي نال به فضل السبق. وتبعه أبو عبد الله الواسطي المعتزلى المتوفي سنة 306هـ. ثم أبو الحسن على بن عيسى الرماني الذي صنف رسالة صغيرة في الموضوع. وجاء بعده الإمام القاضي أبو بكر الباقلاني المتوفي سنة403هـ. ووضع كتابه المعروف بإعجاز القرآن. ويمثل تأليف الإمام السيوطي كتابه الإتقان خطوة جادة في هذا الفن. كما ألف فيه أيضا الإمام أحمد بن محمد الخطابي وابن سراقة والإمام الرازي والشيخ الزملكاني. وفى العصر الحديث تصدى للتأليف فيه رجال من أمثال الأديب الفاضل مصطفى صادق الرافعي، وله كتاب إعجاز القرآن.

ويأتي تأليف الشيخ أنور شاه الكشميرى مستوحيا لما سبق من الأعمال ومكملا لما فاتهم. وهو بعمله هذا يشبه المتقدمين في دراستهم علوم القرآن واستخراج جواهره. وكان يقول: إعجاز القرآن عندي أبين من طلوع ذكاء من مشرقها، ولا ريب في أنه متقدم في علوم البلاغة متمكن من ناصيتها. وكان يشكر هذه المنة التي أنعم الله بها عليه وهو يقول: قد أودع

الله في قلبي معيارًا لمعرفة البلاغة ، فلست فيها لأحد مقلدا، وأعطاني بصيرة أدرك بها مراتبها . وكان يبذل غاية جهوده في حل مشكلات القرآن. وتفسير القرآن على حد تعبيره الصدع بغرضه بما تقتضيه جزالة شأنه وروعة نظمه المعجز على سذاجة فطرية ويستغني عن تكلفات وتقديرات تنافي بليغ نظمه المعجز.

قوله في وجوه إعجاز القرآن :

إن الشيخ أنور شاه يرى أن القرآن كله معجز ، وإعجازه عنده في مفرداته ومركباته وفي ترتيب كلماته وفي مقاصده وحقائقه ، فهو معجز لفظيا وتركيبيا وترتيبيا وأغراضا ومقاصد وعلوما وحقائق. أما إعجازه بالمفردات فإنها لا يمكن استبدال غيرها بها بما يماثلها في المعنى ولا الإتيان بما هو أوفى بالمقام ولا أنسب للغرض ، ولو تظاهر الثقلان على أن يوردوا موضع لفظ لفظا غيره أقرب إلى الحقيقة وأنطق بالغرض لما جاؤوا. على سبيل المثال كان لهم في الجاهلية للموت أسماء حسب مداركهم ومشاعرهم ، منها الهميغ والنيط والرهر والمنون والشعوب والفود والحمام والسام والمقدار والقاضية والعول والحنف والخالج وما إلى ذلك مما سرده ابن سيدة الأندلسي في كتابه المخصص . فجاء الإسلام ونزل القرآن وأفصح بالمعاد وبالبعث والنشور والحساب وَرد عقيدتهم الزائغة من الفناء المحض وعدم بقاء الروح ، فاستعمل لهذه الحقيقة لفظ التوفي بمعنى استيفاء الشيء كاملا وتحصيله من غير نقصان، فالأرواح عنده مقرها وأجزاء الجسد لديه مستقرها وهو على جمعهم إذا يشاء قدير.

والشيخ يأتي ببدائع وغرائب من أسرار البلاغة ولطائف نظم التنزيل في آية التوفي في قوله تعالى (يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلي) في كتابه عقيدة الإسلام في سيرة عيسى عليه السلام و مما يدهش الفحول ويحير العقول وإذ تلاطم بحره الهائج ، فقذف بدرر ثمينة وبسط فيها الكلام وأحاط بكل ما يتعلق بالمقام مما يتبين به ما للشيخ من منزلة عالية في علوم البلاغة.

وإعجاز القرآن من ناحية لفظه لم يتطرق إليه أحد قبله بتلك الصورة التي رسمها الشيخ. وإن كانوا تنبهوا له من جهات أخرى من ناحية التركيب والترتيب ، وإنما اهتم الشيخ بإبداء الغوامض وكشف ما لم يكشفوا . ورب كلمة تكون حسنة ملائمة في نظم القرآن بحيث لا يفيد فائدتها كلمة آخرى بينما تكون هي نفسها نافرة غير متذوقة في سياق كلام غير الله.

فكلمة ضيزى في السياق القرآني حلت محلا ملائما لا يقوم مقامها فيه كلمة ذات سجع ووزن يناسب ما سبقها وما لحقها من الآيات.

وربما تكون الكلمة حسنة رائعة إذا أتيت بها مفردة وتكون متنافرة ثقيلة إذا أتيت بها جمعا، وربما يعكس الأمر، فالقرآن يأتي بكلمة مفردة وأخرى جمعا، فمن ذلك كلمة (لب) التي وردت في القرآن الكريم في مواضع كثيرة جمعا ولم ترد مفردة كما في قوله وليتذكر أولوا الالباب. ومن ذلك كلمتا الأكواب والأرحام فإنهما ما وردتا في القرآن إلا في صيغة الجمع. ومن ذلك كلمة الأرض التي ما وردت إلا في صيغة المفرد ، فإذا ذكرت السماء جمعا تستعمل هي مفردة، ولتطابقها السموات في المعنى أتى بها القرآن في أسلوب آخر حيث يقول تعالى: 'الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن.' ولو قيل سبع أرضين لاختل نظم القرآن ، وبالتالي يفقد حلاوته .

وأما إعجاز القرآن من ناحية التركيب والترتيب فهو أن القرآن ينتقى تركيبا من عدة تراكيب يسعها المقام، إلا أن القرآن يختار ما هو أبلغ منها، مثاله قوله تعالى : " وجعلوا لله شركاء الجن " ، وكان من حق العبارة في بادئ الرأي أن تقال : وجعلوا الجن شركاء لله ، ولكن غرض التنزيل أنهم جعلوا لله شركاء لا لغيره ، مع أنه أغنى عن الشرك. وفى تقديم (لله) استعظام لقبح ما ارتكبوه، ثم إنهم لم يكتفوا بهذا، لما لجؤوا إلى الإشراك فيه بالجن الذين هم مخلوقات ضئيلة . فهذا استعظام آخر لما فعلوه وإهانة لإشراكهم به سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا. والغرض الذي سيق له الكلام لا يتأتي إلا بالتركيب الذي اختاره التنزيل . ويقول عن مقاصد القرآن: تنبيه العباد إلى أحوال المبدأ والمعاد من الاعتقاد بالإله الصانع خالق الأرض والسماوات وما بينهما، وبأنه خلق الإنسان وصوره فأحسن صورته وكرمه على سائر بريته وأودعه نورا يستطيع به أن يتفرس الأمور ويتوسم الآيات الكونية ويتدبر في نظامها البديع المحكم . ومع هذا بعث الرسل وأنزل الكتب لهدايته وأمره بشريعة ودين تكفل صلاح معاشه وسعادته وما فيه نجاته في دنياه وآخرته وأن الدنيا متاع الغرور، فلا يغرن بهاؤها وزهاؤها ونماؤها وسماؤها وجلاوتها وطراوتها وعذوبتها وحلاوتها ، فإلى الله مرجعكم ومأواكم ولديه حسابكم وإليه إيابكم . ثم إن إعجاز القرآن من هذه المقاصد فإنه كتاب عزيز وذكر حكيم يكفل بيان هذه الأمور على أبدع الوجوه وأفصحها وأنفعها للناس ، لا يوازيه شريعة ولا يدانيه كتاب بحيث تقصر عنه العقول والحكماء وأولو

CUP 6567/08/1000/SDE-8

الألباب فهو في العالم كتاب يكون عليه مدار السعادة والنجاة. وهل في البرية نظام بديع صحيح يلائم فطرة البشر غير ما جاء به القرآن ، وهل يوجد كتاب غيره يهدى إلى الحق وإلى صراط مستقيم ، وهل في الدنيا ذكر حكيم ونور مبين يبين للناس طريق النجاح الدنيا وارتقاء المراتب العالية وسبل الفوز في الآخرة من جنات النعيم.

وأما عن إعجازه باعتبار الحقائق فيقول الشيخ رحمه الله : أريد من الحقائق الأمور الغامضة التي قصرت عن إدراكها العقول والأفهام ولا تكتنهها الأفكار والأوهام وما برحت فيها العقول مختلفة والجوانب متجاذبة ، فلم ينفصم فيها نزاعهم وجدالهم ، ولم يصب الغرض رماؤهم ونضالهم كمسألة خلق أفعال العباد وتحيرت فيها العقلاء وتاهت في بادية إدراكها الحكماء، فلم يكشف بحثهم وفحصهم فيها حقيقة الأمر في أن ربط العبد بفعله ماذا وكيف ، ثم رباط هذا الفعل الحادث بالقدرة الأزلية القديمة كيف يكون، فالقرآن يختار في أمثال هذه المشكلات المعضلة تعبيرًا لا يتصور أوفى منه في كشف حقائقها وصدع مغزاها في مقدرة البشر. هذا غيض من فيض مما التقطه الشيخ من أوجه الإعجاز القرآني بعد أن سبر أغوارها واختار دررها وغررها واصطفى زبدها. وله مؤلفات أخرى منها:

بسط اليدين لنيل الفرقدين، وعقيدة الإسلام ،ومرقاة المطارم لحدوث العالم، وفصل الخطاب في مسألة أم الكتاب، وكشف الستر عن صلاة الوتر، والفار الملحدين في ضروريات الدين، والتصريح مما تواتر في نزول المسيح، والعرف الشذي على جامع الترمذي ، وأنوار المحمود في شرح سنن الكتاب.

شعـــره:

للعلامة أنور شاه الكشميرى قصيدة فى المدح النبوي والمراثي والمديح ، وقد رزق ذوقا سليما للشعر . وقد حفظ من قصائد الشعراء العرب ما يربو على خمسين ألف بيت، وكان ذوقه الشعري فى طبيعته غير العادية. ويبلغ عدد أبيات قصيدته ألفا ومائة وخمسة وخمسين بيتا. وأسلوبه فى الشعر أسلوب فحول الشعراء في العصر الجاهلي والإسلامي. ومن قصيدته فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم:

برق تألـق موهـنا بالـوادي فاعتاد قلبي طائف الأمجاد

أسفا على عهد الحمى وعهاده تولى على الإبراق والأعاد

هب النسيم على الربى فتضاحكت بشرى العميد عرارها والجادي

لعبت صباها والشـــمال وتارة لعب الغصون بعطفها المياد
سنح الظباء فكاد يهلك مغـــرم حور العيون وعطفة الأجياد
أسقى التلول واستحث ركائبي وجدا على التأويب والآساد
شمس الضحى بدرالدجى صدرالعلى علم الهدى هو قـــدوة للقادي
سهل العريكة أكرم العرب الألى خير العـــباد وخيرة العباد
العاقب الماحي وأكـــثر تابعا والقاسم المبعـــوث للإرشاد
والأصدق الأمي أفصح لهجـــة ممن تكلم باللســان الضادي
قد جاء والدنيا على ظلماتـــها والجهل والبؤسى على أعتاد
فأضاء كالبدر المنير ووجهه نور مبين فى ظـــلام دادي
فتحت به غلف القلوب وبصرت عمي العيون بسنة وســداد
قد أيد التقوى وشيد أمرهـا بقواعد التأييد ذات عمـــاد
لا يهتدى للخير إلا خيـــر وبمعـــزل عنه أخ الأنكاد
قف نبك أطلالا وهت أركانها أخنى عليهاالدهر بالمرصاد
سبحان من صرف الأموروماأتت غير عليه على مدى الآباد

وله قصيده أخرى فى المديح النبوي وهي تمتاز باشتمالها على أسماء الرسول ومنها:[18]

شفيع مطاع نبي كـريـــــم قسيم جسيـــم نسـيـم وسيـم
صبيح مليح مطـيب التميـم مفاض الجبين كبدر مبيـــن
غياث الورى مستغاث الهضيـم أحيد وحيد مجيد حمـــيـــد
وخير البرايا بفضل جسيـــم وهز عزيز حباة قـــويـم
وأسرى به ربـــه فى السماء كـــنور تجلى بليل بهـيـــم

وللعلامة مرثية طويلة بسبعة وأربعين بيتا على وفاة الشيخ محمود حسن ديوبندى حيث بدأها على غرار معلقة امرئ القيس وهو يقول:

قفا نبك من ذكرى مزار فندمعا مصيفا ومشتى ثم مرأى ومسمعا
قد احتفه الألطاف عطفا وعطفة وبورك فيه مربعا ثم مربعـــا

---

[18] مساهمة دار العلوم بديوبند فى الأدب العربى - د. زبير أحمد الفاروقى - ص :102

وإن كان مما ليس يشفى ويشتفى بشيء ولكن خل عينيك تدمعا
نهضت لإرثي عالما ثم عاليا حديثا وفقها ثم ما شئت اجمعا
كبيرا يادى فى السماوات أمة إمام الهندي شيخا أجل وأرفعا
وقام إماما فى زمان مخادع على قدم كالطود أرسى وأوقعا
فسبحان من آتاه علما ونشره وأعطاه حلما ما أطاب وأطوعا
يضيق نطاق فى المراثي لحقها وثم مجال كيفما شئت فاصنعا
بكته سماء ثم أرض كلاهما وعين وقلب قاسياه فاجمعا
سرى نعشه فوق الرقاب وطالما سرى علمه فوق الركاب ورفعا
ولم أر مثل اليوم كم كان باكيا وما كان دمع القوم دمعا مضيعا
سقى الله مثواه كرامة ريعه وكان غدا لي شافعا ومشفعا

وله مرثية أخرى فى وفاة الشيخ عبد الباقر خان، ومطلعها:

ودار خيار ودعوها وأوضعوا وابقوا دموعا لا تزال تشيع
ربوع قواء لا نجيب مسلما وكان زمانا ثم مرأى ومسمع
وتلك خصال للأماثل حيـة ويشكرها العمران شكرا وبلقع
أسائل دهرا هل لنا الجود والندى وهل لهما فينا مصيف ومربع

وللعلامة أنور شاه الكشميرى قصيدة رائعة فى مدح شيخه رشيد أحمد الجنجوهي تحتوى على ثلاثين بيتا ومطلعها:

قفا يا صحابي من السفار بمرأى من عرار أو بهار
يسير بنشرها نفحات أنس وريا عند محي من قطار
يفيض لروحها رشحات قدس حياة للبرارى والقفار
وقد عادت صباها من رباها بأنفاس يطيب بها الصحارى
فيسرى فى قلوب الصحب وجد بأطراف الحديث لدى اعتبار
أطيب لنشره نفسا ونفسا فأروى من روايات الكبار

كما قرض القصائد الطويلة تحت عنوان ' ضرب الخاتم على حدوث العالم ' وهي أطول قصيدة نظمها الشيخ فى أربعمائة بيت، يتناول فيها المسائل الفلسفية الدقيقة مستدلا بالبراهين الواضحة لإثبات حدوث العالم ووحدة الوجود. ومنها ما يلى.

وماض قديم يأت من غير حاضر ومستقبل بالطبع لم يقف انتهى
فمنه استحالة للورى أزلية وبعد حدوث فالدوام قد انبغى
ووضع حديث مع قديم كما ترى بمعناه يقضي أن هنا موطن خلا

وله قصيدة أخرى بعنوان غدارة اليونان وبريطانيا، ومنها:

أو ما ترى لما عدت عن طورها غدارة اليونان والبرطاني
حتى غدوا لا يؤمنون لربهم وتنصلوا من خلقة الإنسان
فازداد شر فى البسيطة منهم ما كان يحكى منذ جنكيزخان
أو ما ترقرق عينهم أو قلبهم من رحمة الصبيان والنسوان
فاستدرجوا حتى تفارط أمرهم فى الغي والطغيان والعدوان
حتى تدارك رحمة من ربنا من دولة الإسلام من عثمان
المصطفى الغازى الكمال فهدهم صرعى وهلكى هل تر من غان
والسيف أشفى للصدور من العدى والعزم أمضى منه فى الميدان

السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي

العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي الشخصية الإسلامية البارزة المشهورة على الصعيد الوطني والعالمي ولد عام 1333 هـ / 1914 م بقرية تكيه كلان ، برائي بريلي في ولاية أوترابرديش الهندية. ووالده الشيخ عبد الحي اللكنهوي ، صاحب التصانيف الجليلة الضخمة . ووالدته خير النساء . ويصل نسبه إلى الحسن بن على رضي الله عنهما . نزح أجداده من الحجاز إلى الهند واستقروا في نصيرآباد. وعلى مر العصور قدمت هذه الأسرة أعلامًا ورجالا أكفياء بارزين في العلوم والفنون من أمثال الإمام السيد أحمد شهيد رحمه الله رائد حركة الجهاد والإصلاح في أرض الهند.

وقد قضى أبو الحسن معظم أيام الطفولة في لكنهو، حيث كان والده يشتغل بإدارة دار العلوم ندوة العلماء. وبدأ دراساته الابتدائية بتعلم القرآن في بيته ، وتعلم مع ذلك الأردية والفارسية. ولما توفي والده وهو ابن تسع سنين ، رجع مع أمه إلى رائي بريلى وتربى في حجرها. ثم قدم إلى لكنهو حيث كان أخوه الأكبر الدكتور السيد عبد العلي الحسني ، الذي إليه يرجع أكبر الفضل في تربية الشيخ أبي الحسن وتثقيفه ورسم مسار مستقبله ، كما يشير إليه في كتابه ' شخصيات وكتب أثرت حياتي'. وقد أتقن اللغة الفارسية وتوسع في آدابها، حتى تمكن من مطالعة كتب الطبقات والسير والتراجم والعلوم المكتوبة فيها. وأتقن اللغة العربية من الأديب الفاضل الشيخ خليل بن محمد اليماني المتوفى سنة 1386هـ ، وكان يلقي عليه الدروس في الصرف وأبو الحسن يحفظ ما يتلقاه فورًا. ثم درس الإنجليزية بجهوده الخاصة وبدعم من عمه الشيخ طلحة بن محمد ، وكان أستاذ العربية في الكلية الشرقية بلاهور. واستفاد منه كثيرًا . والتحق بجامعة لكهنو الحكومية عام 1927 في قسم الفضيلة في الأدب العربي ، وقد نال المنحة والميدالية الذهبية من الحكومة لتفوقه في الدراسة.

وبعد تخرجه في جامعة لكهنو الحكومية التحق بدار العلوم ندوة العلماء ليستكمل حظه من دراسة الحديث. وكان العلامة حيدر حسن خان شيخ الحديث وقتئذ هناك ، فقرأ عليه صحيحي البخاري ومسلم وسنن أبي داود والترمذي وشيئا من تفسير البيضاوي وبعض الدروس في المنطق. كما أنهى دراساته الأدبية العربية على الدكتور الشيخ تقي الدين الهلالي المراكشي. وكان مدرسا في الندوة آنذاك ، فحضر مجالسه العلمية واستفاد منه مما فتق قريحته العربية. وكان زميله هناك الشيخ مسعود عالم الندوي صاحب مجلة الضياء. وتمعن في الحديث من الشيخ الكبير مولانا حسين أحمد المدني مؤسس جمعية علماء الهند، وفي سنة 1932 التحق بمدرسة قاسم العلوم المخصّصة لخريجي المدارس الدينية. وأكمل الدراسة واجتاز الاختبارات بتقدير عال. وقد أجازه المحدث عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري شارح كتاب الترمذي. وأتم دراسته وهو ابن عشرين.

وقد فتحت أمامه الآفاق العلمية برحلته إلى لاهور حيث كان يعمل عمه. إذ قرأ التفسير على المصلح الكبير الشيخ أحمد علي اللاهوري. وأتيحت له الفرص هناك للقاء الأعلام الكبار من الشعراء والعلماء من أمثال الشيخ حفيظ جالندهري صاحب الملحمة الإسلامية الشهيرة، والدكتور محمد إقبال، فيلسوف الشرق وشاعر الإسلام ، و سجلت تلك

اللحظات في قلبه شعورًا رائعا حيث يذكره في كتابه روائع إقبال: ' وكنت في السادسة عشرة من عمري وقد قدر لي أن أزور لاهور بلد العلم والثقافة في الهند ومقر الشاعر العظيم وفي يوم صائف شديد الحر من أيام أيار الأخيرة أخذني عبد الله الجغتائي إلى محمد إقبال وقدمني إليه وذكر شغفي بشعره وقدمت إليه ترجمتي لقصيدته جاند (القمر) فتصفحها محمد إقبال ووجه إلي أسئلة عن بعض شعراء العربية يختبر بها دراستي وثقافتي، وانتهى المجلس ورأيتني معجبًا بتواضع الشاعر العظيم وبساطة مظهره وعدم تكلفه في المعيشة والحديث.' ورجع إلى لكهنو وحضر دروس التفسير والحديث والفقه للمشايخ الكبار مثل حيدر حسن بن أحمد حسن الأفغاني الذي لازمه سنتين ، ثم صحب العلامة اللغوي المحقق الدكتور محمد تقي الدين بن عبد القادر الهلالي المراكشي. ومرة أخرى سافر إلى لاهور وصحب الشيخ أحمد علي اللاهوري وقرأ عليه التفسير وكتاب حجة الله البالغة.

تدريسه ورحلاتـــه:

انخرط في سلك التدريس منذ عام 1934، حيث عين مدرسا في دار العلوم لندوة العلماء. وعمل فيها يدرس التفسير والحديث والأدب العربي والتاريخ. واستمر فيها عشر سنوات. كما انتهز الفرصة للاستفادة من الصحف والمجلات العربية الواردة إلى الندوة. واستطاع بذلك تعرف أحوال العالم العربي والإسلامي والاطلاع على أفكار العلماء المعاصرين من الدعاة والعلماء. ويمكن القول إن هذه الفترة بالنسبة إلى الشيخ الندوي كانت فترة نضوج لأفكاره وبروز بواكيرها. وقد تدرج، وهو في سلك التعليم بدار العلوم ، إلى مجال التأليف حيث وكل إليه مهمة وضع المقررات الدراسية لتعليم اللغة العربية، فألف قصص النبيين للأطفال في خمسة أجزاء، والقراءة الراشدة في ثلاثة أجزاء ، ومختارات من أدب العرب في قسمين لدراسة النصوص الأدبية من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث.

وقام برحلة استطلاعية عام 1939 في أرجاء الهند ، حيث طاف معظم أنحاء البلاد. وزار المراكز الدينية وعرف مناهجها وأسلوب أدائها كما تعرف عددًا من العلماء من أمثال الشيخ عبد القادر الراي بوري، والداعية محمد إلياس الكاندهلوي. وتأتي رحلاته جزءًا من تدريسه، لأنه كان يلقي المحاضرات العلمية القيمة في أثناء هذه الرحلات. وفى عام 1947 سافر إلى مكة لأداء فريضة الحج وأقام بالحجاز ستة أشهر قضاها مشغولا بالأعمال الدعوية. كما رحل إلى مصر والشرق العربي عام 1952 حيث لقي قادة الفكر الإسلامي

والأعلام الكبار من الأدباء والعلماء والمؤلفين. وألقى محاضرات علمية كانت تنبض بالإيمان والحياة والحماس والإخلاص ، مما يهتز له القلوب الطيبة. وكان حضوره في مصر ربيعًا لطلاب العلم في كليات الأزهر. وقد طبعت مذكراته حول هذه الرحلات باسم ' مذكرات سائح في الشرق العربي' . ثم رحل إلى دمشق عام 1965، وذلك بناءً على دعوة من كلية الشريعة بجامعة دمشق. وقد قدم محاضراته العلمية حول موضوع'التجديد والمجددون في تاريخ الفكر الإسلامي'.وجمعت هذه المحاضرات فيما بعد في كتابه رجال الفكر والدعوة في الإسلام. وفى عام 1960 سافر إلى بورما ومكث فيها أكثر من شهر ، وألقى عشرات المحاضرات. وفى 1962 سافر إلى الكويت للتعريف بندوة العلماء. وقدم إلى المدينة سنة 1963 بناءً على دعوة من نائب رئيس الجامعة الإسلامية فيها لإلقاء المحاضرات ، حيث ألقى على مسامع طلابها ثماني محاضرات حول ' النبوة والأنبياء في ضوء القرآن '. وفي العام نفسه أتيحت له الفرصة للرحلة إلى البلاد الأوروبية فزار أكثر مدن أوروبا وزار أسبانيا وقابل عددًا من المفكرين الغرب والمستشرقين حيث تجاذبوا أطراف الأحاديث حول الحضارة والثقافة والدين، وألقى محاضراته العلمية في المناسبات المختلفة. ثم تتابعت الرحلات إلى أوروبا وأمريكا والبلاد العربية والمغرب الأقصى والخليج العربي ، وتجسد هذه العلاقات ذلك المهرجان التعليمي الذي أقيم عام 1985 في رحاب دار العلوم ندوة العلماء بمناسبة مرور خمسة وثمانين عامًا على تأسيسها ، حيث حضره زمرة من رجال العلم والفكر والدعوة من أنحاء العالم المختلفة تقديرًا منهم بمكانة العلامة الندوي ومساندة لنشاطاته الدينية.

دوره في الصحافة:

إلى بجانب مهاراته التدريسية والتأليفية كان له قدم سبق في الصحافة العربية منها والأردية. وكان رئيس التحرير لمجلة الندوة ، وهي لسان حال ندوة العلماء ، كما ترأس تحرير مجلتي تعمير حيات ونداء ملة . وكان يكتب باستمرار في مجلة الضياء التي ترأس تحريرها العلامة مسعود عالم الندوي. ولما توقفت عن الصدور ترأس الشيخ الندوى مجلة البعث الإسلامي ومجلة الرائد. كما كان يعمل محررًا مراسلا لمجلة المسلمون الصادرة من جنيف تحت رئاسة الدكتور سعيد رمضان.

مواهبه

كان الشيخ العلامة الندوي عوضًا عادلا عن قرن واحد مضى بعد الأمير صديق حسن خان القنوجي من حيث حجم الإنتاجات الفكرية والعلمية. وقد ترعرع في بيت معمور بالفضل ومشهور بالعلم، وهذه الظروف المواتية جعلته ينشأ مجبولا على مناصرة الحق ومجاهدة الباطل ومحاربة الجور والطغيان ، وغيورًا على دينه وأمته. وهذا الأسلوب العملي ساعده على أن يرتقي المكانة العلية بين الزعماء المفكرين في العالم. وقد أشرب منذ صغر سنه حبه للعلم وشغفه بالعربية، ونهل من مناهلهما الصافية النقية ، من جهابذة علماء عصره مما جعله ضليعا في فنون العربية خبيرًا بقواعدها بصيرًا بأسرار الكلام فيها، وهو في زهرة شبابه وربيع عمره. و ظهرت باكورة أعماله وهو ابن السادسة عشر من عمره . وذلك حين ترجم سيرة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد من الأردية إلى العربية ، وأرسلها أستاذه الدكتور تقي الدين الهلالي إلى العلامة السيد رشيد رضا لنشرها في مجلة المنار.

وقد رزقه الله أذنا واعية وذوقا سليما وطبيعة نافذة. ونبغ في اللغات الخمس: العربية والأردية والفارسية والهندية والإنجليزية، واستطاع بذلك أن يوسع نطاق علمه وتجاربه ومواهبه، وكان لمعايشته للأحوال القاسية التي شهدتها الأمة الإسلامية أثر بالغ في شحذ ذهنه. وكل كتاباته تعج بالأفكار الناضجة التي استخرجت من حنكته بالأيام واطلاعه على التاريخ. وقد أشاد بجودة أسلوبه زعماء الأدب في العالم العربي. فهذا الشيخ محمد المجذوب يقول: 'ومتتبع ما يكتب الشيخ الندوى ليشعر بأن لعباراته الأدبية سحرًا لا يتوافر في العادة إلا في العلية من أصحاب المواهب الذين تعمقوا سر الكلمة وتفاعلوا به، وكان لقلوبهم أكبر الأثر فيما يصوغونه'.

وقد أبدى الشيخ محمد بهجة البيطار رأيه في كتابه مذكرات سائح في الشرق العربي قائلا: تصفحته كله فرأيت فيه من الفرائد والفوائد ما لا أحصيه عدا، وما يقصر قلمي عن وصفه، وسبحان من وهبكم القدرة على الكتابة بلسان عربي مبين ليس فيه شائبة العجمة.

قيادته الفكرية والعلمية:

جمع الله في شخصية الندوي عدة مؤهلات ومواهب. وهو صاحب عقل نير وفهم مشرق متوقد وعاطفة قوية واطلاع واسع، ورجل ذو قلب فياض وقلم سيال وروح ناضرة ولسان ذرب مرهف بليغ. ومع هذا كان سمته البارزة في الحياة الزهد والقناعة والهمة العالية، ما لانت قناته أمام الأزمات ، وما عثرت قدماه عند الصدمات . وهذه الصفات

والمواهب جعلته أهلا لقيادة فكرية وعلمية بهدف الإصلاح الديني والاجتماعي. وتتمثل هذه القيادة الرشيدة في عدد من المناصب التي شغلها رحمه الله خدمة منه للدين والعلم واللغة والأدب والثقافة.

وقد قاد الشيخ الندوي حركتين رئيستين: حركة وقاية المسلمين وحمايتهم من الانحرافات الدينية والاجتماعية واستعادة الهوية الإسلامية إليهم . واستخدم لهذا كل محاضراته وخطبه في المناسبات المختلفة لتحريك هذه الفكرة بين الطبقة المثقفة ، وكان أسلوبه بهذا الصدد مجلجلا حينا وهادئا حينا آخر، وقد اتخذ لنفسه منهجا سديدا تحقيقا لهذا الغرض، وهو الاعتماد على الأسوة الحسنة التي تتمثل في سيرة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام. وكان يصل بهذه الفكرة قلوب أهل عصره ومصره بقلوب أهل خير القرون.

والحركة الثانية التي قادها الندوي تتمثل في جهوده لرعاية جميع المواطنين ، بوصفهم أبناء وطن واحدٍ ، جذورهم من أصل واحد ، من أبوة وأمومة واحدة ، وهذه الفكرة تجسد مفهوم الإنسانية العليا التي ينشدها الدين الحنيف وقوامها التسامح والتعايش والتفاعل. وقد أنشأ لهذا الغرض 'الرسالة الإنسانية' في منتصف الخمسينات في القرن الماضى، بهدف إيجاد التعارف والتفاهم بين أهل الأديان المختلفة ونشر المودة والسلام فيما بينهم. وقد وفق بهذا لنشرمبادئ الدين الإسلامي والإنسانية وتحبيبها إلى الشعوب وتصحيح مفاهيمهم عن الإسلام. وكان لمبادرته هذه أثر قوي في نفوس جميع الناس حيث قابلوه بكل الاحترام والحفاوة ، حتى صارذلك عاملا مؤثرًا في تخفيف التوتر القائم بين طبقات الهنادكة والمسلمين في الهند.

وإلى جانب هاتين الحركتين اهتم العلامة الندوي بالثورة الفكرية عن طريق نشر التربية الإسلامية ، التي هي الرصيد الغالي لغرس الثقافة والاحتفاظ بالهوية،والتي تعد المحرك الرئيس وراء كل تغيير جذري في المجتمع. وقد رأي هذه التربية بديلا مفيدا عن تلك التربية العامة السائدة في المجتمع الهندي. وتتمثل هذه النشاطات التي تزعمها الندوى في عشرات المعاهد الدينية المنتشرة في البلاد وفى مقدمتها دار العلوم ندوة العلماء التي كان هو رئيسها منذ عام 1962 ، وانبثق منها بجهوده، ومعه زملاؤه، عدد من المؤسسات، حذا حذوها في التربية والتعليم. كما أنه نشط في إعداد المقررات الدراسية لهذه المعاهد بحيث

تلبي حاجات الأمة المسلمة وتثقف الشباب وتؤهلهم لمواكبة ركب الحضارة الحديثة بدون أن يفقدوا هويتهم الدينية.

وقد حظيت دار العلوم ندوة العلماء تحت رعايته بتطور ملحوظ في نطاقها التعليمي والإداري ، حتى أصبحت الآن صرحًا علميا شامخا بتراثها العريق الذي مضى عليه أكثر من قرن واحد. وقد آل إليه إشرافها عقب وفاة أخيه عام **1962**. وكان على حزم حازم من تعيين نظامها وسلوكها حتى تنجح في رسالتها. والعبارات الآتية تجسد رؤاه في قيادة ندوة العلماء والمؤسسات التابعة لها:

' تأسست ندوة العلماء على مبدأ التغيير والإصلاح في نظام التعليم الديني وفي منهاج الدرس العربي، فحذفت وزادت وغيرت وأصلحت في منهاج التعليم، حذفت المقدار الزائد من كتب المنطق والفلسفة اليونانية التي ضعفت الحاجة إليها في هذا العصر، وأعطت القرآن حقه من العناية فقررت دراسة متنه الشريف حرفا حرفا ، لغة ونحوا وأدبا واجتماعا وفقها وكلاما ، هذا ما عدا التفاسير المقررة في الصفوف العالية، وألزمت تدريس القرآن والحديث بالتدريج في سنيها التعليمية، .

ومن جهة أخرى بذل جهوده لإنشاء الكتاتيب على المستوى الشعبي الإسلامي ، وذلك لإنقاذ أولاد المسلمين من التسمم التربوي الذي كان يحقنهم به نظام التعليم العام المدعم بالثقافة الغربية. وقد قام بدوره في هذا الصدد رئيسًا للمجلس التعلميي الديني للولاية الشمالية - الجهة المشرفة على هذه النشاطات. فصارت هذه الكتاتيب سدا منيعا أمام التيارات الهدامة التي تقلع الناشئة.

ويأتي تأسيس المجمع الإسلامي العلمي بلكهنو في إطار الجهود والنشاطات القيادية التي تزعمها العلامة الندوي . وهذا المجمع قبس من نور ندوة العلماء ، يدعمها في تحقيق أهدافها وينشطها بمزيد من الجهود المستقلة التي تتمثل في إنتاج الأدب الإسلامي القوي وتأليف الكتب الإسلامية ذات الطابع العلمي والأسلوب العصري في اللغات العربية والإنجليزية والأردية والهندية. وإلى هذا المجمع يرجع الفضل في نشر كثير من مؤلفات الشيخ الندوي.

في مجال التأليف:

ترسم العلامة الندوي خطوات والده في التأليف، وازداد حماسة بفضل تشجيع شقيقه الدكتور السيد عبد العلي الحسني . ونراه يشيرإلى فضل أخيه بصدد تأليف كتابه ' المرتضى' الذي هو سيرة كاملة لعلي بن أبي طالب. وأبرز الملامح في معظم مؤلفاته حول التاريخ والدعوة والثقافة هو التغني بأمجاد الماضين ، إذ يري في سيرتهم متعة عقلية ولذة نفسية تروي غليل الجيل المعاصر ويزودهم بزاد التقوى والصلاح.

أهم مؤلفاته:

خلف العلامة الندوي للمكتبة الإسلامية والعربية ذخيرة علمية هائلة تمثلها مؤلفاته التي تربو على مائتين ، تتوزع على القضايا التاريخية والدعوية والمدنية والاجتماعية والسياسية، وتتضمن بيانا لرحلاته واطلاعاته. وهي في العربية والأردية ومنقولة منهما وإليهما. وتم ترجمة معظمها منها إلى اللغات الهندية المختلفة، كما تم نقل بعضها إلى اللغات العالمية كالفرنسية والإنجليزية والتركية. وقد استيقظت عليها نهضة الثقافة العربية في الهند. وأبرز أعماله:

أولا - في دراسات القرآن والحديث:

الأركان الأربعة في ضوء الكتاب والسنة - تأملات في القرآن الكريم - الصراع بين الإيمان والمادية - العقيدة والعبادة والسلوك - المدخل إلى دراسات الحديث -

النبوة والأنبياء في ضوء القرآن - تأملات في القرآن الكريم - المدخل إلى الدراسات القرآنية - دور الحديث في تكوين المناخ الإسلامي - رسالة التوحيد -

نظرات على الجامع الصحيح للإمام البخاري.

ثانيا - في الدراسات الثقافية والاجتماعية

الطريق إلى المدينة - العرب والإسلام - التربية الإسلامية الحرة - كيف ينظر المسلمون إلى الحجاز والجزيرة العربية - أحاديث صريحة في أمريكا - أمريكا وأوروبا وإسرائيل - المسلمون تجاه الحضارة الغربية - واقع العالم الإسلامي وما هو الطريق لمواجهته وإصلاحه.

ثالثا - في الدراسات الإسلامية المقارنة

الإسلام وأثره في الحضارة وفضله على الإنسانية - الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية - الطريق إلى السعادة والقيادة للدول والمجتمعات الإسلامية -

ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين - المد والجزر في تاريخ الإسلام - نفحات الإيمان بين صنعاء وعمان - إلى الإسلام من جديد - موقف العالم الإسلامي من الحضارة الغربية - القرن الخامس عشر الهجري في ضوء التاريخ والواقع - الإسلام والمستشرقون - عاصفة يواجهها العالم الإسلامي والعربي - غارة التتار على العالم الإسلامي وظهور معجزة الإسلام - بين الجباية والهداية - بين الصورة والحقيقة - بين نظرتين - الإسلام والغرب

رابعا: في أدب الدعوة:

ردة ولا أبا بكر لها - حكمة الدعوة وصفة الدعاة - إلى شاطئ النجاة - أزمة إيمان وأخلاق - إلى الإسلام من جديد - ترشيد الصحوة الإسلامية - روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة - أريد أن أتحدث إلى الإخوان - حاجة البشرية إلى معرفة صحيحة ومجتمع إسلامي - فضل البعثة المحمدية على الإنسانية - موقف المسلم إزاء أسلافه الجاهليين - محمد رسول الله صاحب المنة الكبرى على العالم - رسالة سيرة النبي الأمين إلى إنسان القرن العشرين - الدعوة الإسلامية في الهند وتطوراتها - الدعوة والدعاة - مسؤولية وتاريخ - دور الإسلام الإصلاحي - دور الجامعات الإسلامية في تربية العلماء وتكوين الدعاة.

خامسا - في الدراسات الأدبية:

روائع إقبال. - مختارات من أدب العرب - الإسلام والحكم - نظرات في الأدب - لقراءة الراشدة.

سادسا - في السيرة والتاريخ:

السيرة النبوية - المسلمون في الهند - إذا هبت ريح الإيمان - الداعية محمد إلياس الكاندهلوي - المرتضى وهو في سيرة علي بن أبي طالب - أضواء على الحركات والدعوات الدينية والإصلاحية - قصص النبيين - النبي الخاتم - دراسة للسيرة النبوية من خلال الأدعية المأثورة المروية - شخصيات وكتب أثرت حياتي - أحمد بن عرفان الشهيد - صلاح الدين الأيوبي - قصص من التاريخ الإسلامي - في مسيرة الحياة - رجال الفكر والدعوة في الإسلام - (خمسة مجلدات)

سابعا - في القضايا الإسلامية:

حديث مع الغرب ـ المسلمون وقضية فلسطين ـ قيمة الأمة الإسلامية بين الأمم ـ المسلمون ودورهم ـ الإسلام فوق القوميات والعصبيات ـ الإسلام في عالم متغير ـ الأمة الإسلامية ـ وحدتها ووسطيتها وآفاق المستقبل.

ثامنا ـ في النقد :

التفسير السياسي للإسلام في مرآة كتابات الأستاذ أبي الأعلى المودودي وسيد قطب ـ القادياني والقاديانية ـ الحضارة الغربية الوافدة وأثرها في الجيل ـ صورتان متضادتان عند أهل السنة والشيعة الإمامية ـ ربانية لا رهبانية

تاسعا ـ في أدب الرحلة:

أسبوعان في المغرب الأقصى ـ مذكرات سائح في الشرق العربي ـ من نهر كابل إلى نهر اليرموك.

إطلالة على مؤلفاته:

إن كل مؤلفات العلامة أبي الحسن علي الندوي تتسم بالأصالة الفكرية والجدية الموضوعية والأهمية العلمية. ومعظمها يتمشى مع روح العصر ومقتضيات المجتمع . وقد حلاها الكاتب بالشعور الديني الذي هو المحرك الحقيقي للقيم والأخلاق والدافع الدائم إلى التحمس والتفاني. وهذه المؤلفات كفيلة بإنشاء الجيل المثقف ذى الأخلاق الفاضلة المتسلح بالمروءة والفتوة والرجولة والتضحية والبطولة والكرامة والنزاهة. كما هو الأمر في كتابيه: قصص النبيين ، وقصص من التاريخ الإسلامي للأطفال، إذ وضعهما لتعليم الأطفال عقائد الإسلام الأساسية وغرس مكارم الأخلاق في نفوسهم وتحميس ميولهم إلى الأسوة الحسنة التي تزدان بها قصص المتقدمين من الأنبياء والصالحين. ويكفي عمله هذا شرفا وفضلا أن أشاد به العلماء الكبار من البلاد العربية مثل سيد قطب حيث يقول: ' ولقد قرأت الكثير من كتب الأطفال ـ بما في ذلك قصص الأنبياء عليهم السلام ـ وشاركت في تأليف مجموعة من القصص الديني للأطفال في مصر مأخوذة كذلك من القرآن الكريم ، ولكني أشهد في غير مجاملة ، أن السيد أبا الحسن في هذه القصة التي بين يدي ـ يريد بها قصة موسى في الجزء الثالث من الكتاب ـ جاء أكمل من هذا كله، وذلك بما احتوى عمله من توجيهات دقيقة وإيضاحات كاشفة لمرامي القصة وحوادثها ومواقفها، .

وكذلك اهتم الشيخ الندوي كثيرًا بالناحية اللغوية ، إذ تمكّن مؤلفاته الطالب من تعلّم العربية والوقوف على أساليب التعبير بكل سهولة، كما نرى ذلك في كتابه القراءة الراشدة الذي يحتوى على فوائد علمية وحوار لذيذ في صورة حكايات ممتعة تتخللها حقائق تاريخية. تتسرب إلى أذهان القراء تلقائيا وتخلق فيها حب الاستطلاع والشغف العلمي. وأما عمله 'مختارات من أدب العرب' فهو مجموعة قطع أدبية تمثل كل مراحل الأدب العربي منذ العصر القديم إلى العصر الحديث . وقد أثنى عليه الأستاذ الشيخ علي الطنطاوي قائلا:' إن كان الدليل على ذوق الأدب اختياره ، فحسب القراء أن يعلموا أننا عرضنا من أمد قريب كتب المختارات الأدبية لنتخير واحدًا منها نضعه بين أيدي تلاميذ الثانويات الشرعية في الشام وذهب كل واحد من أعضاء اللجنة، وكلهم من الأدباء ، يبحث ويفتش ، فعدنا جميعا وقد وجدنا أن أجود كتب المختارات المدرسية ، وأجمعها لفنون القول وألوان البيان 'مختارات أبي الحسن '. وفيما يلي استعراض أهم مؤلفاته:

رجال الفكر والدعوة في الإسلام:

هذا الكتاب من أبرز مؤلفات الشيخ أبي الحسن علي الندوي ، يتناول سير الأعلام الذين قادوا حركة الدعوة الإسلامية الإصلاحية والنهضة العلمية بيضاء ناصعة. وهو عمل موسوعي يرسم في خلاله الطريقة المثلى للدعوة والثقافة والتربية وصياغة العقلية الواعية . والكتاب جمع لمحاضراته القيمة التى ألقيت على مسامع الطلبة في جامعة دمشق بناءً على دعوة منها ، وكانت عشرة ثم أضيفت إليها خمس مقالات. والكتاب يتوزع في أجزاء وفصول كما يلى:

الجزء الأول:

يبحث فيه عن سيرة الحسن البصرى وخلفائه، كما يتكلم على حركة التدوين في الإسلام وتنظيم الحياة على الأسس الدينية. ثم يتطرق إلى حياة الإمام أحمد بن حنبل وأبى الحسن الأشعري ، ويليه بحث عن انحطاط علم الكلام وازدهار الفلسفة الباطنية. وقد خصص في هذا الجزء دراسة مستفيضة لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي ودوره في نقد الفلسفة ودحض أباطيل الدهريين والماديين ، بجانب دراسة وافية عن دوره مصلحا اجتماعيا . ويتناول الكتاب كذلك شخصية الشيخ عبد القادر الجيلاني والخدمات التي كرسها لتجديد معالم الدين والدعوة إلى الإسلام. ويليه دراسة عن مولانا جلال الدين الرومي الذي كان يمثل

بجهوده مفكرا ومبتكرا ومؤسسا لعلم كلام جديد. وهو الذي تغنى بعاطفة الحب التي تصل بين أفراد الإنسانية.

وأما الجزء الثاني فإنه يتناول شخصية الشيخ أحمد بن تيمية وتلاميذه ابن قيم الجوزية وابن عبد الهادي والحافظ بن رجب. والجزء الثالث خاص بالإمام السرهنذي مجدد الألف الثاني. كما أن الجزء الرابع خاص بشخصية الإمام شاه ولي الله الدهلوي.

والكتاب بأجزائه عرض مقطعي لمسيرة التطور الفكري والثقافي التي يمثل كل واحد من هؤلاء الأعلام ، بدءًا من القرن الأول وانتهاءً بالقرن الرابع عشر الهجري. ومؤخرا صدر عن المجمع الإسلامي العلمي بلكنهو الجزء الخامس من هذه السلسلة وموضوعه الإمام أحمد بن عرفان الشهيد ، قام بتأليفه الأستاذ محمد واضح رشيد الندوي مواصلة للخدمات العلمية التي بدأها العلامة الندوي ووفاء لصنيعه الجميل فى مسيرة التأليف.

وقد أشاد بجهود العلامة الندوي في هذا الصدد عدد من العلماء الكبار وفي طليعتهم الدكتور مصطفى السباعي ، عميد كلية الشريعة بجامعة دمشق السابق ،الذى كتب فى مقدمة محاضرات الجزء الأول ما يأتي :

' وهذا الكتاب الذى نقدمه لقراء العربية صورة واضحة لأفكار الأستاذ الندوي وميوله الإصلاحية ، ولفهمه العميق للتاريخ الإسلامي ولروح الإسلام الصافية المشرقة ، وما علق بها في العصور الأخيرة من غبار، وما أصابها من انحراف ، وبذلك يسد هذا الكتاب ثغرة في دراسة التاريخ الإسلامي، كنا وما نزال نشعر بالحاجة إليها، إذ يتحدث عن تاريخ الإصلاح فى حياة المسلمين السياسية والدينية والاجتماعية في فترات من تاريخ الإسلام في الماضي، كما يعرض لنا صورا واضحة لأبرز زعماء الإصلاح الإسلامي منذ العصر الأموي'

كما أشادت بعمله هذا السيدة مريم جميلة الكاتبة الممتازة حيث تقول:

' وأما كتابكم فهو كامل ومحتو على الموضوع مع رشاقة القلم وامتاع الأسلوب ، وخاصة بحثكم حول الهجوم التترى على العالم الإسلامي شيق وممتع جدا.' والكتاب بكل أجزائه ينطق بالذوق التاريخي الرفيع الذى اكتسبه المؤلف وقدرته الكتابية الواضحة للسير والتراجم بعيدا عن المحاباة والانحياز.

2- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين:

يعد هذا الكتاب من أعماله الرائعة ، فهو يعج بالأفكار البناءة والاتجاهات الوهاجة والعواطف الجياشة عن واقع العالم والمسلمين. وكان صدوره في مستهل حياته الفكرية ، إلا أنه يضم بين دفتيه أفكارا ناضجة قطوفها دانية، وهي أفكار عالم اطلع على أحوال العالم من شرقه إلى غربه وعرف شعوبه ومزايا حياتهم ، كما اطلع على صفحات التاريخ التي سجلت فيها قصص البطولات . وكان صدور هذا الكتاب حدثا كبيرا في الأوساط الدينية والثقافية في العالم العربي والإسلامي. وصار حديث المحافل والمجالس ، لأنه رج القراء رجا ، وكأنه ينفخ في الصور ، فأحيا نفوسا وأشعل أرواحا ، وأخذ الناس يقرؤونه مبهورين يخافون أن تنفد صفحات الكتاب. والمحور الأساسي لهذا الكتاب يلمح في النصالآتي:

' لم يكن انحطاط المسلمين أولا، وفشلهم وانعزالهم عن قيادة الأمم بعدها وانسحابهم من ميدان الحياة والعمل أخيرا، حادثا من نوع ما وقع وتكرر في التاريخ من انحطاط الشعوب والأمم، وانقراض الحكومات والدول وانكسار الملوك والفاتحين وانهزام الغواة المنتصرين ، وتقلص المدنيات والجزر السياسي بعد المد ، فما أكثر ما وقع مثل هذا في تاريخ كل أمة، وما أكثر أمثاله في تاريخ الإنسان العام، ولكن هذا الحادث كان غريبا لا مثيل له في التاريخ مع أن في التاريخ مثلا وأمثلة في كل حادث غريب' .

والكتاب من أوله إلى آخره نداء إلى المسلمين في العالم كله لاستعادة روحهم وثقتهم بأنفسهم والاستمساك بالقيم الدينية والحضارية والثقافية التي كان عليها الرعيل الأول من الأمة. وقد أنهى تأليفه عام 1945 ، وهي فترة زمنية شهدت تغيرات جذرية في مجال الفكر من جراء الانقلابات السياسية والدينية التى حدثت آنذاك، مما كان له أثر في اتجاهات الكاتب.

يكفى هذا الكتاب فضلا أن أثنى عليه العلماء المعاصرون مثل الدكتور محمد يوسف موسى أحد أساتذة الأزهر حيث يقول: أشهد لقد قرأت الكتاب حين ظهرت طبعته الأولى في أقل من يوم وأغرمت به غراما شديدا، حتى لقد كتبت فى آخر صفحة وقد فرغت منه :' إن قراءة هذا الكتاب فرض على كل مسلم يعمل لإعادة مجد الإسلام'.

بدأ الكاتب نقاشه مشيرا إلى الداهية الكبرى التي عمت العالم حين انحدر المسلمون، وهذه الداهية لم تحدث في عشية وضحاها ، وإنما تمت بالتدريج بحيث لم يفطن إلى خطورتها أحد، لأن المسلمين كانوا بمثابة الروح للجسم البشري بما حملوا رسالة الأنبياء

CUP 6567/08/1000/SDE-9

بصفة عامة والرسالة المحمدية بصفة خاصة. والمحرك الرئيس لهم لدفع عجلة الثقافة والإنسانية إلى الأمام ، هو الإيمان بالله الذي لا يضاهيه أي عقيدة أخرى. ثم يسرد أسماء الأبطال الذين كرسوا حياتهم لخدمة هذه الرسالة، وفي هذا الصدد نراه يقول:

' لقد صنع النبي صلى الله عليه وسلم من هؤلاء كتلة لم يشاهد التاريخ البشري أفضل منها، وهم كالحلقة المفرغة ، لا يدرى أين طرفاها، وسر نجاحهم أنهم لم يكونوا قادة وحكاما بغير أصول خلقية ، ولم يكونوا خدمة جنس وشعب يسعون لرفاهيته وحده كمستعمري الغرب، وقد علموا أن الإنسان جسم وروح، وعقل وقلب، وعواطف وجوارح، ولا بد أن تنمو هذه القوى على نحو مناسب' .

وقد خصص الكاتب فصلا للمقارنة بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية الحديثة. ويقول فيه إن حضارة الغرب ذات جذور ، وهي منبثقة من حضارة الإغريق والرومان ، وطابعها المادية التي هدفها الابتزاز والاستعمار وجلب خيرات الآخرين ، ولا يقيمون للقيم والأخلاق وزنا ، مما نتج عنه النعرات القومية في كل دولة ، زعما منهم أنهم أفضل من غيرهم. وكلمات الأستاذ الدكتور شكري فيصل ثناء عليه دليل على سعة نظره وعمق موضوعه، وهو يقول: شيء آخر يمتاز به المؤلف ويرتفع به إلى مصاف كبار المفكرين المسلمين ، وذلك هو نظرته الشاملة العالية إلى تطور الحياة الإنسانية، فإن الأبواب الخمسة التى كسر عليها الكتاب لتدل على هذا الأفق العالي الذى يجتذب التاريخ الإسلامي والتاريخ العام'.

وقد طبع الكتاب عدة طبعات ، نفدت كلها إثر إصداره مباشرة ، كما ترجم إلى عدد من اللغات العالمية مثل الإنجليزية والألمانية والفارسية. ومما لا شك فيه أن نداء الأستاذ أبي الحسن علي الندوي صادف آذانا صاغية وقلوبا واعية وفعل فى النفوس فعل السحر.

3- السيرة النبوية:

هذا الكتاب من أجود أعمال الندوي ، وهو يعد كتابا مرجعيا في السيرة النبوية . وقد كان للبيئة التي عاشها الندوي منذ نعومة أظفاره أثر كبير في غرس بذور الحب النبوي في نفسه ، فقد قرأ أفضل وأحسن ما كتب في السيرة حين كان شابا. وبدأ يكتب المقالات الأدبية والتاريخية مستوحيا ومستلهما ما قرأه ، كما هو الشأن في كتابه ' الطريق إلى المدينة'. والسيرة النبوية أحب الفنون إليه وهي على حد تعبيره غنية بجمالها وروعتها وسحرها لدى

النفوس والعقول ووقعها منها موقع القبول. وجل ما يحتاج إليه المؤلف هو جمال العرض وحسن الترتيب وجودة التلخيص'. ومرة سأله الأستاذ الدكتور محمد إجتباء الندوي: أي مؤلفاتكم أحب إلى جنابكم ، فقال : السيرة النبوية، والنبوة والأنبياء، والطريق إلى المدينة، والأركان الأربعة ، وماذا خسر العالم. وكل واحد من هذه الكتب فيه مسحة من السيرة العاطرة.

وجعل مواصفات خاصة لانتقاء مادة السيرة. وتتمثل هذه المواصفات فى اعتماده على المصادر الأولى من كتب السيرة والحديث ، ونراه كثير الرجوع إلى كتب الصحاح وسيرة ابن هشام وزاد المعاد لابن قيم الجوزية والسيرة النبوية لابن كثير. كما أنه يحاول التوفيق بين النصوص والإشارات القرآنية وبين ما جاء فى السيرة. ومن ناحية أخرى نراه يرد على المستشرقين مزاعمهم الباطلة ، متمشيا مع المقررات الدينية . ومن الجدير بالذكر أن 'السيرة النبوية' ما تركت صغيرًا ولا كبيرًا حدث فى حياة الرسول إلا حوته وذكرته. وفي هذا المجال جعل الندوي الحوادث والأحداث تنطق بلسانها كما هي، مما زاد عمله هذا أصالة وطرافة. وقد استفاد المؤلف في تأليف هذا الكتاب من مؤلفات العصور المختلفة ، فجاء الكتاب جامعا لما قدمته المصادر القديمة بأصالتها ، ولما ولدته الدراسات الحديثة بطرافتها. وقد راجع الكاتب من أجل هذا العمل أكثر من مائة وعشرين كتابا في تفسير القرآن وفي الحديث والسيرة وكتب التاريخ والتراجم والأخبار وتاريخ البلاد والأمم وكتب الشريعة الإسلامية والأديان والمذاهب وكتب الأدب والمحاضرات والموسوعات، وكتبا فى اللغات الإنجليزية والفرنسية البالغ عددها عشرين ، مما يدل على وفرة المادة العلمية لديه.

وأما الأسلوب فيمكن القول إنه راعى فيه مسايرة روح العصر الذى كان يعيشه، وركز اهتمامه على عرض وقائع السيرة بلغة سهلة واضحة وبأسلوب رشيق مؤثر فى النفوس، والتزم بتوثيق المعلومات فيما يتصل بالمصادر والمراجع. وراعى كذلك الترتيب الزمني للأحداث بحيث يشعر القارئ أنه يعايشها مع صاحب الرسالة عليه أفضل الصلاة والسلام. وقد اهتم كثيرًا بتصوير وتمثيل الظروف التى لها صلة بوقائع السيرة، وأشار إلى أرضيتها وأعرافها الشائعة.

ومما يلفت النظر في هذا الكتاب أن الشيخ الندوي نجح في الجمع بين الجانب العلمي والتربوي والبلاغي مما جعل تأليفه ينبض بالحيوية . كما جمع بين العقل والعاطفة، يلمح فيه

مشاركته الوجدانية والانفعالية كلما مر بالأحداث. كما أن أسلوبه يتميز بمخاطبته الناس كافة ، والرسول مرسل من ربه رحمة للعالمين ، وهناك تتجلى عالمية السيرة والرسالة المحمدية. وهو يشير إلى هذه الحقيقة فيقول: ' ليس حق غير المسلمين على هذه السيرة وحظهم فيها أقل من حق المسلمين الذين نشأوا في ظلال الإيمان والإسلام، والدواء حاجة المريض أكثر من حاجة السليم، والقنطرة يحتاج إليها من يعيش وراء النهر أكثر مما يحتاج إليها من يعيش دونه.'

وقد طبع الكتاب أول مرة عام 1977 ، ثم أعيد طبعه مرات. وترجم إلى اللغة الأوردية والإنجليزية وغيرهما من اللغات، ونال قبولا حسنا في الأوساط العلمية والأكاديمية

المناصب التي تولاها:

لم يكتف العلامة الندوي بتقديم خدماته في مجال التدريس والتصنيف ، بل تقلد مع ذلك عدة مناصب ، وظل يتدرج فيها حتى أخر حياته، في تأسيس المؤسسات والمجالس العلمية والأكاديمية وإداراتها داخل الهند وخارجها. وشغل مناصب: أمين ندوة العلماء العام ورئيس دار العلوم التابعة لها، وعضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، وعضو المجلس الأعلى العالمي للدعوة الإسلامية بالقاهرة، ورئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية، ورئيس المجمع الإسلامي العلمي في لكنهو ،ورئيس أكاديمية شبلي النعماني في أعظم كره ، ورئيس هيئة التعليم الديني للولاية الشمالية بالهند، ورئيس هيئة الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند، ورئيس دار مجمع المصنفين بأعظم كره الهند، ورئيس مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية في بريطانيا، وعضو المجلس الاستشارى لدار العلوم ديوبند، وعضو رابطة الجامعات الإسلامية بالرباط. عضو المجلس الاستشاري الأعلى للجامعة الإسلامية العالمية بإسلاماباد ، وعضو مجمع اللغة العربية في دمشق ، وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وعضو مجمع اللغة العربية الأردني، وعضو المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية 'مؤسسة آل البيت' بالأردن.

وبجانب هذا عمل مستشارا لقسم العلوم الدينية بجامعة عليكره الإسلامية ورئيسا لمؤسسة البحوث والدراسات في بلجيكا ، كما تقلد العضوية في المؤسسة الوطنية للترجمة والبحوث والدراسات في قرطاج بتونس وفى أكاديمية البحث عن الحضارة الإسلامية في

عمان بالأردن. وله دور فعال في تأسيس مجلس المشاورة بوصفه منبرا عاما لتوحيد صفوف المسلمين في الهند.

الاعتراف والتقدير

قد كانت شخصية العلامة الندوي محط اهتمام العلماء العرب وتقديرهم . وقدنال جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام 1980 وفى عام 1999 فاز بجائزة الشخصية الإسلامية الأولى لعام 1419هـ في دبي. وفي عام 1420هـ نال جائزة سلطان برونائي من مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية. وأثمن من هذا ما عبر عنه المفكرون الكبار من انطباعاتهم عن شخصيته ومدى تأثرهم بأفكاره وكتاباته، وهي شهادة صدق أدلوا بها عن تجربة وشعور صادقين ومن ذلك ما يقول الدكتور عبد القدوس أبو صالح: تبكي الأمهات والآباء فلذات أكبادهم لما أودع الله في قلوبهم من حب وحنان ، ويبكي الناس عظماء الأمة، من حاكم عادل في حكمه أو عالم متفوق في مجاله ، أو تقي يشهد له الناس بالتقوى، ولكن قلما يكون في الأمة رجال مثل أبي الحسن ، يجمعون بين محبة الناس وتقدير الحكام وبين التفوق في شتى المجالات فهو الفقيه المتمكن والداعية المتفرد والمربى الجليل والمفكر الأمين والخطيب المفوه والأديب الذواقة.

وأما ما قاله عنه الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي فإنه هو الآخر دليلا على علو كعبه في العلوم والمعارف وما يتعلق بأمور الدعوة والتربية وهو يقول: " هو شخصية ثرية متعددة المواهب، متنوعة العطاء ، فهو إمام من أئمة الدعوة وعلم من أعلام الإصلاح، ونجم من نجوم الهداية، وجبل من جبال العلم ، ورائد من رواد الربانية ، وقائد من قادة الإسلام. كان أحد الرجال الربانيين الذين يدلك على الله منطقهم ويذكرك بالآخرة سلوكهم ويزهدك في الدنيا حالهم، وهو بطبيعته رجل معتدل في تفكيره ، وفى سلوكه وفى حياته كلها، فهو قديم جديد وهو تراثي وعصري وهو سلفي وصوفي في لين الحرير وصلابة الحديد "

كما يعبر الدكتور محمد رجب البيومي عن إعجابه به حيث يقول: كان أشد ما يلفتني في سيرة أبي الحسن أنه أشرق في محيط العالم الإسلامي بدرا متكاملا، فعهدنا بصاحب الفكرة وعاشق البحث أن يتتبع سنة التطور فيبدو ناشئا صغيرا ثم تمر به الأعوام حتى يكتمل نضوجه ، كما يبدو البدر في أول الشهر هلالا، ثم يسير نحو الكمال، حتى يكتمل إشراقه في

CUP 9567/08/1000/SDE-10

الليلة الرابعة عشرة، ولكن أبا الحسن أصدر كتابه باللغة العربية ' ما ذا خسر العالم ' في مطلع حياته.

وقد أسدل الستار على حياته الحافلة بالجهود المضنية والعطاء المتواصل يوم الجمعة ، الثالث والعشرين من رمضان عام 1420 هـ /1999م . في قرية رائي بريلي . ولبى نداء ربه وهو في قراءة سورة الكهف استعدادًا لصلاة الجمعة. وكان هذا العام عام حزن للعالم الإسلامي ، لأنه ودع ، بجانب العلامة الندوي ، أربعة من العلماء الأعلام هم : الشيخ عبد العزيز بن باز، وأديب الفقهاء وفقيه الأدباء العلامة علي الطنطاوي ، والفقيه الكبير المجدد مصطفى الزرقاء ، والمحدث الكبير الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى. وبوفاته فقد العالم العربي والإسلامي مفكرًا إسلاميا وزعيما دينيا وقائدا ثقافيا ورائدا من رواد الأدب.

التعريف بالمؤلفات العربية لعلماء الهند

1 - سبحة المرجان في آثار هندوستان:

هذا أشهر مؤلفات السيد غلام علي آزاد البلكرامي . ألفه سنة 1177هـ، وهو كتاب يدور حول الهند وما في الهند، ويتناول فيه مزاياها وفضائلها ، ويثبت وجهة نظره بالآيات والأحاديث النبوية . ويقول في فضيلة الهند: إن آدم هبط من الجنة إلى سيلان التي تعد إذ ذاك في أرض الهند. ويقسم هذا الكتاب إلى أربعة فصول. وفى الفصل الأول يبحث الكاتب عن ذكر الهند فيما جاء في التفسير والحديث. والفصل الثاني في تراجم علماء الهند وتصانيفهم في النثر والشعر ويذكر فيه ما يختصون به من العلوم والفنون، حيث يستعرض دراسة ثلاث وأربعين شخصية من الأعلام الهنود البارزين الذين فاقوا ونبغوا في الفنون المختلفة. والفصل الثالث في محسنات الكلام وتعريب ما نقل عن الهنود من الآداب والحكم والأشعار ، وفيه خمس مقالات . المقالة الأولى في المحسّنات التي نقلها عن الهندية إلى العربية.

ويرى غلام علي أن جميع الأمم أخذت عن الهند كثيرا من الفنون ، ولكن الموسيقا لم يأخذها عنهم أحد. ويبرهن على ذلك بتجربته الواسعة في اللغة العربية والفارسية والألسنة الأخرى من ألسنة الهند. ويقول إن للهنود لغة اسمها سنسكرت وهي التي فيها دونوا علومهم . ولهم أربعة كتب سماوية على زعمهم ، وهي مشتملة على المواعظ والأحكام والأخبار التي مضى على نزولها مائة ألف سنة.. ونظموا في علم التنجيم أربعمائة ألف أشلوك. والأشلوك في السيسكريتية يشبه المنظومة في العربية .. والبحور العربية والفارسية والهندية يختلف بعضها عن بعض. و القليل منها متشابه، كالمتقارب وركض الخيل والسريع، فإنها جاءت في الألسنة الثلاثة. وفى الهندية بناء كل مصراع في المتقارب على ثمانية أجزاء.

ومن الأوزان الهندية وزن تجيء قافيته في وسط المصراع وهو مع هذا مطبوع. ولعل مثل هذه القافية ليست في الألسنة الأخرى ، والاعتدال بين المصراعين في الأشعار الفارسية والهندية غالب بخلاف العرب. ومن ابتكاراته في الشعر العربي أنه أتى بالحاجب ، وهو عبارة عن الحاجب بين القافيتين مثل قوله :

نار الزناد مذيبة فـــــولاذا نار الوداد مذ يبـــــــة أفـلاذا

والعرب لا يجعلون الواو والياء رويا بخلاف الفرس والهنود ، وصاحبنا نظم قصيدة وجعل رويها واوا ومطلعها:

متى سلمى من الجلباب تبـــــدو ومقلتها إلى المشتاق ترنـــــو

ويقول عن مهارة أهل الهند في الفنون :' ثم إن قدماءهم الذين كانوا قبل زمان الإسلام استخرجوا من الكلام بدائع وافية ، منها مشتركة بينهم وبين العرب، كالتورية وحسن التعليل وتجاهل العارف والمراجعة والاستعارة والتشبيه والجناس والسجع وغيرها. وأنا قصدت أن أنقل القسم الأخير عن الهندية إلى العربية فرأيت بعضها لا يقبل النقل لخصوصيته بلسان الهند ، وبعضها يقبل النقل فنقلت عنها نبذة وجدتها فائقة وألحقت بفن الأدب جملة رائقة ، وأرجو من العرب العرباء أن يستحسنوا مخترعات الأهاند ، كما استحسنوا الأسياف الهندية بين الفراند . ولما شمرت ذيل الجهد في هذه الميادين وعمدت على استخراج الأمثلة عن المجاميع والدواوين سنحت لي نبذة من الأنواع وظفرت بأقراط ثمينة للأسماع فاخترت من الأنواع الهندية ثلاثا وعشرين وسميتها في العربية بأسماء مناسبة' . ثم يقول: وأوردت نوعا من مستخرجات الأمير خسرو الدهلوي.

والفصل الرابع من هذا الكتاب في المعشوقات والعشاق وأسرار النسوان ، وفيه خمس مقالات . المقالة الأولى في بيان الغزلان والمقالة الثانية في أقسام الغزلان التي هي من مخترعات المؤلف ، والمقالة الثالثة في القصيدة الغزلانية ومطلعها :

رأت الحياء طلاوة الإيمـــان حسناء لم ير ظلها القمـــران

وفى المقالة الأولى في بيان الغزلان هو يسرد قول النبي صلى الله عليه وسلم " حبب إلي من الدنيا الطيب والنساء " . وبعد ذكر فضائل الطيب ونصيب الهند فيه يذكر النساء ورأي الهنود فيها، ويتناول بالبحث أقسام النساء من مستخرجات العرب والهنود. والأهاند يذكرون العشق في تغزلاتهم من جانب المرأة ويسرد بعض الأبيات في العشق ومنها:

قالوا أحبَّ حبيبا ليس عاينه فكيف حلّ به للسقـــم تأثيـــرُ

فقلت قد يعمل المعنى بقوته في ظاهر اللفظ رفعا وهو مستور

ويحكى بهذا الصدد أشعار الشيخ فتح الدين :

محبة ما عرفت الدهر سلوتـها تسري إلى النفس أو تجري مع النفَس

ومالها آخـــر لكن أولـــها تعارف سابق في حضرة القـــدس

أشهى إلى القلب من أمن على وجل ومن لذيذ الكرى في أعين النعـــس

وفى المقالة الثالثة في القصيدة الغزلانية يسرد أنواعا كثيرة من المعشوقات ويأتى في كل منهن بأشعاره. ومن أقسام المعشوقات التي هي من اختراعه: الصالحة والمختفية والمستترة والسوقية والمترقية في الحسن وغير المتزينة والخبيرة والمتوسطة وغيرها من سبعة وعشرين قسما من المعشوقات. وفى المقالة الرابعة في وصف العشاق يقول إنه استخرج للعشاق أقساما على أسلوب العرب بعضها مقابل أقسام النساء، كالطارق والفاطن والغيور والعائد وأكثرها لا مقابل له فيها ويقول :

مراتب العشق والعشاق وافـرة وواقف دونها حصر المقادير

ثم يأتي بتسعة وعشرين قسما من أقسام هؤلاء العشاق مع سرد الأبيات في كل قسم وبيان مميزاتهم . والمقالة الخامسة وهي الأخيرة في القصيدة الهيمانية ومطلعها :

لله تقوى العاشق الولهـــــان ما هم قطّ بهصر غصن البان ونظم آزاد نظما يؤرخ فيه لكتابه يقول فيه :

هي أسطر تربي على الريحان لا بل ظلال من عصون البـــان

حررت تاريخى وقلت مؤرخا تعلو البصيرة سبحة المرجـــا ن

في المصراع الأخير يذكر تاريخ تصنيف الكتاب في سنة 1177هـ.

2- حجة الله البالغـة

وهذا الكتاب من الأعمال الرائعة التي قام به الشيخ الدهلوي، وعمدة جميع ما صنف بعده في علم أسرار الشريعة، وقد ذاع صيته في الآفاق وسار به الركبان . وتأتي تسميته من قول الله : 'فلله الحجة البالغة' وهو يبين الظروف التي ألحته على تأليفه قائلا: " إننا في زمان الجهل والعصبية واتباع الهوى وإعجاب كل امرئ بآرائه الرديئة ، وإن المعاصرة هي المنافرة وإن من صنف وقد استهدف."

وقد استقى المعاني التي يشتمل عليها الكتاب من القرآن والحديث وأقوال الصحابة والتابعين وكتب المتقدمين ، ثم من فهمه وابتكاراته والفيوضات التي ألهمه الله إياها . والكتاب يشتمل على قسمين ، ففي القسم الأول بين الإمام الدهلوي الأصول التي توارد عليها الأمم ، وهي تنقسم إلى سبعة مباحث وفي كل مبحث عدة أبواب ، وقد تناول الإمام الدهلوي كل مسألة بإيضاح وتبيان.

وفي القسم الثاني بين في ضوء تلك الأصول أسرار الأحاديث واستدل بالآيات وأقوال الصحابة وتحقيقات قدمها المتقدمون من أبواب الإيمان والعلم والطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والإحسان والمعاملات وتدبير المنازل وسياسة المدن وآداب المعيشة وغيرها ، ومنهجه في هذا الكتاب هو البحث عن الحكمة العملية والعلمية في الأحكام. يقول عن أهمية هذا الجانب في كتابه " الجزء اللطيف " إن إصلاح هذه الدورة يعني العصر - يكمن في استخدام الحكمة العملية والحكمة العملية هو علم يبحث عن حقائق الأشياء الموجودة في الأعيان على ما هي عليه في نفس الأمر من حيث أنه يؤدي إلى إصلاح المعاش والمعاد وهو على ثلاثة أقسام ، إما علم بمصالح شخص بانفراده ويسمى تهذيب الأخلاق، وإما علم بمصالح جماعة مشاركة في المنزل ويسمى تدبير المنزل وإما علم بمصالح جماعة مشتركة في المدينة ويسمى السياسة المدنية.

ولم يتطرق إلى هذا العلم أحد قبله بهذا التبحر والدقة، هو الذي سبر أغواره والتقط كنوزه وقد قام من قبله الإمام الغزالي في الإحياء والإمام عز الدين بن عبد السلام في القواعد الكبرى بقدر ما توفرت لهما من الإمكانات وما حصلا من العلوم والتجارب ، ولكنهما لم يبلغا مبلغ الدهلوي في هذا الكتاب ، لأن الإمام الغزالي لجأ إلى الفلسفة اليونانية لابتكار حقائق الدين وأسرار الشريعة ، وقد أوضح خطأه في هذا المجال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .

ويتضح لنا أن الله اختص لهذا العمل الجليل الإمام ولي الله الدهولي ، وأودع فيه مؤهلات هائلة وكفايات كثيرة لتحقيقه وكشف أسرار الدين وإدراك كنه الحديث واستجلاء روحه.

خصائص هذا الكتاب:

يقول الشيخ ولي الله عن سعادته النفسية التي كان يشعر بها من وراء تأليف هذا الكتابر : " ومن أعظم ما أكرم الله به هذا العاجز أنه وهبني الخلعة الفاتحية وجعلني فاتحا لهذه الدورة الأخيرة وأرشدني إلى الجمع بين المذاهب الفقهية المختارة وتأسيس فقه السنة من جديد ولم يستطع أحد غير هذا العاجز أن يأتي مثل ما أتى به من دراسات قيمة تكشف عن أسرار الأحاديث الشريفة ومصالح الأحكام الشرعية وكل ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلمه. وإن علم أسرار الدين والمصالح الشرعية لعلم قائم بالذات' .

وقد انهمك الإمام الدهلوي في مطالعة كتب الإمام ابن تيمية وابن القيم وابن العربي والغزالي ، فمن الطبيعي أن ينعكس أثر هؤلاء النابغين ليس فقط على أفكاره الدينية ، بل على أسلوبه في الكتابة أيضا ، فيتبين أنه سبر أغوار هذه اللغة وأدرك كنهها. فأي موضوع يختاره يوفي حقه ويفيض الكلام بأسلوب متين ساذج خال من التكلف والتصنع ، ويتمسك بهذا الأسلوب إلى نهاية المطاف ، كما أنه يحتاط غاية الحيطة في اختيار الألفاظ والكلمات للتعبير عن الأفكار والمعاني التي تتدفق في خاطره وتنبثق من أعماق ضميره النابضة بالحيوية والجدية. ويلتزم دائما بتجنب الألفاظ الغريبة والتعبيرات غير المألوفة لكي يسيغ فهمها. ومن ميزاته أنه لا يطيل الكلام حيث يسأم القارئ ولا يقصره تقصيرا ، بل يتحرى التوسط والاتزان والاعتدال ، ولم يأخذ القلم لإظهار براعته الإبداعية ليدهش الناس بقوة بيانه وفصاحة بلاغته. بل الغاية القصوى لديه هي تنوير الأذهان والقلوب بأضواء كلام الله وسنة رسوله . وهو يقول في هذا الصدد :

" اعلم أن التنطع والتشدق والتقعر في الكلام والإكثار من الشعر والمزاح وتزجية الوقت ونحوها إحدى المسليات التي تشغل عن الدين والدنيا وما يتبع به التفاخر والمراءاة ، فكان حالها كحال عادات العجم ، فكرهها النبى صلى الله عليه وسلم ، وبين ما في ذلك من الآفات. ورخص فيما لا يتحقق فيه معنى الكراهية ، وإن اشتبه بادئ الرأي. وقال الرسول : " الحياء والعي شعبتان من الإيمان، والبذاء والبيان شعبتان من النفاق ". الاختصار والإيجاز في الكلام والجامعية والشمول في البيان هي الميزة الخاصة للأدب والإنشاء . فقد اتخذ الإمام الدهلوي هذا الأسلوب الذي اختاره النبي صلى الله عليه وسلم في جوامع كلمه ، والإمام الدهلوي في كتاب حجة الله البالغة شرح الشريعة السمحة شرحا وافيا معللا أحكام الشرع ومصالحها بالإيجاز والاختصار في أسلوب رزين متين ، وبالرغم من هذا الاختصار لا يرى فيه أي خلل في فصاحة الكلام وبلاغة البيان ، بل يتسم هذا الأسلوب بكل الترابط والاتزان ، ويختار الكلمات المناسبة لإظهار المعاني حتى لا تنفر الأسماع بل تثير الإعجاب بالموضوع الذي يعالجه.

وهذا الأسلوب عند الإمام الدهلوي الذي يتسم بقوة البيان وفصاحة الإبداع يصل إلى ذروة الكمال قياسا إلى الفترة التاريخية الواهنة التي عاشها. وهذا سر ما قاله العلامة السيد سليمان الندوي ، وهو يقرّ للدهلوي بمكانته العلمية قائلا أنه لم يكد يشعر أحد حتى بعد

قراءة آلاف الصفحات من تصانيف الإمام ولي الله الدهلوي أنه من نتاج القرن الثاني عشر. عصر الإرباك والاضطراب والقلق والحرج. وقد أعاد إلى اللغة العربية بأعماله التأليفية رواءها ورونقها وصفاءها ونقاءها بعد أن تكبدت الخسائر على أيدي المتلاعبين والعابثين.

أفكاره في الإصلاح الاجتماعي والحضاري:

في علم الاجتماع يعتبر مبحث الارتفاقات إحدى مآثره الفكرية الفذة ، ولعله أول من تطرق إليه بهذه الطريقة الرائعة بعد العلامة ابن خلدون واضع علم الاجتماع . الإنسان مدني بالطبع يحتاج إلى بعض المقومات الاجتماعية والمستلزمات الاقتصادية والأمور السياسية التي يسميها الإمام الدهلوي بالارتفاقات ويقسمها إلى أربع مراحل : وفي الارتفاق الأول يبين أن أفراد الإنسان يشبعون حاجاتهم الاساسية - المأكل والملبس والمشرب - بملكاتهم وصفاتهم الطبيعية ، فيهيئون لأنفسهم الغذاء بالفلاحة أو بالحيوانات ويستوفون بهما أيضا حاجة المسكن ، وبإشباع الرغبة الحسية يهيئون تلك الأسباب التي تعمل على بقاء النسل والدفاع عن الآخرين . وفي هذه الحالة يشعرون بضرورة القيام بالمعروف والصنيع الطيب لغيرهم ، فيقومون بما ينفع الناس ويجديهم ويحاولون تصفية الأخلاق وتهذيب النفوس لينالوا الشرف والكرامة ويواصلون البحث عما هو الأفضل والأحسن بحكم شعورهم بالجمال ، وتوجد فيهم قابلية التقليد والإيجاد التي تؤدي إلى بناء السياسة المدنية وإن التقليد يحدث بينهم الوئام الاجتماعي فيساهم كل من العقلاء في تكوين المجتمع متحضرا ومتمدنا .

وفى الارتفاق الثاني يقومون بإجراء التجارب العملية على ما توصلوا إليه من النتائج النظرية في الارتفاق الأول لترتفع نسبة الانتفاع وتنخفض نسبة الخسارة وتصاغ آداب المجتمع والحضارة الإنسانية ومقاييسها مع العمل الدائم على تحسين هذه الآداب والمقاييس ، وتوضح في هذه المرحلة أصول الحرام والحلال والرداءة والجودة وقواعد النظافة والنجابة . ثم يمارسون هذه الأصول والقواعد بإخراجها إلى حيز العمل ويشعرون بالطهارة والنظافة الجسمانية وتسمى هذه المرحلة بالتدبير المنزلى ، ويمارس الإنسان في هذه المرحلة آداب الحقوق والواجبات المتعلقة بأعضاء الأسرة من الأبوين والأولاد والزوجين والمالك والمملوك والملكية والمملوكية وتراعى حقوق الرفقة والعشرة وتبادل القضايا والتعامل معا في أمور ذات اهتمام مشترك.

ثم تأتي مرحلة الارتفاق الثالث وهي مرحلة الحضارة المدنية أو السياسة المدنية وتقوم فيها العلاقات بين أهالى المدن المختلفة، وإن مراعاة المصالح المشتركة توبد فيهم الشعور بالقومية والوطنية ، وفي الارتفاق الرابع يدخل المجتمع الإنساني في مرحلة العلاقات الدولية على أسس الروابط النافعة وهي مرحلة النظام العالمي أو الحضارة العالمية.

قيمته العلمية:

وهناك كتب قليلة ألفت بعد الإمام ولي الله الدهلوي ، وكلها عالة على حجة الله البالغة . منها كتاب " الدين الخالص " للأمير السيد صديق حسن خان البوفالي وكتاب " الأركان الأربعة " للعلامة الشيخ أبي الحسن علي الندوي . ومما يمتاز به هذا الكتاب عن غيره طبيعة معالجة الموضوع ، فموضوعاته مبتكرة وأسلوبه شيق وعباراته واضحة في عربية ناصعة ، برغم أنه لم يكن من العرب ، ونهوض الإمام الدهلوي يدل على عبقريته التي من الله بها عليه والفيوضات التي ألهمه إياها. ولقد شهد التاريخ على نبوغه ونبله في كل مؤلفاته بحيث يبقى رمزًا لتغيير مجرى التاريخ وتوجيه الشعوب والأمم إلى ما يصلح به شأنها ، مما جعله علمًا للدعوة الإسلامية في الهند في الألف الثاني للهجرة.

ثناء العلماء على هذا الكتاب:

قال العلامة أبو الحسن علي الندوي رحمه الله : ' إن الإمام الدهلوي هو المصنف الأول من المصنفين الهنود الذي نجد في تصانيفه ، وبالأخص حجة الله البالغة ، السلامة والسلاسة وقدرة البيان وعذوبة اللسان مثل أهل اللغة ، وعربيته تضاهي عربية أدباء العرب فلا ترى فيها الأسقاط والأسقام التي توجد في غالب الأحيان في كتابات علماء العجم'.

ويقول أيضا وهو يثني الثناء العاطر على كتابه ويعدّد فضائله قائلا : " هذا الكتاب فريد وحيد من حيث الموضوع والمحتوى ، واللغة العربية قاصرة عن أن تأتي بمثله ، فهذا الكتاب عمدة وأنموذج ناجح من حيث العربية وقوة البيان وسلامة اللسان ".

ويقول الشيخ مناظر أحسن الكيلاني عن أسلوب الإمام الدهلوي ما نصه : كل ما كتب الإمام الدهلوي في اللغة العربية قد التزم فيه نوعا خاصا من الأدب والإنشاء الذي اختاره الإمام الدهلوي لا يوجد له نظير ليس بين المصنفين الهنود فحسب ، بل لم يملك هذا الأسلوب الفريد في حدود معرفة المؤلف العلماء والمحينفون في أي منطقة من المناطق الإسلامية ، من بدء الإسلام إلى العصر الراهن . وقد صح أن يقال إنه أول من سلك في عباراته مسلك

CUP 6567/08/1000/SDE-II

جوامع كلم النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم ، فكأنه يحاول كل المحاولة أن يختار نفس اللغات والمحاورات التي تطابق لسان النبوة والرسالة لإظهار خواطره وخوالج نفسه . وقد وهبه الله موهبة عظيمة في هذا الصدد ".

3 - تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين:

وهو أول كتاب ألف في تاريخ كيرالا بيد واحد من أبنائها ، كتاب اشتهر به مؤلفه الشيخ زين الدين بن محمد الغزالي وذاع صيته في الآفاق . وقد عاش المؤلف وملیبار ترزح تحت وطأة الاحتلال البرتغالي . وكان شاهد عين لتلك الأحداث الأليمة التي عاناها أهل ملیبار من ظلم وجور وتشريد وهتك أعراض وإتلاف أموال وما إلى ذلك من المعاناة النفسية والمالية. فسجلها في كتاب تحفة المجاهدين بكل دقة وأمانة حتى صار الكتاب مرجعًا رئيسا موثوقا به لتلك الحقبة الزمنية في تاريخ كيرالا بصفة خاصة وتاريخ الهند بصفة عامة.

وهذه الأحداث التي ظلت تؤرق المجتمع الإسلامي بديار ملیبار زهاء تسعين سنة زادت من حمية الشيخ زين الدين وحماسته . وتأليف هذا الكتاب يأتي نداءً إلى الأمة - حكامها وشعوبها - يحثهم على الانتفاضة الشعبية ضد الطغاة . وقد اتصل في هذا الصدد بالسلاطين المسلمين في الهند وخارجها وراسلهم ليساندوا المسلمين المضطهدين في ملیبار ولينصرّوا حاكمهم الساموتري ، وأشعل مجامر القلوب بالشعلة الإيمانية وأبي التسليم والهوان أمام العدو الغاشم ، وذكّر المسلمين بما أعد الله لهم من الجزاء المقيم، وحذرهم من المآل المهين إذا لم يقوموا بواجبهم ويتحركوا ضد الطغاة ، جهادًا في سبيل الله وإنقاذا للمستضعفين من الرجال والولدان. وقد قدم الشيخ زين الدين هذا الكتاب تحفة رائعة للسلطان علي عادل شاه حاكم مملكة بيجافور في جنوبي الهند (1580-1558م) ، طلبا منه أن يساعد المسلمين في دفاعهم عن الأرض والعرض ، ويقول في مقدمة كتابه: "وسميته تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين... وجعلتها تحفة لحضرة أفخر السلاطين وأكرم الخواقين الذي جعل جهاد الكفرة قرة عينيه وإعلاء كلمة الله بالغزو قرط أذنيه، وأرصد نفسه الشريفة لنصر أهل الله ، وهمته العلية لتدمير أعداء الله، محيي دين الله ماحي الكفر والضلال عن بلاد الله الذي صيّر محبة العلماء والصلحاء نصب عينيه ، وإغاثة الكرباء

والضعفاء سطح نظره، مالك أزمة المعالي حسنة الأيام والليالي ، الفائز مع حداثة سنه بالسعادة الأبدية ، والحائز مع كثرة حساده على المفاخر السرمدية، الذي طبق أرجاء الوجود مسير مكارم أياديه وعبق نواحيه ، شذا نفحات ذكر محاسنه، ودانت لهيبته رقاب الأعاظم ، وذلت لعزيز صولته كرام الأعارب والأعاجم ، والكريم الذي أمطرت سحائب كفه على فضلاء البلاد البعيدة، الكريم الذي أسنى حلمه حلم الحكماء المتقدمة ، صاحب النصر والفتوح، والعمل الخالص النصوح .... السلطان الأعظم والمظفر الأوّاه ، السلطان علي عادل شاه ، رفع الله به قواعد الدين وشيدها وقمع بأسه أولياء الطغيان وأباد فرقتهم وفرقها وملكه بساط الأرض شرقا وغربا ، وسلطه برًا وبحرًا وعجمًا وعربًا ، وهو الإمام الذي شهد بمكارمه الخافقان ، ورغب في خدمته الثقلان'.

والمؤلف يسجل في كتابه تلك الأحداث التي جرت على مسمع منه بدءًا من 904 حتى سنة 991 هـ ، وهذه الفترة الزمنية صاخبة بالأحداث الجسام . وكتاب ' تحريض أهل الإيمان على جهاد عبدة الصلبان' للشيخ زين الدين المخدوم الكبير جد صاحبنا، كان هو الآخر يسجل أهوال هذه الفترة، ولنقتبس هنا نماذج من تحفة المجاهدين للاطلاع على تفاقم الأحداث والويلات التي قام بها البرتغال في ديار كيرالا، يقول: ' فظلموهم وأفسدُوا فيهم وفعلوا فعائل قبيحة شنيعة لا تحصَى، من ضربهم والاستهزاء بهم والضحك عليهم إذا مروا بهم استخفافًا، وجعلهم ومراكبهم في محال الماء والوحل ، والبصق في وجوههم وأبدانهم وتعطيل أسفارهم ، خصوصا سفر الحج ونهبِ أموالهم وإحراق بلادهم ومساجدهم وأخذ مراكبهم ووطء المصاحفِ والكتب بأرجلهم وإحراقها بالنار ، وهتك حرمات المساجد، وتحريضهم على قبول الردة والسجود لصليبهم وعرض الأموال على ذلك، وتزيين نسوانهم بالحلي والثياب النفيسة لتفتين نسوان المسلمين وقتل الحاج وسائر المسلمين وساموهم أنواع العذاب، وسب رسول الله جهارًا.... ثم إن بغيتهم العظمى وهمتهم الكبرى قديما وحديثا تغيير دين المسلمين وإدخالهم في النصرانية'.

وقد قسم المؤلف الكتاب إلى أربعة أقسام : القسم الأول في بعض أحكام الجهاد وثوابه والتحريض عليه ، والقسم الثاني في بدء ظهور الإسلام في ديار مليبار ، والقسم الثالث نبذة يسيرة عن عادات كفرة مليبار ، والقسم الرابع في وصول الإفرنج إلى بلاد مليبار وبعض

أعمالهم الفاضحة وفيه أربعة عشر فصلا. انتشر لهذا الكتاب عدة نسخ خطية في جميع أرجاء البلاد رغم أن السلطات الاستعمارية حكمت بمصادرتها . طبع أولا باللغة العربية في لشبونة عام 1898 بعناية جمعية لشبونة الجغرافية بمناسبة احتفال السنة الأربعمائة لاكتشاف بلاد الهند ، وقد نقله إلى اللغة الإنجليزية المستشرق الإنجليزي Rowlandson، وطبعه مع ترجمة إنجليزية ليدن عام 1832 .

ونشره المستشرق البرتغالي David Copes (1867-1942) ، متنا وترجمة في الأسبانية مع مقدمة وحاشية في 331 صفحة، كما نقله إلى الإنجليزية الأستاذ محمد حسين نينار رئيس قسم اللغة العربية بجامعة مدراس سابقا. ويشتمل ' تاريخ فرشته ' على خلاصة تحفة المجاهدين ، ونقله إلى الأردية شمس الله القادري وظهر له عدة ترجمات في اللغات الهندية والعالمية مثل اللاتينية والشيكية والبرتغالية والفارسية والغجراتية والهندية والتاملية. وأما في لغة ملیالم فله أربع ترجمات.

كما اعتنى به الباحث السوري محمد سعيد الطريحي الذي صدر له ذخائر علمية هندية كثيرة عن المركز الثقافي العربي الهندي ومقره مومباي الذي أسسه هو لإحياء التراث العربي . وجاء هذا الكتاب في سلسلة دائرة المعارف الهندية، وجعل له مقدمة ضافية يقول فيها : ولما زرت ملیبار سنة 1981 وأقمت فيها عدة أشهر ، عرفت أهمية هذا الكتاب . وشاء الحظ أن أحصل على نسخة خطية قديمة له كانت في حوزة أسرة المؤلف نفسه ، فعكفت على مقابلتها بالنسخ المذكورة ، وقدمت بما يناسب موضوعها وعلقت عليها بالتعاليق اللازمة ، ومن فضل الله تعالى أن قد تم ذلك في فترة وجيزة مع أن المراجع الخاصة بالموضوع غير متيسرة المنال.

4 - **نزهة الخواطر:**

صاحب هذا الكتاب العلامة السيد عبد الحي الحسني والد الشيخ أبي الحسن الندوي. وهو سجل تاريخي مرجعي لمسيرة المسلمين في الهند ، يسلط الضوء على تاريخ الأعلام وما طرأ في أيامهم من الحوادث السياسية والدينية والاجتماعية في القارة الهندية . ويحتوي الكتاب على تراجم الأعلام من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر الهجري.

ومن المعروف أن بلادنا الهندية قد أشرقت بنور الإسلام منذ فجر الإسلام وهبت عليها نسائمه في وقت مبكر. وظل هذا الدين ينمو ويزدهر في رحاب الديار الهندية ، وخصوصا بعد اضمحلال قوى المسلمين في الشرق العربي ، حيث توافد المسلمون إلى الهند زرافات ووحدانا، واستقروا في ربوعها ، وفيهم العلماء والأدباء مما جعل الثقافة والحضارة الإسلامية تتطور، وارتقت معها العلوم الدينية والآداب العربية دراسة وتدريسا وبحثا وتحقيقا وتأليفا. غير أن العلماء ما كادوا يعتنون بتدوين تاريخ العلم والعلماء الأعيان في البلاد. اللهم إلا الكتب النادرة في الفارسية التي لا تغنى من جوع ، وهذه هي الظروف التي دفعت الشيخ عبد الحي إلى تأليف كتابه الرائع " نزهة الخواطر" واختار العربية لباسا له . وقد أدرك أن الفارسية تكاد تنقضي أيامها وتأفل نجومها، وأن الأردية ما زالت في طور النشوء والتطور ولم تنضج ثمارها، وهكذا صارت العربية ناطقة بأجل عمل تاريخي وموسوعي يلقى الضوء على تراجم القرون والأجيال.

وقد سبق أن وضعت تراجم العلماء والرجال ، إلا أن أصحابها ما ذكروا فيها علماء الهند إلا في النزر اليسير. وحتى هذا النفر القليل إنما كانوا يهاجرون إلى البلاد العربية يستوطنونها. ومن هذه التراجم : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة للشيخ ابن حجر العسقلاني ، والضوء اللامع في أعيان القرن التاسع للشيخ السخاوي ، والبدر الطالع للعلامة محمد على الشوكاني ، والنور السافر للعلامة أبي بكر الحضرمي.. من أجل هذا تصدى العلامة عبد الحي الحسنى لهذه المهمة ، وحمل عبئها على كاهله، وخاض غمار التحقيق بنفسه . ومما يثير إعجابنا به أنه استمر في البحث عن المعلومات والتنقيب عن الأحداث نحو ثلاثين عاما راجع في خلالها ثلاثمائة كتاب في العربية والفارسية والأردية ، وتجول في طول الهند وعرضها وعاين رجالها وشاهد مناظرها وتأمل العلوم والمخطوطات المحفوظة في المكتبات وعند الأشخاص. وأنتج عمله هذا حصادا علميا مزدانا بترجمة أربعة آلاف وخمسمائة من أعلام الهند ، ممن نشأ وترعرع في أحضانها وتنفس من هوائها ، وممن هاجر إليها وطاب له بعد ذلك ثراها وسماؤها ، وممن ولد هنا وهاجر إلى البلاد الأخرى طلبا للعلم ورغبة في خدمته. يذكر فيها أنسابهم وألقابهم وكناهم وأعمالهم ومآثرهم . والكتاب يحتوي على تراجم بعض النساء العالمات اللائي كان لهن شأن في تربية الجيل المسلم وتثقيف أبنائهن ، من أمثال جنان بيكم بنت الأمير عبد الرحيم خان ، والأميرة جهان آرا بيكم

بنت السلطان شاهجهان ، والفاضلة جاند سلطان زوجة علي عادل شاه، والشاعرة كلبدن بيكم بنت السطان بابر ،والملكة زيب النساء بنت السطان أورنك زيب عالمكير.

ومن مزايا هذا الكتاب أن المؤلف حينما يؤرخ لعالم من علماء الهند يسرد الحقائق من دون تحيز ولا تعصب. رغم تأثر عصره، إذ كان يتسم بالخلافات الدينية والنزاعات المذهبية والمدارس الفكرية المختلفة، يكفر بعضهم بعضا ، ويلعن بعضهم بعضا، ويرمي هؤلاء أولئك بالزندقة والزيغ . ولكن المؤلف أدى الأمانة العلمية وأعطى كل ذي حق حقه. وهذه الأمانة جعلته ينظر إلى الرجال من حيث قيمتهم العلمية بغض النظر عن انتمائهم المذهبي . وقد رسم الوقائع بصورة ملخصة رائعة ، ليس فيها صعوبة الإيجاز ولا سآمة الإطناب. ويشير كذلك إلى أحوالهم وظروف حياتهم وطبائعهم، كما أوضح مجال تخصصهم وصدارتهم.

والكتاب ليس مجرد بيان لتراجم الأعيان، بل وأكثر من ذلك يشتمل على جميع نواحي الثقافة الإسلامية التي كانت الهند تمر بها طيلة ثمانية قرون ونصف قرن - مما جعل الكتاب موسوعة علمية تاريخية في أسلوب رصين ومنهج علمي أصيل. ويقول الدكتور السيد قدرة الله الباقوي في خصائص هذا الكتاب :

- إنه يمتاز بتقييد بعض الأعلام بضبط الحركات، وتعريف الأمكنة والأشخاص، مما يحتاج إليه طالب التاريخ لكي يقرأ الأسماء بسهولة. مثلا يقول عن نجرام : بفتح النون قرية جامعة من أعمال لكنهو.

- أنه اعتنى باستنساخ التراجم القديمة ، ووازن وصحح وبذل جهوده في تحقيق الأحوال الصحيحة ، واذا وجد رواياتٍ متضاربة تناولها بالتحليل العلمي حتى استخلص النتيجة وليس عليه غبار.

- إنه ترك كثيرا من الروايات التي ذكرها المؤرخون في كتبهم لعدم ثبوتها لديه.

- إنه ميز بين أسماء المترجمين المتشابهة ، وفصل بينهم بذكر الأوصاف المميزة.

- استخرج العبر من الحوادث والنكبات لكي يعتبر بها أولو الأبصار.

- إنه لم يبادر إلى طبع الكتاب ، بل ظل ينقحه ويعيد النظر فيه ويراجع مصادره طوال حياته.

- لم يجعل الكتاب وسيلة للتقرب إلى ملك أو حكومة ، إنما بذل جهده خالصا لوجه الله . يقول وإني لم أقصد بجمعه خدمة ذي جاه كبير أو طاعة أمير ووزير، لم أداهن فيه أحدا بنفاق أو مدح أو ذم مباين للأخلاق . ثم يقول: إني سميته نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر .
- إنه كتب أسماء الأشخاص والأمكنة بالحروف الأردية لكي لا يلتبس التلفظ على القارئ.
- إنه صرح في التراجم سنوات المواليد والوفيات حسب التقويم الهجري .
- اختار طريقة معروفة في كتابة التراجم ، رتبها حسب الأسماء والأنساب وتاريخ الولادة واسم الوطن ثم وصف التعليم والخصائص المميزة ، ثم أخلاق المترجم وآثاره ، ثم يذكر وفاته. وكان في وصف الرجال والحوادث دقيق النظر . يصور بأمانة ودقة بالغة . والنموذج الآتي يجسد مهارته في فن التراجم، يقول في تعريف الإمام ولي الله الدهلوي :

' الشيخ الإمام الهمام ، حجة الله بين الأنام، إمام الأئمة قدوة الأمة، علامة العلماء وارث الأنبياء، آخر المجتهدين أوحد علماء الدين، زعيم المتضلعين مجمل أعباء الشرع المتين ... شيخ الإسلام قطب الدين أحمد ولي الله بن عبد الرحيم'.

ويصف الشيخ أبا الحسنات عبد الحي بن عبد الحليم اللكنوي بقوله : إني حضرت مجلسه غير مرة، فألفيته صحيح الوجه أسود العينين ، نافد اللحظ حفيف العارضين، مسترسل الشعر، ذكيا فطنا حاد الذهن ، عفيف النفس رقيق الجانب ، خطيبا مصقعا متبحرا في العلوم معقولا ومنقولا مطلعا على دقائق الشرع وغوامضه. تبحر في العلوم وتحرى في نقد الأحكام وحرر المسائل وانفرد في الهند بعلم الفتوى فسارت بذكره الركبان.. الخ .

ويقول في ترجمة الشيخ جواد لطفي إبراهيم ، وهو يصور شخصيته أروع تصوير. ' قدم الهند من العرب، ودار البلاد وأقام بداكا وبنارس وكلكتا مدة طويلة، وتمذهب بمذهب جديد في كل بلدة ورد فيها. وكان سنيا ببلدة بنارس وصار شيعيا بداكا . ولما ورد كلكتا ارتد عن الإسلام فسموه بناثا نائل ساباط ، ثم أسلم وكان مداعبا مزاحا مضحكا أعجوبة من أعاجيب الدهر'.

وصدر هذا الكتاب أولا عن دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد ، ثم في دمشق باسم " الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام " في ثلاثة أجزاء كبار.

4 th SEMESTER MA DEGREEE EXAMINATION, SEPTEMBER 2008

Paper 14 – (402) INDIAN ARABIC LITERATURE Marks 80

I أكمل الفراغ بالجواب الصحيح: 10

1 ـ تقع دائرة المعارف المشهورة في مدينة ـــــ

2 ـ العالم المشهور ومؤلف حجة الله البالغة ـــــ

3 الفتح المبين قصيدة لـ ـــــ

4 ـ تحفة المجاهدين كتاب مشهور موضوعه ـــــ

5 ـ سبحة المرجان من مؤلفات ـــــ

6 ـ ثقافة الهند ـــــ تصدر من نيو دلهي

7 ـ المسلمون في الهند كتاب ألفه ـــــ

8 ـ عبد الحي الحسني ولد بـ ـــــ

9 ـ كان ـــــ حسان الهند ومداحًا للنبي

10 ـــــ ولد سنة 1212 في مدينة خير آباد

II أجب عن الأسئلة الآتية في جملة أوجملتين: 20

1 ـ ما هي مساهمة الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي في مجال أدب الحديث الشريف ؟

2 - ما هي المؤلفات الشهيرة للشيخ عبد الحي الحسني ؟

3 - ما ذا تعرف عن كتاب ' ما ذا خسر العالم بانحطاط المسلمين '

4 - اذكر دور مالك بن دينار في تاريخ كيرالا.

5 - ما ذا تعرف عن العلاقات التجارية بين الهند والعرب؟

6 - أوضح تأثير اللغة العربية في اللغات الهندية.

7 - اكتب عن أهمية كتاب تحفة المجاهدين.

8 - بين تطور الشعر العربي في كيرالا.

9 - اكتب عن المجلات العربية التي تصدر من الهند.

10 - اذكر بعض تراجم القرآن التي كتبها أهل الهند.

III اكتب مذكرة وجيزة على ثلاثة من الآتية: 15

1 - خدمة دار العلوم بلكهنو 2 - تاريخ جامعة عليكره

3 - انتشار اللغة العربية في ولاية كيرالا. 4 - أهمية كتاب حجة الله البالغة.

5 - مساهمة أنور شاه الكشميري في الأدب العربي.

IV اشرح ثلاثا من الآتية مع ذكر السياق. 15

1 - أعلى مزيتها الإله بجعلها لغة لما أوحاه مـــن قـــرآن

فيه ازدهت وتثبتت وترفعت وتسابقت في المجد كل لسان

وبه استقامتها وحفظ أساسها ونموها في سائـــر الأوطان

2 - يا الله - يا من لا يحـــده إطار من الدين !

يا من تحرر من كل قيـــد ،،

في نورك في ظلك ،،،،

أطلب الراحة والسبات !

3 - وهو محب ديننا الإسلام والمسلمين بين ذا الأنـــام

ناصر ديننا ومجري شرعنا حتى بخطبة على سلطـاننا

والمسلمون كلهم رعيته وإن يكن في أي أرض بلدته

4 - وإن السعادة الحقيقية هي انقياد البهيمية للنفس النطقية واتباع الهوى للعقل وكون النفس الناطقة قاهرة على البهيمية والعقل غالبا على الهوى، وسائر الخصوصيات ملغاة.

5 - وكذلك نفي إلى أندمان جماعة من العلماء الأجلاء كالعلامة فضل حق الخيرآبادي والمفتي عنايت أحمد الكاكوري والمفتي مظهر كريم الدريابادي ومات العلامة فضل حق في المنفي ورجع العالمان الآخران بعد ما مكثا مدة طويلة في الجلاء.

V اكتب مقالة عن الأدب العربي الهندي 20

أو

اكتب عن وصول صوت الإسلام إلى أرض الهند

الأسئلـــــة النموذجيـــــة

I - أكمل الفراغ بالجواب الصحيح:

1- نزهة الخواطر من مؤلفات ـــــ

2- تقع دار العلوم ندوة العلماء في ـــــ

3- الفتح المبين قصيدة نظمـها ـــــ

4- ـــــ تعرف باسم أزهر الهند

5 - ـــــ هو والد زين الدين المخدوم الصغير

6 - سبحة المرجان كتاب ألفه ـــــ

7 - اشتهر الشيخ ـــــ بمجدد الألف الثانـي

8 - ثقافة الهند مجلة عربيها أنشأها السيد ـــــ

9- ـــــ في ويلور مدرسة عربية مشهورة بجنوب الهند.

10 - أول من لقب بشمس العلماء في الهند ـــــ

11 - العباب الزاخـــر كتاب ألفه ـــــ

12 - ـــــ يلقب بشيخ الهند.

13 - أسس جريدة الهلال ـــــ

14 - الملك الملقب بالملك التاجر هو ـــــ

15 - العلامة ـــــ لقبه بحر العلوم

16 - لقب الشيخ أشرف على التهانوي ـــــ

17 - ـــــ هو الذي لقب بالمنطقـــيّ

II - أجب عن الأسئلة الآتية في جملة أو جملتين:

1 - من والد العلامة أبو الحسن علي الندوي

2 - اكتب أسماء ثلاثة كتب من مؤلفات الأمير صديق حسن خان.

3 - ما ذا مزية نزهة الخواطر.

4 - ما هوموضوع قصيدة تحريض أهل الإيمان.

5 - من هو أول من نشر علم الحديث في الهند.

6 - اذكر خمسة كتب عربية لعلماء كيرالا.

7 - ما هي المجلات والدوريات العربية المنشورة من الهند الآن.

8 - اذكر بعض المكتبات الهامة التي توجد هناك المخطوطات العربية.

9 - ما هي العادات الغريبة التي انتشرت بين كفار مليبار .

10 - بأي شيء تميزت مدينة كالكوت في عهد الملك السامري.

11 - ما هو موضوع كتاب ' لما ذا تأخر المسلمون ' للندوي.

12 - اليوم الهند لنا - من قال ومتى.

13 - من أول من انتبه إلى خطر الإنجليز وكيف.

14 - ما دور العلماء المسلمين في الثورة الاستقلالية الأولى

15 - كيف كانت حال دلهى بعد أن استولى عليها الإنجليز

16 - لم آثر السر سيد أحمد خان سياسة الانفصال على المؤتمر الوطني.

17 - ما هو مضمون فتاوى نصرة الأبرار.

18- اذكر خدمات شرف بن مالك ومالك بن دينار في نشر الدين.

19 - اذكر دور الشيخ محمود حسن في حركة التحرير

20- اذكر دور أبو الكلام آزاد في المؤتمر الوطني الهندي

21 - متى ظهرت الدعوة إلى الديانة البرهمية والآرية.

22 - متى قام المؤتمر الوطني الهندي وما دور المسلمين فيه.

23 - كيف ساهمت جريدة الهلال وكومريد في إشعال نيران الثورة الهندية.

24 - اذكر بشارة الرسول بفتح الهند.

25 - كيف تثبت ضرورية الوحي الإلهي لسعادة الإنسان.

26- ما هي نظام الطبقات بين كفرة مليبار.

27- كيف وصلت اليهودية والنصرانية إلى كيرالا.

26 - ما هي خصائص اللغة العربية الموضحة في قصيدة الكجنوري.

28 - على أي شيء تبرهن المساجد والقبور الأثرية في مليبار.

29 - اذكر ظهور الإسلام في ديار مليبار.

30 - ما هي السعادة الحقيقية للإنسان.

31 - من الذي سمى منطقة مليبار بذلك الاسم أولا؟

31 - اذكر أسماء خمسة كتب لأبو الحسن على الندوي.

32 - ما في أول جريدة عربية صدرت من الهند.

33 - من العالم الأكثر أعمالا في العربية في كيرالا.

III - اكتب مذكرة وجيزة عن اثنين من الآتية:

1 - تحفة المجاهدين 2 - الشيخ أنور شاه الكشميري .

3 - سبحة المرجان . 4 - ندوة العلماء في الهند.

5 - الثورة الهندية عام 1857 . 6 - دور المسلمين في تحرير الهند.

7 - سوء معاملة الإنجليز للمسلمين.

8 - مساهمة الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي في نشر علوم الحديث

9- انتشار الإسلام في ديار كيرالا. 10- رسالة قصيدة الفتح المبين.

11 - أهمية حجة الله البالغة. 12 - العلاقة التجارية بين الهند بالعرب

IV اشرح العبارات الآتية وإذكر السياق.

1 - إن المسلمين لم يزالوا ولا يزالون منذ عهد الخليفة الأول مستكبرين غير متسامحين ، وظالمين ، لم يزل هدفهم الدائم أن تقوم الحكومة الإسلامية بأي وسيلة كانت، وأن ينشأ الناس على كراهة المسيحيين ، إن المسلمين لا يستطيعون أن يكونوا رعية وفية.

2 - فقالوا: نحن لا نعرف موضعك ولا حد ولايتك ، وإنما أردنا السفر بصحبتك ، فتفكر الملك ساعة وكتب لهم ورقة.

3 - وكان أهل سرنديب (سيلان) عندما بلغهم ظهور النبي العربي أرسلوا رجلا منهم ذو فهم ولباقة ، وأمروه أن يتوجه إليه فيعرف أمره وما يدعو إليه ولكن لظهور بعض العقبات والعوائق وصل إلى المدينة بعد وفاة الرسول.

4 - لقد كانت المجزرة شعبية وطنية عامة، ولكن كان المسلمون بصفة خاصة هدف هذه الإهانات والفتك الذريع، لأن كثيرًا من الإنجليز المسؤولين كانوا يعتقدون أنها ثورة إسلامية.

5 - والأخلاق لا تظهر إلا عند مزاحمات من بني النوع ، والارتفاقات لا تقتنص إلا بحاجات طارئة . والصنائع لا تتم إلا بآلات ومادة. وهذه كلها منقضية بانقضاء الحياة الدنيا . فإن مات الناقص في تلك الحالة وكان سمجا بقي عاريا عن الكمال

6 - "إني عزمت الانزواء والعكوف على عبادة الله لمدة سبعة أيام ، فلا يقتربن أحد مني طوال هذا الأسبوع.

7 - وقد كانت هذه الجثث في أوضاع مختلفة خلفها صراع الحياة والموت في أدوار مختلفة من التفكك، وكنا لا نتكلم إلا همسا حتى لا نزعج هؤلاء الأشقياء الذين كانوا مستغرقين في نومة الموت، وقد كانت بعض الجثث ينتهشها كلب، وكان عند بعضها نسر يرفرف جناحه ويحاول أن يطير فلا يستطيع بفرط الشبع والثقل.

8 - فأخبر بأن رجلا من العرب يسمى محمد ادعى النبوة فشق القمر لكي يرى قومه بعض معجزاته فهو ذاك. فالسامري ركب البحر وارتحل إلى الحجاز ، لأنه دفعه الشوق الشديد إلى الرحيل إلى الحجاز ليتشرف برؤيا هذا النبي الجديد العظيم.

9 - كيف ولما كانت الحدادة والتجارة وأمثالهما لا تتأتى من جمهور الناس إلا بسنن مأثورة عن أسلافهم فما ظنك بهذه المطالب الشريفة التي لا يهتدي إليها إلا الموفقون

10 - وكانت لخزانة الدولة أربعة مفاتيح مختلفة: واحد منها عند الملك، والثاني لدي مدير مصلحة التجارة ، والثالث يحتفظ به رئيس القضاء ، والرابع عند صاحب الخزانة . ولفتحها يحضر الأربعة مع مفاتيحهم حتى يكون الفتح أمامهم جميعا

11 - وانتقموا منهم انتقاما شديدا وبطشوا بالهنديين - شعبا وأمة - بطشة جبار لا يعرف الرحمة ، ولا يعرف العدل ولا يعرف الإنسانية ، ولا يعرف الحدود ، وكانت مجزرة هائلة جددت ذكرى مذابح جنكيز وهولاكو،

12 - وجدير بالذكر أن هذه المنطقة مليئة ببساتين أشجار النارجيل من أقصاها إلى أقصاها ، كما أن محصول النارجيل من أكبر المصادر الاقتصادية لأهاليها ، كما أنهم يستخدمون جذوع أشجار النارجيل وخواصها بكثرة في بناء مساكنهم ومراكبهم.

13 - وحرض أمراء الهند وأقيالها على القضاء على هذه الجرثومة الإنجليزية السامة، وحاول الاتصال بالسلطان سليم العثماني والملوك المسلمين وأمراء الهند وراسلهم، وظل يحارب الإنجليز حربا عنيفة لا هوادة فيها.

14 - كانت شعبية عامة يقاتل فيها المسلمون والهنادك جنبا بجنب ولم تعرف الهند حماسة وطنية ووحدة شعبية قبل هذه ، كان للمسلمين السهم الأكبر في القيادة والتوجيه

15 - إن ضباط جيوشنا كانوا يقتلون المجرمين من كل نوع ، وكانوا يشنقون من غير رحمة وألم كأنهم كلاب أو بنات آوى أو حشرات خسيسة.

16 - فإن كانت السعادة هذه فالجبال أتم سعادة، وصفاتٍ يشارك فيها النبات كالنموّ المناسب والخروج إلى تخاطيط جميلة وهيآت ناضرة، فإن كانت السعادة هذه فالشقائق والأوراد أتم سعادة .

17 - وكان إخلاصه غير منازع فيه، يقره صديقه ومعارضه، فلما نالت الاستقلال، وكانت الفرصة مواتية لجني ثمار الحرية ، والانتفاع من الحكومة المحلية، وتهافت الناس عليها، كانت شخصيته الوحيدة هي التي أبت قبول أي نفع أو كسب.

V اختر من قائمة (ا) ما يناسبه من قائمة (ب)

(ا)	(ب)
مظهر البركات	محمد قاسم النانوتوي
التفهيمات الإلهية	الشيخ أنور شاه الكشميري
الهدية السعدية	أول من نشر علم الحديث في الهند
رجال الفكر والدعوة	الشيخ محمد علي مونكري
تحريض أهل الإيمان	أحمد زين الدين بن الشيخ محمد الغزالي
فيض الباري	السيد غلام على آزاد البلغرامي
دار العلوم ديوبند	الشيخ أبو الحسن على الندوي

الفتاوى الهندية	فضل الحق الخيرآبادي
ندوة العلماء	زين الدين بن علي بن أحمد المعبري
فضل الحق الخيرآبادي	فيض الحسن السهارنفوري
تحفة المجاهدين	السر سيد أحمد خان
تلميذ الشيخ فيض الحسن	حكم الإنجليز في الهند.
الشركة الهندية الشرقية	السلطان أورنك زيب عالمكير

VI- اكتب مقالة لا تقل عن ثلاث صفحات عن اثنين من الآتية:

1 - مساهمات الشيخ أبي الحسن علي الندوي للغة العربية.
2 - مؤلفات السيد غلام علي آزاد البلغرامي - أهميتها.
3 - دور الشيخ شاه ولي الله الدهلوى في نشر علوم الحديث.
4 - مساهمات الشيخ أنور شاه الكشميري في التأليف.
5- الشعر العربي في كيرالا وأبرز الشعراء فيها.
6 - جهود الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي في نشر الحديث
7- أول بقعة أشرقت بنور الإسلام في الهند.
8 - عواطف الشاعر في ' ترياق الفؤاد '
9 - تاريخ دخول الإسلام في ديار كيرالا.
10 - أبرز المعاهد العلمية والتربوية المسلمة في الهند.